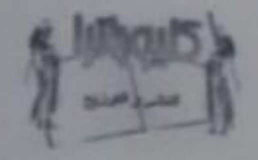

ملكة الجمال
رواية بالعامية المصرية
عمر أحمد

دار كليوباترا للنشر والتوزيع

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
أحمد/ عمر
ملكة الجمال / عمر أحمد
ط1. / القاهرة : دار كليوباترا للنشر والتوزيع.
ص 206، المقاس 14*20
الترقيم الدولى : 978-977-6619-44-9
رقم الإيداع: 2017/25543
تصنيف الكتاب :
رواية



الناشر دار كليوباترا للنشر والتوزيع

المدير التنفيذي: ضحى جبر

إشراف عام: عفاف محمد على

تصميم الغلاف : عمر أحمد

عمليات الإخراج الداخلى والتصحيح اللغوي

(دار كليوباترا للنشر والتوزيع)

المراسلات:

لإتصال: / 01125574129 / 0225244534/01019983371

dar.cleopatra@gmail.com

الطبعة الأولى

إهـداء

إلى من يدفعه الفضول لأن يدخل إلى العالم الخفى..

احذر!!!

مقدمة

الجان والعفاريت وباقى أجناسهم الكثيرة شركاؤنا فى الحياة ولكننا لا نتعايش معهم.. فمنهم من يسكن الديار والقبور، وبعضهم يعيش فى دورات المياه، والخرائب والأماكن المهجورة، ومنهم من يسكن الجبال والغابات، ومنهم من يفسد حياة البشر كالتفريق بين المرء وزوجه، ولهم طوائف عديدة فمنهم المؤمن والكافر ﴿وَأنا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ -سورة الْجِنِّ 11-

ومنهم من يحب نساء الإنس، ومنهن من تعشق رجال الإنس، وهناك من الإنس من يطلب مناكحة الجن؛ والجن ليس من أنفسنا لذلك لا يمكن حدوث هذا الزواج لاستحالة السكن بيننا فهناك اختلاف فى مادة الخلق﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (27)﴾ -سورة الحجر 27-

فالإنسيات للإنس والجنيات للجن، وقد خلق الله للإنس أزواجًا من أنفسهم ليسكنوا إليها ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ -سورة الرّوم 21-

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ -سورة النساء، آية1-

وقد وضع الله لهم قدرة على التشكل فى أجسام مادية فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن عفريتًا من الجن تفلت البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان" رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي، فرددته خاسئًا" -متفق عليه-

والعداوة متأصلة منذ بدء الخليقة بين الشيطان والإنسان وذريتهما فهما لن يتوافقا أبدًا ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ -سورة الأعراف 24-

والشيطان معه الإذن بالإغواء ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاغُرُورًا﴾ -الإسراء 64-

وعندما لا يقاوم الإنسان إغواء الشيطان له فيحاول الاستعانة به فذلك بمثابة بداية لممارسة السحر الذى يكون من عمل الشياطين، لذلك فقد نهى الله عباده من بني آدم عنه، وليس في العلم بالسحر إثم؛ وإنما الإثم فى استخدامه للضرر بالخلائق كالخطف، والزجر، والحجب، والقهر، والمحبة، وقضاء

الحوائج، والإرسالات والتساليط.. كما أن الأسماء المعجمة والسريانية والعبرانية لها أسرار عظيمة فلا يجوز النطق بأسماء ليس لنا بها علم لأنها قد تكون دعوات لاستحضار الجان، ومن ثم الدخول فى متاهات هذا العالم العميق..

إن الالتجاء إلى هذا العالم كفر صريح، فلا يجوز الالتجاء إلا الله سبحانه وتعالى فقط فى قضاء جميع الحوائج ((وإذا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَ إذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ)).

عمر أحمد

عندما يداعبك فضولك الكامن بداخلك محاولًا إثارتك..

اختبىء منه ولا تتردد

فقد يدفعك إلى الهلاك!!

ليلة حالكة السواد يلفها الصقيع.. تتأرجح أضواء النجوم فتنـثـر حولها ظلالاً مرعبـة..

شخص يدفع جسده ببطء ليسير بين ممرات المقابر المكسوة برائحة الموت.. جذبه فحيح ضوء خافت فى الظلام؛ ليلقى به أمام إحدى المقابر التى فُتح بابها مصدرًا صريرًا مكتومًا..

أطل من داخلهـا وجه قاسٍ عابس بلا روح وقال:

- أهلًا يا حاج أحمد.. خير؟
- رد الحاج أحمد بصوت حزين نازف:
- أزيك يا حمدان أنا قصدك فى خدمة..
- خير يا حاج؟
- عايزك تفتح لى تُربة..
- حمدان بلا مبالاة: وماله يا حاج.. أنت بقى عايز جثة؟ ولا هتدفن عمل؟ ولا.... قاطعه الحاج أحمد متلعثمًا:
- تعال بس وأنا هوريك التُربة اللى هنفتحها. ثم أخرج نقودًا من جيبه، ودسها فى جيب حمدان الذى دلف لداخل مقبرته مُسرعًا، وخرج حاملًا عدة الحفر، وناول الحاج أحمد مصباح الغاز قائلًا:
- امسك أنت ده، وأغلق خلفه باب المقبرة التى يسكن بها، وسار أمامه وسأله:
- عايزنا نفتح بقى أنهى تُرْبة؟
- متقلقشى يا حمدان امشي أنت معايّ بس، وأنا هقولك هنفتح أنهى تُرْبة..
- اللي تشوفه ياحاج.. مع إنى مبعملش كدة مع حد.. أنا شغلتى تُربى صحيح، ومش هاخُد فيش وتشبيه للي يقصدنى فى شغلانة.. بس لازم أعرف هو عايز أيه؛ وأيه اللى هيعمله؟! دية مسئولية برضة وأنت سيد العارفين..

وضع الحاج أحمد يده فى جيبه مرة أخرى، وأخرج بعض النقود ودسها بيد حمدان فتناولها قائلًا بهدوء: أنا مش قصدى يا حاج..

- قال له الحاج أحمد مستاءً: يلا بس شهل شوية خلينا نخِلص..

سارا داخل ممرات المقابر المظلمة لمسافات طويلة.. دارا حول المدافن أكثر من مرة. إلى أن وقف الحاج أحمد فجأة مشيرًا بيده بذعر شديد إلى بعيد قائلًا: أنت شايف اللي أنا شايفه يا حمدان؟

نظر حمدان إلى مكان إشارة الحاج أحمد فلم ير شيئًا، وقال:

- أنا مش شايف حاجة خالص.. أنت عايز تخوفنى ولا أيه يا حاج.. لأ أنا مبخافشى.. ده أنا قاعد وسطيهم ليل ونهار..

بوقوف الحاج أحمد المفاجئ اعتراه رعب جامح. فقد لاح له تحت أضواء الظلام ثعبان عملاق قابع فوق شاهد إحدى المقابر، وحوله دائرة هائلة من النار.. كأنه مخلوق أسطورى؛ وبتردد.. مضى نحوه كالشهاب وخلفه حمدان التُربي لاهثًا، وبوجه شديد الذَّعر أشار إلى هذا الشاهد وقال:

- هى دية التُربة يا حمدان..

نظر له حمدان متعجبًا وسأله:

- وأنت عرفتها إزاي يا حاج فى الضلمة دية؟

لم يرد عليه وإنما توجه بصره صوب المقبرة المنشودة ناظرًا إليها بوجل..

توجه حمدان نحوها، وبدأ بحفر هذه المقبرة مستطردًا: حال الدنيا ده غريب.. أهل الميت يجيبوا الميت، وهات يا صوات وعياط وبعد كدة يدفنوه، ويقفوا يدعوا له، ويمشوا ومحدش بيشوف وشهم تاني، ولا حس ولا خبر..

لم يعره الحاج أحمد أى انتباه، وإنما ظل بصره عالقًا بدرجات المقبرة التى بدأت بالظهور، والتى لا تسمح إلا بنزول شخص واحد لأسفل، ونزل حمدان إلى داخل المقبرة مارًا من كوة صغيرة ونادى:

انزل يا حاج أحمد.. التربة مفتوحة أهى.. شوف أنت عايز تعمل أيه؟

نزل الحاج أحمد درجات المقبرة بوجه شاحب، وانحنى حتى انخفض رأسه لمستوى جذعه، ومر من الكوة إلى جوف القبر مرتعشًا جاثمًا فوق صدره الرعب متمتمًا«أنتم السابقون ونحن بكم إن شاء الله للاحقون.. السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين.. نسأل الله لنا ولكم المغفرة، الله يرحم أمواتنا وأموات المسلمين اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم». ثم نظر إلى الموتى بحزن شديد وتنهد قائلًا:

ياه لو الناس تعرف أنه مهما طال بيهم العمر فهو برضه قصير.. شوف البنى آدم فى الآخر بيبقى إزاي.. لا إله إلا الله، وبتلقائية أزاح حمدان بعض العظام إلى أحد جوانب القبر قائلًا:

أنا كدة مهمتى خلصت وهستناك فوق، وناوله الكلوب وخرج من المقبرة صاعدًا إلى ظهر الأرض.

استجمع الحاج أحمد قواه بعدما وجد نفسه وحيدًا فى المقبرة، ورائحة الموت متربصة به تحُوطُه من كل جانب..

مر بعينيه على كل ما بداخل المقبرة من عظام بشرية، ورفات جثث.. إلى أن تعلق بصره بأحد الهياكل العظمية المستلقية داخل المقبرة، وازداد توترًا وخوفًا عندما اقترب منها ثم جثا على ركبتيه، وقال لنفسه ليُذكرها:

هىّ دية الجثة اللى وصفتها لى الحاجة.. قالتلى: أنت هتشوف الجثة رأسها مرفوعة عن الأرض شوية زى ما تكون نايمة على مخدة.. دور تحتها وهتلاقى الأمانة..

مد يده نحوها وقال بصوت عالٍ بث فى نفسه بعض الشجاعة والطمأنينة:

بسم الله الرحمن الرحيم. ثم رفع رأس الجثة، ونبش فى التراب الذى تحتها؛ حتى اصطدمت يده بشيء تحسسُه، ثم أمسكه بيديه، وأخرجه ونفض عنه الأتربة. ثم لفه بقطعة من القماش كان قد أحضرها معه وتراجع صاعدًا درجات القبر مرة أخرى وهو يقرأ ما يتذكره من القرآن..

نظر حمدان التربى نحوه ببلاهة وقال: أيه اللى فى اللفة اللى معاك دية؟

لم ينظر له الحاج أحمد ولم يرد عليه..

تأفف حمدان قائلًا: أيه المصلحة خلصت فمبقتش عارفنى..

انصرف الحاج أحمد واجمًا فى صمت.. ناظرًا إلى الفراغ مشدوهًا مشتت الذهن حتى وصل إلى ضفاف النهر، وقام بفتح اللفافة التى يحملها؛ وأخرج ما بداخلها ونظر له مليًا يتفحصه.. إنه حذاء من أحذيته القديمة!!

دس يده داخل هذا الحذاء، وأخرج منه شيئًا مغلفًا بالشمع وقشره بيده فوجده جوربًا من جواربه القديمة. فأفرغ ما بداخل الجورب على قطعة القماش ليرى ما بداخله وتعجب!!

إنه ملح..

أفرغ هذا الملح بمجرى النهر، ولف الحذاء والجورب فى قطعة القماش مرة أخرى ليتسلل إلى نفسه شعور بالراحة استطاع به إزالة العبء النفسى المُلقى داخل روحه.. ثم استكمل سيره مشتت البال حتى وصل إلى داره ودخلها وهو زائغ النظرات..

قابلته زوجته بابتسامتها المعهودة وقالت: حمدلله على السلامة يا حاج.. أيه اللى أخرك برة كدة؟

قال لها باقتضاب: اعملى حسابك من الفجرية هنسافر نزور الحاجة فى مصر!!

ودخل إلى غرفته صامتًا..

***

عاد الحاج أحمد من زيارته للحاجة فى مصر إلى منزله الكائن بهذه القرية الريفية جدًا التي ينتشر بها الجهل بتوسع؛ لتكون الحياة بها أشبه بالحياة البدائية التى تقتات من التخلف الذى يتم التعايش معه، وتدهورت حالته الصحية، إلى أن سقط مغشيًّا عليه فى أحد الأيام، واستدعى أولاده طبيب الوحدة؛ الذى أخبرهم بأن والدهم قد وافته المنية.

جال الحزن بأرجاء المنزل، وأقامت الأسرة سرادق عزاء كبيرًا..

وقف ولداه يأخذان واجب العزاء فى والدهما إلى أن دخل إلى سرادق العزاء بعض الأشخاص لتأدية واجب العزاء وعلى رأسهم شخص تظهر عليه الهيبة والوقار..

مد هذا الشخص يده إلى أول الواقفين لاستقبال العزاء قائلًا:

- البقاء لله يا زياد يا بنى. فتحرك بانفعال شاب واقف بجوار زياد.. ليمسك بيده، ويمنعه من السلام موجهًا حديثه لهذا الشخص:

- أنت أيه اللى جابك هنا؟ مش كفاية اللى أنت عملته فينا؟!

ظهر على زياد ملامح الاستياء وقال للشاب المنفعل:

- لأ عيب يا سيد ده برضـه عمك..

نظر سيد إلى عمه باستهجان قائلاً:

لأ يا زياد.. إحنا مش عايزين نشوفه ولا نعرفه؛ ثم طرده من السرادق..

رد عمه بهدوء شديد:

- أناعملت الأصول يا ابن الأصول، وبرده أنت زى ابنى ومش هزعل منك؛ لأنى مقدر الحالة اللى أنت فيها. ثم رجع عائدًا هو ومن معه من حيث أتوا..

انتهى عزاء الحاج أحمد والد زياد.. هذا الرجل الطيب المُكد الذى استغل أخوه جهله وطيبته؛ وأقنعه بأن يوقع على أوراق تنازله عن أرضه بحجة أنه معندوش ولا عيل ولا تيل، وزوجته عندها أرض وبيت فى مصر ورثاه عن أبوها؛ بيجيب لها إيجار، وهو ظروفه على قدها، ولم تمر السنوات على الحاج أحمد إلا وقد رُزق بثلاثة أطفال.. هم زياد وسيد وإسراء، واحتفل مع زوجته السيدة البسيطة الطيبة التى تعيش راضية مسكينة، والتى قد وهبته أرضها بصدر رحب ومنحته إيجار بيتها فى مصر..

كانت هذه الأسرة تعيش بسرور، ولم يشعر أفرادها بالحرمان أبدًا برغم ظروفهم البسيطة.. فقد كان رب الأسرة يحاول توفير الاحتياجات والمطالب المادية للأسرة فى حدود دخله ككافة الأسر المصرية البسيطة..

نما الأطفال وتكونت شخصية كل منهم..

زياد شخصية هادئة ودودة موضوعية، وسيد شخصية عصبية بمزاج متقلب، وإسراء آخر العنقود دلوعة الأسرة..

دفع الإرهاق كافة أفراد الأسرة بعد هذا اليوم الطويل إلى الاستسلام للنوم.. إلا زياد كان بمنتهى القلق؛ لأن نتيجة التنسيق ستظهر فى الغد، ولا يعلم بأى مجال تعليمى سوف يلقى به هذا التنسيق..

لم يستطع النوم بسهولة إلى أن فتك به التعب ونام، وفى اليوم التالى استيقظ ليتابع نتيجة التنسيق الذى الحقه بإحدى الكليات بمصر..

جلس يفكر فى الحدث الجلل الذى حل به وبأسرته، فقد انقلبت كافة أمانيهم للمستقبل بوفاة والده، وعليه أن يبدأ بتنظيم حياته معهم حتى يتبين له كيفية استمراره فى تعاطى دراسته، ولكى يحصل على المؤهل العالى الذى كان إحدى أمنيات والده..

خرج من غرفته لتناول طعام الإفطار مع والدته وأخوته، وقال بدون توجيه الكلام لشخص محدد:

- نتيجة التنسيق ظهرت، وأنا هاضطر أنزل مصر عشان أكمل دراستى، ومش عايز أنزل إلا لما أطمن عليكم، ونشوف إحنا هنعمل أيه فى الأيام اللى جاية؟

سيد: أيه يا جدع.. أنت مستهون بيّا ولا أيه؟ سافر أنت وشوف دراستك.. أنت سايب هنا راجل.. أنا هاخلى بالى كويس من العيلة، وبعدين هو أنت نسيت إنى كنت مع ابوك فى الرٌايحة والجاية وعارف كل حاجة عن شغله هنا فى البلد... تدخلت إسراء فى الكلام وقالت بحنان:

- متخليش مصر تاخدك مننا يا زياد وتعال شقر علينا على طول..

قبل زياد يد أمه.. واحتضن أخوته، وقال ضاحكًا لأمه محاولًا تخفيف وطأة ألم لحظة الفراق:

- أيه يا أم زياد، ولا أقولك يا أم سيد.. أنت مبتتكلميش ليه؟

تساقطت دموعها. فقام أولادها بالالتفاف حولها واحتضانها..

***

بعد مرور أسبوع على وفاة والد زياد، وبعد استقرار الأمور داخل الأسرة إلى حدٍ ما؛ قرر زياد الرحيل إلى مصر لتكملة دراسته، وودع أمه وأخوته ذاهبًا إلى محطة القطار ليلحق به..

لحق بالقطار، وجلس على أحد المقاعد التى تئن من الشيخوخة مودعًا لطُرقات وشجيرات بلدته..

نهب القطار الطريق نهبًا كأنه يسابق الزمن لقذف ركابه فى محطات وصولهم؛ ليستريح من عناء حملهم، ليلقى بزياد فى محطة مصر.. تلك المحطة العتيقة التى تحملت زفرات ملايين الناس على مر السنين..

استنشق الهواء كأنه يتنفس لأول مرة؛ وبتنهد قال لنفسه: ياه يا مصر.. أخيرًا ناديتى عليّا..

وقف سارحًا يتفرس فى وجوه المارة إلى أن أخرجه من حالة السرحان التى يمر بها صوت عالٍ: شيال يابيه فقال له: لأ شكرًا..

خرج من محطة مصر حاملًا لشنطة سفره، وسار متلكأ مستنشقًا رائحة الأصالة التى تفوح من كل شيء حوله، وشعر بإحساس الترابط والجو الأسرى مع كل الأطياف التى يراها، وبدأ بالسؤال عن عنوان المنزل الذى تمتلكه والدته بمصر وسار مترجلًا محاولًا حفظ كل التفاصيل التى تراها عيناه.. إلى أن وصل إلى المنزل..

المنزل يقع بأحد الأحياء الشعبية القديمـة جدًا التى يمكن أن تُصنف من ضمن المناطق الأثرية.. قريب من حى السيدة زينب.. يقع داخل عطفة متفرعة من أحد الأزقة بها ثلاث منازل فقط من جانب.. والجانب الآخر به سور عالٍ لمخزن أحد المصانع..

منزل أمه هو الثالث والأخير فى هذه العطفة..

وقف أمام المنزل متأملًا إياه فهو يراه لأول مرة..

إنه منزل قديم.. مكون من دورين فقط، ويشبه كثيرًا المنازل الريفية فى تصميمه، وسقف الدور الثانى تبرز منه العروق الخشبية، وشبابيك الدور الثانى متهالكة متكسرة تبوح بعدم سكن بشر داخل جدرانها..

دخل إلى المنزل ورأى أمام مدخل باب المنزل السلم الذى يصعد عليه السكان للوصول للدور الثانى، ولم ير أبوابًا لشقة الدور الأرضى التى يقصدها..

دخل والتف إلى يمين السلم هابطًا إلى أسفل بعض الدرجات ورأى باب الشقة التى سيسكن بها..

موقع الشقة يشبه موقع بدروم عالٍ.. فأخرج مفاتيح الشقة، وبمجرد وضعه للمفتاح فى باب الشقة؛ فزع عندما سمع صوتـًا يقول له من خلفه:

- أنت عايـز مين؟

استدار لمصدر هذا الصوت.. فرأى سيدة ليست شابة وليست عجوزًا.. شكلها بث الخوف فى نفسه، وشعر بعدم ارتياح لها من النظرة الأولى..

تمتلك شعرًا أبيض شبه متجعد.. إحدى عيناها بيضاء تميل إلى اللون الرمادى الفاتح..

فرد متلعثمـًا:

- أنا زياد ابن الحاج أحمد..

- بابتسامة باهتة ردت عليه:

- أهلًا وسهلًا.. أومال مكنتش بتيجى مع أمك وأبوك ليه؟!

- رسم على وجهه نفس إبتسامتها الباهتة، وبصوت يملؤه التهكم قال لها:

- بابا مكنش بيرضى يخلينا نيجى.. أصله كان بيخاف علينا من مصر- وضغط على الحروف- والناس اللي فى مصر..

وبنظرة فاحصة له من فوقه لتحته قالت:

- وأمك عاملة أيه هي، واخواتك؟

- بلهجة استنكار قال لها:

- كويسين الحمد لله.. هو مين حضرتك متعرفتش بيكى؟

تجاهلت الرد على سؤاله وقالت:

- طيب يا بنى إذا احتجت حاجة خبط عليّا.. أنا ساكنة فى الشقة اللي قصادك ديه على طول. ثم أشارت له عليها، وتركته عائدة إلى شقتها..

دخل زياد إلى الشقة، وأنار المكان فرأى التراب وهو يعلو كل شيء..

إضاءة الشقة قاسية صفراء تُزيدها كآبة.. الرائحة مكتومة غير مرغوب فيها، ورأى فى أحد الأركان مبخرة بها أثار للفحم فقال لنفسه متأففًا:

«أناهاقعد هنا إزاي؟ ده مكان متنضفش من ساعة ما اتبنى وبدأ عملية التنظيف».

كنس الشقة ومسح الأتربة عن بقايا الأثاث الموجود إلى أن احتاج لمياه لإزالة أثار المخلفات والأتربة، فبحث عن شيء يضع فيه مياهًا فلم يجد أى أدوات لوضع المياه..

بحث عن الحمام فلم يجد له أى أثر إلا حوض صغير داخل الصالة به حنفية قديمة صدئة..

خرج من الشقة قاصدًا لتلك الجارة التى رأها منذ قليل ليطلب منها إستعارة بعض الأدوات لمسح الشقة بالمياه.. طرق باب شقة جارته، وفُتح الباب فقال بصوت خفيض خجلًا:

- لو سمحتي أنا عايز بس حاجة أحط فيها ميه عشان أنظف الشقة..

- وماله يا حبيبى دقيقة واحدة. ثم عادت إلى الداخل..

- قام بالنداء عليها عندما تأخرت بالداخل:

- يا حاجة.. فظهرت حاملة لأدوات النظافة مبتسمة له وقائلة بحنان:

- أنا يا بنى اسمي: محاسـن، وممكن تعتبرنى زي أمك..

- متشكر قوى على تعبك، وعندما استدار ليعود مرة أخرى إلى شقته نادت عليه:

- خد أنت رايح فين؟

- هروح على الشقة عشان أملا ميه وأكمل تنضيف..

- فقالت ضاحكة:

- ملي المية من هنا.. الحمام أهو..

- وقف مندهشًا: وقال لها؟ أهو فين؟!!

- قدامك أهو، وأشارت إليه، وقالت وهى تُغلق باب شقتها: إذا احتجت أى حاجة تانية تعال خدها متتكسفش..

وقف طويلًا أمام هذا الحمام يتأمله..

الحمام مشترك بين الشقتين.. يقع تحت بير السلم المظلم، ويستمد إضاءته من لمبة الطُرقة التى بين الشقتين.. بابه من الخشب البنى المتآكل المتراص بجوار بعضه البعض، ولا يصل للسقف من أعلى وقصير أيضًا من أسفل كأنه باب لكوخٍ قديم، والخشب به فتحات عندما اقترب منها استطاع رؤية ما وراءها بسهولة..

ملأ بعض المياه، وعاد إلى الشقة لإتمام عملية النظافة، وفارقه التعب عند شعوره بإنجاز عمله، فتجول فى الشقة لاستكشافها..

الشقـة عبارة عن غرفتيـن.. غرفة فى أقصى اليمين وغرفة فى أقصى الشمال.. يتوسطهـما صالـة واسعة بها فتحة علوية كبيرة عندما نظر لها من الأسفل شعر كأنه فى قاع بئر عميقة.. هذه الفتحة العلوية كانت منور المنزل.. بعض شبابيك الدور العلوى مطلة على المنور الذى يتوسط الشقة.. هناك بعضٍ من بصيصٍ لأنوارٍ خافتة ضعيفة تخترق الظلام مع بعض الأصوات من هنا أو هناك..

لفت نظره شيء معلق بأحد حوائط هذا المنور.. أنه شنطة أو كيس..

أحضر كرسيًا وتناوله.. فوجده شنطة جلدية قديمة عليها تراب كثيف جدًا.. لم يفتحها بل تركها بلا اهتمام بأحد أركان الشقة، فقد تسلل إليه شعور بالإجهاد والإرهاق؛ وهاجمه النوم ولكنه يشعر بأرق.. فالجو خانق مخيف مُشبع بالنداءات الغامضة؛ والخيالات المُريعة..

قام باحثًا عن أي شباك فوجد شباكًا مغلقًا فتحه بمشقة، الجزء السُّفْلى من هذا الشباك تحت الأرض والعلوى منه لا يرى الشارع إلا من خلال طاقة صغيرة جدًا، وبمعنى أدق تعتبر هذه الشقة بدون أى منافذ للتهوية إنها تُشبه الكهف..

لم يدر كم مر عليه من الوقت؟ فخرج قليلًا أمام المنزل لاستنشاق بعض الهواء النقى؛ فرأى جارته محاسن جالسة على مصطبة صغيرة أمام مدخل البيت، وضحكت عندما رأته وقالت:

- أيه اللى مسهرك؟ مش جايلك نوم صح..؟ ده طبيعى يا بنى عشان غيرت نومتك!!
- أنا لقيت الشقة جوة مكتومة قوى؛ قلت أطلع أشم شوية هوا.. إلا بالمناسبة:
- هيَّ الشقة مفهاش شبابيك غير الشباك ده المدفون تحت الأرض؟
- لأ مفهاش إلا الشباك ده، والمنور هوا المكان الوحيد اللى هيجبلك هوا.. أصل زمان كان مكان شقة أبوك وشقتى مخزن متأجر لناس، وسابوه بعد فترة.. أبوك فكر يأجرهم شقق، وهو خد شقة وأجر الشقتين اللي فى الدور اللى فوق، وبعدين يا سيدى أبقى هاتلك مروحة..

رد عليها زهقًا بما يسمعه وقال بلامبالاة:

- عن إذن حضرتك أنا داخل أنام.. تصبحى على خير، وعاد إلى الشقة مرة أخرى..

راوده بشدة الشعور بعدم الارتياح تجاه تلك السيدة الغامضة فقال وهو يُحدث نفسه: وبعدين أمى مجبتليش سيرة أن فى حد ساكن فى البيت هنا.. عمومًا مش مهم لما أبقى أشوفها هاسألها.. «وبعدين أمى مجبتليش سيرة أن فى حد ساكن فى البيت هنا.. عمومًا مش مهم لما أبقى أشوفها هاسألها...».

الجو البارد الخانق، والملل جعله يبحث عن أى شيء يملأ به فراغه لعله يقتل الوقت..

لمح الكيس الجلدي الذى كان قد تركه بإهمال بجوار أحد جدران الشقة، فانقض عليه ونفض عنه الأتربة ومسحه.. فرأى كتابة عليه من الخارج وقرأ المكتوب عليه:

«اكتم ما ترى من الأسرار، وعليك طاعة الأملاك، واعلم أن جميع الأمكنة لا تخلو من الأرواح الخفية!!

وإن أردت عملًا من الأعمال فى أى مكان؛ عليك أولًا صرف سكانه من الأرواح والعُمّاَر.. لأن سكان كل مكان من الأرواح الخفية لا يسمحون لغيرهم من الأرواح الموكلين بخدمة الأسماء والدعوات بالدخول إلى أمكانهم إلا إذا أمرهم الطالب بإخلائه لهم!! ثم بعد إتمامك للعمل ءُأُمُرهم بالعودة إلى أمكانهـم مرة أخرى».

فتح الكيس الجلدى، ووجد به مجموعة من الأوراق الصفراء القديمة فجلس يقرأ إلى أن غاص فى القراءة فقال لنفسه متعجبًا: أيه الكلام ده؟ ده كل المكتوب فى الورق بيتكلم عن الروحانيات، وأيه الرسومات الغريبة دية؟!!

شرد ذهنه فقد كان يسمع بقريته حكايات كثيرة عن الجنية، والنداهة، والمس والسحر وكان لا يكذب ولا يصدق ما يسمع.. غافله النوم فجأة.. فنام، واستيقظ فى الصباح التالى.. ثم ذهب إلى الكلية وهو مرهق جدًا..

مر عليه اليوم الأول بالكلية سريعًا، وقام بإنهاء الإجراءات وكارنيه الكلية الخاص به، وحضر أولى المحاضرات وكانت المفاجأة الكبيرة له فيمن رأه يأتى للجلوس بجواره.. أنه بدر.. ابن عمه!!

رحب به واحتضنه وقال:

- أيه اللى جابك هنا يا بدر؟!

- أنت أيه اللى جابك هنا؟

- أنا طالب هنا فى الكلية..

- يا محاسن الصدف.. أنا كمان طالب هنا..

- مش عايزك تزعل ولا تشيل من اللي حصل فى العزا.. أنت عارف سيد أخويا عصبى..

- ولا يهمك.. هو معذور برضه، وبعدين إحنا ولاد عم، والدم عمره ما يبقى ميه.. هو أنت قاعد فين؟

- قاعد فى شقتنا بمنزل أمى القديم فى حتة شعبية.. إنما مية مية،،

شرد زياد بذهنه.. فقد تذكر والدته عندما كانت تحكى له ولأخوته عن عمه وزوجته وابنهما بدر.. كانت تروي أن بدر مزهو بنفسه كثيرًا ومغرور، وذلك اتضح له عندما رأى زملاء وزميلات بدر يلتفون حوله..

سأل نفسه: كيف استطاع بدر معرفة كل هؤلاء الزملاء من أول يوم دراسى؟ إنه متفتح يجيد عمل الصداقات.. يتميز بمظهر راقٍ يضُفى على وسامته غموضـًا مثيرًا.. له أسلوب ناعم سلس لا يخلو من التجارب الكثيرة.. واسع الخيال..

مرت الأيام واعتصر الملل زياد، ولم يتخلص منه إلا بعض سويعات يقضيها مع بدر وبعض الزملاء والزميلات بالكلية، وأفصح بدر لزياد عن رغبته فى العمل؛ الذى يمكن أن يُدر عليه دخلًا يُضاف إلى النقود التى تُرسل له من البلد، وفى نفس الوقت يُشغل نفسه بهذا العمل..

- بقولك يا بدر؟ أنت بتروح كل يوم البلد وتيجى، ولا بتعمل أيه؟
- أنا عملت كدة أول كام يوم؛ بس تعبت من المشوار والمصاريف، ودورت على لوكاندة كدة فى الحنْين اسكن فيها.. بس يا زياد الملل هيموتني، والمصاريف كتيرة، وادينى هاشتغل مؤقتًا آخر النهار فى مطعم، ويومى تقريبًا هيكون مليان، وهسلي وقتى وبرضه أجيب فلوس.. ما أنت عارف أن الفلوس اللي بيبعتوها من البلد بتكفى بالعافية.
- طب ما تيجى تسكن معايا، وتوفر فلوس اللوكاندة، وأدينا نشجع بعض ونذاكر سوا، وأنا عندى أوضة فاضية..

رد ضاحكًا:

- لأ يا عم زياد أنت عايز الحاجة والدتك وأخوك يزعلوا منك.. ما أنت عارف أنهم ولا بيطيقونى، ولا بيطيقوا أبويا وكمان مش عايز أتقل عليك..
- يا عم خليها على الله.. هما هيعرفوا منين؟ جهز نفسك أنت وشوف بس هتيجى أمتى؟

مرت الأيام على زياد ثقيلة، وأخيرًا قابل بدر فى الكلية، والذى قال له بمجرد رؤيته:

- يلا يا عم شقتك هتنور.. أخوك بدر هيتعطف عليك وهيسكن معاك.. هنخلص المحاضرات النهاردة، وتيجى معايا اللوكاندة أصفى حسابي، ونَروح على طول على السكن بتاعك..

بعد إنتهاء اليوم الدراسى والذهاب إلى اللوكاندة وشراء بعض الحاجات الضرورية والأغذية توجها إلى شقة زياد؛ وانكسر الملل قليلًا بوجود أنيس لزياد يتكلم معه ويأكل معه، وفى المساء جلس بدر يُحدث زياد عن نفسه وعن أسرته، وعن عدم رضاه للقطيعة التي كانت بين والده ووالد زياد، وعن معاناته عندما تزوج أبوه بامرأة أخرى غير والدته، وتَركه له، ولوالدته بمفردهما، وانتقال والده للسكن مع زوجته الجديدة بإحدى القرى المجاورة القريبة، وأن له أختًا لم يرها كثيرًا، وكيف كان والده لا يرسل لهم المصاريف إلا بالكاد وللضروريات؛ مما دفعه للقبول بأى عمل مهما كان وذلك من أجل تحصيل المال..

تبلّور حديثه حول كتلة عظيمة من الكره العميق لأبيه، والشعور بمدى الحرمان من الإحساس بأن لديه أبًا يرعاه كبقية زملائـه؛ مما ملأه حقدًا وغلًا تجاه كل ما يمتلكه الغير، وحزنه لإحساسه النفسى

بأنه مظلوم فى هذه الحياة البائسة، وأنه يستحق حياة أفضل من تلك التى يحياها، وأنه لا يرى نفسه إلا بمركز كبير يُدر عليه احترام وقبول الناس له، وإن حيازته لمؤهل عالٍ يمكن أن يكون بداية الطريق لتحقيق ذاته، وأمانيه، ولا يعنى بحثه عن عمل أنه لا يجد دخلًا يعيش به.. بل إنه قبل العمل بأحد المطاعم الكبيرة والعمل بوردية مسائية لوقت متأخر من الليل- مع أن الشغل ده مش من مقامه- لأنه يشعر بوحدة رهيبة، وفى نفس الوقت الاستفادة من علاقات العمل.. لعلها تنفعه فيما بعد. فطموحه ليس له حدود، وإنه يتمنى إمتلاكه للقدرة المُطلقة حتى يحقق كل أمانيه.. كما تفاخر بعلاقاته مع الجنس الآخر ثم استطرد قائلًا: أنا وجعت لك دماغك أنا هخرج أتهوى برة، وأشرب سيجارة..

بعد خروج بدر مر الوقت بطيئًا على زياد الذى جال بالشقة باحثًا عن أى شيء يُشْغل به نفسه.. فرأى الشنطة الجلدية وأخرج ما بها من أوراق صفراء وبدأ بقراءتها بغرض التسلية:
إنها كتابات تشبه قصص ألف ليلة وليلة تحكى عن العالم الخفى والمرعب «عالم الجن والعفاريت». عن تجارب شيقة مثيرة سهلة التنفيذ عن الإتصال بعالم الجن؛ تستفز قارئها لتجربتها؛ فهذه طريقة إستحضار لملوك الجن، وأخرى عن خواص الحروف والأرقام، وتلك عن جلب الأحبة وحرق القلوب، وبعضها عن الدخول على الحكام، وغيرها وغيرها...

لفت انتباهه وجود إحدى الصفحات بيضاء بدون كتابة ثم ظهرت فجأة كتابة خافتة على هذه الصفحة البيضاء واختفت مرة أخرى، قلب الصفحات وعاد مرة أخرى إلى هذه الورقة فرأها بيضاء كما رأها أول مرة، وتكرر ظهور الكلمات عند النظر إليها مرة أخرى؛ كأن الأوراق تستمد مدادها من نظرات عينيه لها.. فلم تظهر أى كتابة إلا فى المكان الذى ينظر إليه، وتختفى هذه الكتابة عندما يشيح بنظره عنها مثل الشمعة تضىء المكان عندما يشتد لهبها، ويُظلم المكان فلا يُرى أى شيء عندما تخبو نارها. فقام مسرعًا، وأحضر قلمًا وورقة محاولًا كتابة الكلمات والسطور.

كان يُعيد وضع الأوراق كما كانت وفتحها للقراءة مرة أخرى كما لو كانت هذه قراءته لها لأول مرة، وذلك حتى يتسنى له كتابة ما بها من كلمات وسطور..

بعد معاناة قراءة الأوراق مرة تلو الأخرى أكثر من مرة كتب كل ما فيها، وبدأ بقراءة ما كتبه:

«لقد اطلعت على قسم شريف عظيم من الأسرار المكنونة، والزخائر النفيسة المخزونة؛ فاحفظه جهدك عن غير أهله، واكتم سره، ولا تُظهر أمره».

أكمل القراءة بتركيز، وكرر قراءة ما كتبه أكثر من مرة، ولم يشعر بنفسه إلا فى صباح اليوم التالى.. فقرر عدم الذهاب إلى الكلية، وهرول إلى الخارج باحثًا عن محل يبيع مستلزمات العطارة ووجده، وقال للعطار:

- لو سمحت عايز تشكيلة البخور اللي موجودة فى الورقة ديه، وناوله الورقة..

قرأ العطار بصوت عالٍ وقد قضب حاجبيه: «جاوى، عود، كندر مستكى، ميعة، سندروس، طقش مغربى»، ونظر إلى زياد نظرة ثاقبة وكأنه يعلم ما ينوى فعله ثم قال له:

- عايز قد أيه من كل صنف؟
- أي كميات..
- قال العطار بتهكم:

هو أنت مش عارف المقادير ولا أيه؟ عمومًا أنا هديلك كميات صغيرة، وإذا احتجت تانى أديك عرفت الدكان تعال خد تانى..

- عاد زياد إلى الشقة ،وأشعل فحمًا فى المبخرة القديمة الموجودة فى الشقة ووضع عليه البخور ذو الرائحة الزكية جدًا، والذى يبعث الطمأنينة فى النفس.. ثم قام بتنظيف الشقة مرة أخرى، ورش بعض المطهرات الكيماوية هنا وهناك وفى الأركان، ثم ذهب لأخذ حمام واستبدل ملابسه فقد كان الأمر يستلزم طهارته جسدًا وثوبًا، ومكانًا..

تطهر وتوضأ وصلى، والبخور منطلق فى الشقة يخترق كل ركن وجانب..

قرأ المطلوب فى الأوراق مائة مرة بعد الصلاة، وكان عليه أن يقرأه بعد منتصف الليل مائة مرة..

وفى صبيحة اليوم التالى ذهب للعطار ليشترى بودرة تُسمى بدم الغزال فقد كانت مطلوبة لكتابة رسم معين مرسوم بالورق الأصفر عرف من قراءته لتلك الأوراق أن اسمه«طلسم»، ورسمه على كف يده اليمنى وكف يده اليسرى مثلما هو مرسوم مع استمراره لإطلاق البخور كل يوم وكل ليلة وتكرار القراءة لمدة سبعة ليال، ومرت عليه الليلة الثامنة وهو ما زال على مداومته لتكرار الطقوس اليومية المعتادة بعد كل صلاة وقبل النوم، ونام واضعًا كفه اليمنى تحت خده الشمال على صدره، وزاره طائر الأحلام فقد رأى نفسه جالسًا على كرسى شبيهًا بكراسى الملوك سامعًا لوقع خطوات كأن أشخاصًا يتحركون حوله، ولكنه لم يرى أحدًا، وسمع صوتًا داخل عقله يقول: «إكشفوا الحجاب الذى بينه وبينكم حتى يراكم بعينه ويخاطبكم بلسانه».

استيقظ فى الصباح متثائبًا متكاسلًا وكأن المصباح الذى يُنير الغرفة كان ينتظر صحوه من نومه لينطفىء، وينتشر الظلام بالشقة التى كانت لا تختلف كثيرًا عن القبـر..

فى تلك اللحظة ضرب هواء ساكن رطب صدره ليلقى عليه شعورًا بالراحة والطمأنينة، وملأ المكان دخان أبيض مثل الضباب.

***

عاد بدر من عملـه متأخرًا كالمعتاد، ووجد الحاجة محاسن تجلس على باب المنزل فبادرها بالسلام:

- السلام عليكم.

لم ترد السلام وقالت:

- أنا لسه شاربة شاى.. تشرب شاى؟

لم تنتظر رده بل نادت قائلة: ماريا.. اعملى كوباية شاى..

وقف يتحدث مع الحاجة محاسن حتى أتت فتاة فاتنة تحمل صينية عليها كوب واحد من الشاي، ولم تخرج من المنزل بل وضعت الصينية بمدخل المنزل، ولم تنطق بأية كلمات ثم دخلت مرة أخرى..

اندهش بدر من هذا التصرف وحدث نفسه: أيه قلة الذوق دية؟ بس سيبك أنت البت أمورة قوى..

بدأت الحاجة محاسن بالكلام مرة أخرى:

- دية بنتى ماريا بتدرس فى ثانوى، والمدرسين مبيبطلوش دروس خصوصية وملهموش دعوة بظروف الأسر.. نجيب لهم فلوس منين؟ ده ناس معندهاش رحمة..

هاجس بداخل نفسُه ألح عليه باستغلال هذا الموقف.. فرد عليها سريعًا قبل تفويت الفرصة: أنا ممكن أساعد ماريا فى الدراسة..

تلك المساعدة التى تجسد رغبته الدفينة فى الحصول على أي مقابل أو على الأقل استغلال براءة الفتاة الفاتنـة..

- مش عايزين نتعبك..

- قال بدر بطريقة تمثيلية: لا تعب ولا حاجة أنا تحت أمركم.. ده حتى الجار للجار، وعمومًا أنا بكرة قاعد مش رايح الكلية، ولو يناسبكم تكون أول حصة بكرة..

أتم شرب الشاى واستأذن منصرفًا..

دلف إلى داخل الشقة، ورأى زياد نائمًا فاستبدل ملابسه ونـام مرهقًا بعد معاناة يوم كامل ما بين الكلية والعمل فمر أمامه كابوس كأنه حقيقة فرأى: «كائنات بشعة بلا رؤوس، وأخرى كأنها قردة، ورأى نفسه فى مكان عالٍ يَسْقُطَ منه متهاويًا لأسفل». فاستيقظ من نومه ضَيَّقَ الصدر.. يساوره شعور يرهق عقله إرهاقًا ينبهه بوجود أخطار يمكن أن تحيق به، ولكنه لم يُلق له بالًا ونام مرة أخرى..

فى صباح اليوم التالى استيقظ بدر على صوت طرقات فقام متثائبًا كسولًا مضطرًا لترك السرير، وقام بفتح باب الشقة بتأفف وعلى وجهه شعوراً بالضيق فارقه فورًا بمجرد رؤيته لوجه الطارقة فقال بترحاب:

- أهلًا يا حاجة محاسن إزاى حضرتك؟ اتفضلي..

- قلت أفكرك بعد ما تفطر تيجى تشرب الشاى معانا، وتبص على منهج الدراسة اللي بتدرسه ماريا..

- حاضر.. اتفضلى أنت، وأنا هاجى ورا حضرتك..

خالجه إحساس بالانتصار.. فالظروف تخدمه، فربما توجد إستفادة من هذه المعرفة الجديدة بجيرانه.. وبعد مرور فترة وجيزة ذهب للحاجة محاسن، وأجلسته مع ابنتها ماريا ليتجاذب معها أطراف الحديث عن الدراسة لاستكشاف كيفية البدء فى شرح الدرس الأول لها، وللتعرف على المناهج الدراسية ، وبعد فترة وجيزة من إطلاعه على مقرارتها الدراسية نادت على ماريا أمها..

فى تلك اللحظة رفع عينيه عن الكتاب الذى بيده لأنه تخيل أنه رأى بطرف عينه شيئًا يجرى أمامه بسرعة فى ركـن الغرفة فركز بصره على المكان الذى خُيل له رؤية هذا الشيء فيه فرأى كائنـًا أو مـا شـابه ليست لـه ملامح..

استمر ظهور هذا الخيال مجرد جزء بسيط من الثانية، ثم اختفى كل شيء.. هز رأسه محاولًا الاستفاقة من الحالة التى أصابته، وألقى بتبعات تخيلاته على الإرهاق الذى أدى به إلى غياهب الوسوسات التى جعلته غير مدرك للحظة الفاصلة بين الواقع والخيال..

فى نفس اللحظة دخلت ماريا حاملة لكوب من الشاى وبعض قطع الكيك، وتذاكر معها بعض الدروس، وبعد وقت ليس بطويل قال لها:

- إحنا خلصنا جزءًا كبيرًا، وهنكمل بعد كدة..

انصرف تتثاقل خطواته فحملها ذاهبًا إلى غرفته يفترسه الخوف.. فما رأه أو تخيله بمنزل ماريا ما زال شاخصًا بخياله..

هدهد نفسه وأقنعها بأن ما رأته عيناه ليس بواقع وما هو إلا مجرد عارض..

مر الوقت بطيئًا.. ففكر فى أن يغتسل وخرج من الشقة حاملًا أدوات الاغتسال، وسمع صوت مياه بالحمام.. وقف مترددًا وهم بالرجوع إلى الشقة مرة أخرى؛ ولكنه لم يعد لسكنه بل حدثته نفسه:

((أه لو البت ماريا اللى فى الحمام تبقى أمك دعايلك))..

ذلك التردد الذى عايشه منذ لحظات تلاشى مع شعوره باحتمالية رؤية ماريا بالحمام؛ فسبقته عيناه لجنبات خشب باب الحمام، واسترق النظر فلم ير ما بداخل الحمام جيدًا.. فاقترب منه أكثر حابسًا لأنفاسه فرأى ماريا تغتسل وبانجذاب جنسى قابل للاشتعال تفحصتها شهوته..

جسد ثائر ينبض بالأنوثة..

شعر أسود فاحم..

بياض شفاف كالحليب..

نهدان صلبان..

ساقان مغرورتان يلهث لرؤيتهما الكبرياء..

لغة جسدها تحترف ملكات الإغواء والإغراء.. فتتباطأ أمواج إنحناءاتها لتصطدم بشهوته المتأججة،،

لم يقاوم لذة شعوره بالرغبة وهى تُشعل جزيئات جسده احتراقًا!!

فالشهوة لا عقل لها، ولا صبر عليها..

لمعت عيناها عندما تلاقت بعينيه فتراجع مذعورًا خجلًا، ولم تتفاجأ هي ولم تخجل.. بل إنها لم تستر حتى نفسها بل زاد تبسمها مع استمتاعها بتدفق المياه، واتسع لهوها بعفوية طفلة لاعبة تحت المطر..

ترك المكان لاهثًا متراجعًا إلى سكنه محتويًا توتره الجنسى مع احتضانه لأدوات الاغتسال فتعثر بالحاجة محاسن فوقعت أدوات الاغتسال منه على الأرض..

الانفعال كاد أن يمزق أوصاله..

استرد أنفاسه ونظر إليها ببلاهة مُصطنعة. ثم انحنى لالتقاط هذه الأدوات قائلًا ببرود:

- ازيك يا حاجة؟

نظرت إليه بصمت وكأنها تغوص بداخله. فأفلت من نظراتها قائلًا لها ببراءة خبيثة:

- أنا كنت داخل الحمام بس لقيته مشغول، وتركها عائدًا إلى سكنُه مع تنفسه الصعداء فقد أفلت من فضيحة مدوية..

وقع بدر بمرحلة بينية بين تصديق وإنكار فعلته، وتذبذب شعوره بين قطبين متناقضين هما: «احتقار الذات من جهة، والتعالى بتلك الذات من جهة أخرى»، وانفصل عقله عن وجدانه، واختلط بإرادته فى استمراريته لتعاطى الشهوة التى تُحيط به. فلم يُحذر نفسه من السقوط فى بئر الرغبة.. بل شجعها..

شعر بنشوة غريبة وزاد جوعه نحو ماريا؛ عندما تذكرت عيناه جسدها، ولم يشعر بدناءة نفسه بل جلس يفكر فى كيفية إشباع رغبته بأية طريقة..

استلقى على سريره ناظرًا إلى سقف الغرفة.. فتخيل نفسه فى بستان رائحتة زكية.. كثير الأزهار، والفاكهة، والخضرة وماريا هناك تلعب كالأطفال مع الفراشات وتشير له وتنادى: تعال..

هناك شيء ما يحرك نفسه لها..

فى تلك اللحظة أتى زياد من الخارج، ودخل إلى الشقة، وقام باستبدال ملابسه. ثم دخل على بدر فى غرفته، وتنحنح: إحم إحم نحن هنا..

نادى أكثر من مرة: بدر.. بدر بدر فلم يجبه بدر فاتجه إليه وهزه من كتفه قائلًا: أنت سرحان فى أيه؟

انتبه بدر ونظر له مبتسماً.. فقال له زياد: إيه يا سى بدر؟ رحت لحد فين؟ أنا جيت من بدرى وعمال أكلمك وأنت مش هنا.. أنت مكنتش بترد عليّا ليه؟ أنت بتحب جديد ولا أيه؟

رد بدر عليه وما زال مبتسماً هادئًا: معلش أنا كنت سرحان شوية..

ضحك زياد قائلًا: مش معقولة نبقى قاعدين مع بعض وأشوفك كدة زى الضيوف، يا أخى أنا بشوفك كل فين وفين..

- غصب عنى يا زياد ما أنت عارف الظروف.. الكلية من ناحية والشغل من ناحية تانية..
- طب بمناسبة أنك قاعد وأنا قفشتك لازم ناكل لقمة مع بعض.. أيه رأيك تحب تاكل أيه؟ أنا يا عم اللى هاعمل الأكل.. ده بس عشان بقالنا كتير مكلناش مع بعض، ومتخدش على كدة..

تم وضع الطعام وجلسا يأكلان فقال بدر: أيه رأيك يا زياد فى الحاجة محاسن؟

زياد: أنا مقابلتهاش إلا مرة أو مرتين.. عادى يعنى..

بدر: وماريا...

رد زياد مندهشًا وبتركيز شديد: ماريا مين؟

بدر: بنتها!!

رد زياد باندهاش أعمق: بنتهـا.. أنا مشفتهاش خالص.. هو أنت شفتها فين؟

قال بدر ضاحكًا متجاهلًا الإجابة: هو أنا مقولتلكش.. الحاجة محاسن طلبت مني أديها درس، وأنا من ناحيتى قلت أساعدها فى الدراسة.. ما أنت عارف الثانوية العامة وصعوبتها..

رد زياد بغضب هائل: وكمان هتديها درس.. إزاي يعنى متقوليش على حاجة زى كدة؟

قال بدر محتدًا: بقولك أيه ديه حرية شخصية..

زياد: حرية شخصية لما تبقى قاعد لوحدك، ولو ده تفكيرك تبقى فاهم الحرية غلط..

الحرية اللى بتتكلم عنها يا أستاذ يا جامعى مش مُطلقة.. حرية الاعتقاد هى بس اللى مُطلقة.. لكن الحرية فى المجتمع بيحكمها القانون والأصول.. يعنى مش كل واحد دماغه تقول له يعمل حاجة يقوم يعملها، وبعدين أنت من أمتى بتخدم حد؟ ده حتى يوم الإجازة يأما بتخرج أو بتنام؛ وحتى مبيُهنش عليك تنظف الشقة اللي أنت قاعد فيها!! كأنك ساكن فى لوكاندة..

بدر: أنت هتتفلسف ولا بتذلنى على القعدة معاك، ولا قصدك أيه؟ وبعدين أنت زعلان عليهم كده ليه؟ هما من بقية عيلتك.. ثم تصنع الهدوء والبراءة جاعلًا من اللامبالاة ستارًا يخفى وراءه توتره وقال: ناس محتاجين خدمة، وأنا وقفت جنبهم محصلش حاجة يعنى!!

رد زياد متهكمًا: وقفت جنبهم.. عليّا أنا الكلام ده.. يا أخى قول كلام غير ده.. قولى حاجة أصدقهـا..

حاول بدر تغيير دفة الحديث وقال: خلي نواياك كويسة، وهدى أعصابك بس وقولى: أنا بشم ريحة بخور من وقت للتاني وبشوفك على طول بتبخر الشقـة.. هو أنت قاتل ناس ودافنهم هنا زي ريا وسكينـة.. قولي بس وأنا هغطى عليك؟

قال زياد بحدة: شوف أنا بكلمك فى أيه، وأنت بتدخلنا فى موضوع تانى ملوش لازمة، وعلى العموم أيوة ياسيدى: أنا قاتل ناس ودافنهم هنا زي ريا وسكينة.. تحب تجرب؟ ثم أضاف متأففًا: ماهو اللي بيفهم بيريح.. حاجة بالعقل كده مكان مفهوش شبابيك، ولا أي منفذ تهوية إلا المنور.. أكيد ريحة المكان بتبقى مكتومة ولازم ريحته تتغير..

انتفض بدر بصورة مفاجئة وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بيتهيألى إني شفت حاجة..

زياد: حاجة أيه؟

- كأنى شفت حاجة بتجرى من قدامى بسرعة.. بس لما بصيت ملقتش حاجة!!
- عادى يا عم المرعب.. ما أنا كمان كتير بيتهيألى إنى شفت حاجة زي الخيال بتجرى من قدامى، ولما أبص كويس ملاقيش حاجة.. بس بينى وبينك مبشغلش بالى، وبأقول لنفسى أنا متهيألى..

بدر: أنا هخش أنام شوية عشان أقدر أروح الشغل بالليل. ثم انصرف إلى غرفته..

جلس زياد وحيدًا يُفكر مليًا فى تصرفات بدر. ونهشته التساؤلات نهشًا، وتملكه حدس غامض بالشك فى ابن عمه وسأل نفسه: من هذه البنت التى يتحدث عنها بدر؟ إنه لم يرها منذ قدِم إلى الشقة.. وهل نسى بدر أن يُخبره فعلًا؟ أم ينم هذا التصرف عن سوء نية تجاه ابنة جارته؟!

تمنى وقتها أن يكون لديه قوة خارقة؛ حتى يتمكن من أن يشعر بمكنونات نفس رفيق السكن..

تشوشت الأفكار داخله، ووسوست له نفسه بأنه يجب عليه أن يتلاشى لديه الشعور بالإيمان بالصداقة..

هاجمه الإغفاء مرة أخرى، ورفرف حوله طائر الأحلام مُحلقًا، ورأى رفيق السكن صارخًا ضاحكًا بهيستريا وممسكًا بيديه شُعلة يُشعل بها النار فى كل محتويات الشقة؛ لتشب نار عظيمة بأرجائها.. لكنها لم تُحرق أى شيء، ولمح فى أحد الأركان فتاة تنظر له مبتسمة ولم يتبين ملامحها..

فى هذه الأثناء استيقظ متكاسلًا لا يعرف تفسيرًا لما رآه.. فهل يمكن للخواطر والمشاعر التى نعايشها كل لحظة وكل يوم أن تؤثر فينا لنرى أثارها فى أحلامنا؟

هل يمكنها أن تخلق عداءً حادًا متعاظمًا يُغير دفة مشاعرنا تجاه الغير؟

فى تلك اللحظة سمع صوت خطوات خافتة متسللة.. لم يرفع رأسه حتى لا يُشعر المُتسلل بأنه مستيقظ بل فتح عين وأغلق الأخرى؛ فرأى بدر وهو يمشى بخفة. ثم أتى بهدوء إلى فراشه ليتأكد من نومه؛ ثم اتجه لباب الشقة وفتحه بخفة وخرج، ولم يُغلق الباب خلفه..

تسلل زياد خلفه بخفة أكثر، ولم يخرج من الشقة وإنما وقف على مدخلها مرهفًا السمع؛ فسمع طرقات خفيفة على الشقة المجاورة، وصوت بدر قائلًا:

أنا بدر.. أُمك هنا؟ أنا عايز أتكلم معاك..

لم يسمع زياد إلا صوت بدر فسأل نفسه: هو بدر اتجنن؟ ده بيكلم نفسه. ثم عاد إلى الشقة مسرعًا، وأحضر بشكيرًا وخرج مسرعًا إلى الحمام لأنه كان متصورًا فى قرارة نفسه أنه سيرى بدر متلبسًا

بمحاولة معاكسة بنت الجيران التى حدثه عنها، وفى نفس الوقت يرى تلك البنت التى تسمى ماريا.. فلم يجد بدر..

قال لنفسه: أنا بيجيلى تهيؤات ولا أيه؟ أنا متأكد أنه خرج قدامى من باب الشقة، ومتأكد إنى سمعته بيتكلم.. وفجأة انتبه ونظر مشدوهًا إلى باب شقة الجيران وقال لنفسه: إزاي ملفتش نظرى المنظر ده قبل كدة؟

فقد رأى كمية أتربة كبيرة متراكمة على باب الشقة المجاورة تُدلل على أنها لم تفتح منذ زمن طويل فعاد إلى شقته مرة أخرى.

فى هذه الأثناء كان بدر فى الطابق الثانى الطارد لساكنيه ينتظر ماريا، فقد واعدها فى هذا المكان؛ لأنه يُريد أن يجلس معها بعيدًا عن أعين الناس.. فشعر بأن الإغفاء يهاجمه، وحاول مقاومته فرأى ماريا أمامه تنظر له بوجه فاتن كالقمر، وترتدى ملابس أنثوية رقيقة خلابة.. تُظهر أكثر مما تُخفى، وبصوت عميق هامس رقيق قالت له: اتأخرت عليك؟

مرت فترة من الصمت وهو يُنظر اليها، وكأن نفسه تراها لأول مرة..

إنها فتاة فاتنة ذات قوام رائع تفُوح منه رائحة الأنوثة بتناغم آخاذ..

إنها فتاة ناضجة تحمل كافة مزايا الأنوثة مجتمعة..

أجلسها بجواره على مرتبة قديمة مهملة على الأرض، وتودد اليها، وبث بداخلها مشاعره..

غازلها؛ فأشعرته بأن سهام كلماته نجحت فى اخترق مشاعرها، وألهبت رغبتها..

لاطفها؛ فلم تُبد له أية مقاومة..

تاهت الكلمات فيما بينهما بسيل من المداعبة والملامسة والعناق..

اهدت له جسدها مُستخدمة مفاتنها كامرأة منحرفة؛ فانقض عليها انقضاض الوحش الجائع على فريسته ناهشًا لكل تفاصيلها..

تغلغلا معًا داخل سراديب اللذة..

انغمسا معًا فى أعماق النشوة..

مارسا الحب إلى حد الاحتراق..

خلقا السعادة بلقاءٍ مُمتع؛ حتى وصلا للذُروة النهائية..

شُفيت ذكورة جسده بعد نهلها من ترياق أنوثتها..

تحطم الوقت سريعًا متخطيًا حاجز الزمان، ورأى على جسده أثار غرقه فى بحر النشوة.. فنظر حوله فلم يجد ماريا وسأل نفسه: أين هى، وكيف غادرت المكان من دون أن يراها؟؟!!

نزل إلى سكنه متسللًا بهدوء حتى لا يراه زياد وهو فى تلك الحالة. فأغتسل واستبدل ملابسه وانصرف ذاهبًا إلى عمله.

وبعد خروجه بفترة وجيزة استيقظ زياد ليواجه بشغف الليلة التاسعة، وتكرر معه ما حدث فى الليلة الثامنة، والفارق الوحيد أنه لم يخالجه أى شعور بالخوف، وكأنه قد اعتاد على الأمر..

ضرب الهواء الساكن الرطب غير معلوم المصدر صدره مرة أخرى ليُلِقى عليه شعورًا بالراحة والطمأنينة، وملأ المكان نفس الدخان الأبيض الذى يُشبه الضباب..

هذا الدخان تشكل لُيصبح قططًا كثيرة سودًا وبِيضًا، وسمع نفس الصوت الذى تكلم داخل عقله سابقًا يُحدثه مرة أخرى:«تذكر كتمان الأسرار لأن كشفها يورث البوار وانقلاب الحال، واعلم أنه بعد هذه الليلة سيكون لك أثراً ظاهراً فى جذب الأرواح».

انقطع سماعه لهذا الصوت على أثر سماعه لصوت طرقات عنيفة على باب الشقة؛ فقام بالتحرك نحو باب الشقة متعصبًا، وقام بفتحه.. فوجد الحاجة محاسن واقفة بصمت تنظر لداخل الشقة، ولم تنبس ببنت شفة.. بل رمقته بغضب جم.. فبادرها بالقول: أيوة يا حاجة.. خير؟ ءُأُمرى؟

لم تجبُه، وتركته مغادرة إلى شقتها فضرب كفًا على كف وقال: هي الناس اتجننت ولا أيه؟! ثم دخل إلى غرفته مرة أخرى، وقد اختفى الدخان وعاد المكان لسابق عهده.. فأمسك تليفونه المحمول وقام بالاتصال بأمه للاطمئنان عليها، وعلى أخوته. ثم جلس وحيدًا شارد الذهن إلى أن فُتح باب الشقة وعاد بدر من الخارج فوجده فى حالته الشاردة فقال له: أيه يا زياد اللى مسهرك لحد دلوقتي؟ وأيه يا بنى ريحة البخور الجامدة دية؟ كفاية بقى خنقتنا..

رد زياد ببرود: فُكك بقى من الدور اللى بيجيلك ده.. هقعد أقولك الحكاية والرواية تانى..

بدر: ماشي يا عم عمومًا كويس إنى شفتك عشان أنا هروح البلد أزور أمى، وأقعد كام يوم لحسن أنا مقصر معاها جامد. ثم تركه ودخل لينام..

فى الصباح الباكر وبعد سفر بدر إلى البلدة لرؤية أمه سمع زياد طرقات على باب الشقة؛ فقام بفتح الباب ليتفاجأ بأسرته فرحب بهم باقتضاب، وأخذته أمه وأخوته بالأحضان..

سيد: أيه يا ندل ولا سؤال ولا كلام؟

زياد: مشاغل.. أزيك يا اما..

أمه: قلنا نسأل إحنا مدام أنت مبتسألش، وقلنا نقعد معاك كام يوم نزور السيدة والحسين..

إسراء: أيه ريحة البخور الجامدة دية؟

زياد: ريحة البخور بتجلب الخير، وكمان الشقة مكتومة..

إسراء: أنا عايزة أدخل الحمام..

زياد: روحى.. بس نورى لمبة الطُرقة هتديلك نور فى الحمام؛ عشان لمبة الحمام مش شغالة..

أم زياد: استني أنا هروح معاك، وخرجا إلى الحمام، ودخلت إسراء الحمام، وظلت أمها خارجًا بانتظارها..

فى هذه الأثناء فُتح باب الشقة المقابلة وخرجت منه الحاجة محاسن متوجهة إلى أم زياد قائلة لها: أيه الغيبة الطويلة دية؟

ارتعبت أم زياد للحظة ونظرت إليها راجفة وقالت: أزيك أنت يا حاجة محاسـن عاملة أيه؟

محاسن: من زمان محدش شفاك.. أنتِ خلّصتي مصلحتك وقلتي عدو لى..

أم زياد: لا أبدًا. ما أنا كنت عارفة أن الحاج كان بيشقر عليك، وبعدين أنتِ عارفة العيال ومشاكلهم، معلش يا أختى الدنيا مشاغل..

محاسن بتهكم: أه.. العيـال.. ده أنا كنت نسياهُمُ.. وهما عاملين أيه؟

فى هذه الأثناء خرجت إسراء من الحمام فالتفتت إليها أمها، ونظرت إسراء لأمها باستغراب وقالت: أنت كنت بتكلمى نفسك ولا أيه؟

التفتت أم زياد لُتشير إلى الحاجة محاسن فلم تجد أحدًا فأمسكت ابنتها من يديها وقالت: يلا.. وأوعي تيجي تُخشي الحمام من غيرى؛ أديك شايفة مفيش نور والمكان شكله وحِشِ، وعادا مرة أخرى إلى الشقة فبادرهما سيد بالقول وهو ينظر لإسراء قائلًا: مالك يا بت؟

فردت أمه: مالها؟ ما هى كويسة أهى..

سيد: مش قصدي يا اما.. أنا بس حاسس إن وشها مصفر شوية..

إسراء: مفيش حاجة، ولكنها من داخلها تشعر بالخوف والقلق من شيء لا تعرفه..

فى هذه الأثناء قام سيد بالتجول فى الشقة، ورأى بالغرفة الأخرى كتبًا وملابس وحذاء؛ فنادى على زياد وسأله: الحاجات دية بتاعتك ولا بتاعة مين؟

زياد: لأ.. ده واحد زميلى فى الكلية من البلد جه يقعد معايا كام يوم أهو يسلينى.. ما أنت شايف القعدة هنا عاملة إزاي، وإذا كنت بتفكر فى النومة أمك وأختك هيناموا فى الأوضة الثانية مع بعض، وأنا وأنت هنا فى الأوضة ديه.

سيد: لأ أنا مش هبات هنا.. أنا هروَّح عشان أشوف الأرض..

زياد: ما تقعد معانا يومين- وفى قرارة نفسه يتمنى ذهابه بس لازم يعزم عليه-

سيد: لأ مش هقدر..

فى هذه الأثناء قامت أمه وأخته بإعداد بعض الأطعمة من التى أحضروها معهم من البلدة، واستأذنهم سيد فى السفر..

بعد رحيل سيد سر زياد كثيرًا لأنه كان يُريد إتمام طقوسه وحيدًا فقام بإغلاق باب الغرفة على نفسه وقال مشجعًا لنفسه: يلا يا بطل بقيلك ليلتين، والليلة دية الليلة الحادية عشرة..

قام وتوضأ وصلى، ومارس طقوس قراءته كالمعتاد.. فما زال لديه الفضول الذى يجذبه بقوة لتحقيق النجاح فيما فعله، وفى هذه الليلة استخدم بخورًا مختلفًا كان قد اشتراه مسبقًا، وذلك تنفيذًا للمكتوب بالأوراق الصفراء، وأخرج أكياس البخور، وقرأ المكتوب عليها: «مسك، حرمل، بذر خروب، جاوى، لبان ذكر، ميعة سائلة، زعفران، سندروس»، وقام بعجن كل هذه المواد ((عدا الحرمل)).. بماء الورد، وبخر بها المكان؛ فهبت عليه نسمة باردة مريحة شبيهة بالنسمات التى تداعب وجوهنا فى المصايف، ومع انتشار رائحة المسك بالمكان أصابه الوجل والذهول، وتراجع للخلف عندما وجد بالغرفة نساءً كثيرات وجوههن كالبدر أو أشد جمالًا كأن لهم نورًا يكاد يخطف الأبصار..

تكلمت أجملهن بصوت حالم موجهة حديثها نحوه:

لقد صرت من إخواننا.

وستأمن على نفسك من الهوام المؤذيات.

وسيمُنع عنك المس من الجان والشياطين.

ولن تنفذ اليك الأرواح والموانع.

وسنُبْطل الرجم عن هذه الدار.

وستُصْبُحُ مُحجوبًا مُهابًا مُؤيدًا منصورًا سالمًا فى نفسك ومالك.

وسنُعلمك من الأسرار ما لا تحيط به الأفكار.

وستطيعك سائر الأرواح الروحانية.

والآن فلتختر منا من تشاء!!

أصابه الوجوم وفتح فاهه مشدوهًا مما يرى ويسمع، وفجأة اختفى من حوله كل شيء.. فقام بإحضار الحرمل وقرأ عليه سورة يس، والعاديات، وطه، والمعوذتين. ثم بخر المكان بهذا الحرمل «وذلك لإبعاد الشر والحسد والنفس من المنزل»، وانقطعت الكهرباء مرة أخرى، وأحاط بالمكان ظلام دامس؛ فقام

بإحضار إحدى الشمعات، وأشعلها لائمًا على نفسه من إقدامه على أمر لا يعرف عاقبتـه.. فنوزاعه الداخلية ساخرة من فساد عقله، ومن فراغه، ومن تلوثه بأفكار مضادة للدين؟

لامت نفسُه عليه كثيرًا وقالت له: ((ليه أنت عملت كدة!! حاول متعملش حاجة تاني، ومتكملش)).

فأجابها: طب والحاجات اللى أنا شفتها ديه هتسيبنى؟

جلس يلعن الفضول الذى دفعه دفعًا لخوض تلك التجربة الغريبة... إنه الفضول تلك الآفة المارقة النافذة لمعظم النفوس البشرية، وشرد بذهنه مسترجعًا بداية قراءته لتلك الأوراق الصفراء.. ولماذا كان مسلوب الإرادة، ووقع اختياره من كل ما قرأه لهذا الموضوع بالتحديد؟!

لقد قرأ ما خيلته له نفسه بإمكانية تصديقه، وهو «الزواج بملكة الجمال»...

«ملكة الجمال»... التى تحكم ألف ملك، وكل ملك يحكم ألف قبيلة، وكل قبيلة بها ملايين من الأعوان والخدام..

فقال لنفسه: يا ريتنى كنت رميتها ومفتحتهاش..

فأجابته نفسه: فى بعض الأحيان يكون اكتشاف الجهل؛ السبيل الوحيد للصعود لمنبر المعرفة..

حاول النوم هاربًا من نفسه التى أصابها القلق عند طلب جسده دخول الحمام، فخرج من الشقة وأضاء لمبة الطُرقة وعندما قام بفتح باب الحمام تراجع للخلف، وخرجت منه شهقة مكتومة، فقد هُيىء له رؤية الحاجة محاسن أو من يُشبهها بداخل الحمام..

كانت لا تقف على الأرض بل كانت قريبة من سقف الحمام كأنها معلقة أو شيئًا ما يحملها..

لم يتبين لها أى ملامح من فرط فزعه ورعبه، وتراجع حتى كاد أن يسقط. فهرول ملتاعًا عائدًا إلى شقته، ثم جلس لاهثًا سامعًا لدقات قلبه، وبعد مرور فترة من الوقت استجمع قواه وهدأت نفسه فخرج من الشقة لاهثًا لاستنشاق الهواء أمام باب المنزل، ولالتقاط أنفاسه التى تختنق من أثر الفزع.. فرأى الحاجة محاسن تجلس على باب المنزل!!

وقف محاولًا إخفاء انفعالـه، وسأل نفسه: أومال أيه اللي أنا شفته فى الحمام من شوية؟ هو أنا كان متهيألى ولا أيه؟

قالت له الحاجة محاسن باسمة:

أزيك يا بنى.. أمك عاملة أيه؟

لم يرد عليها فهو لم يتخلص من فزعه، ولم يفق بعد من صدمة رؤيته لسيدة الحمام المرعبة الغامضة، ولا يدرى هل كان يحلم أو ما رأه حقيقة؟

مصمصت الحاجة محاسن شفتيها قائلة:

ماله ده؟ وعادت إلى شقتها..

***

فى اليوم التالي سمع زياد طرقات تدق باب الشقة..

فتح الباب، وتسمر مكانه، ولم ينطق بكلمة واحدة. فقد كان ينظر لطارقة الباب.. إنها الحاجة محاسن تسأله عن بدر..

- بدر سافر البلد..

- طب خلاص أصل أنا كنت عايزاه فى موضوع كدة.... بقولك أيه اندهلى أمك..

- ماما خرجت مع أختى تزور سيدنا الحسين..

- أبقى سلم لى عليها لما تيجى، ورحلت.

دخل مسرعًا إلى شقته تُزكم أنفه رائحة كريهة مع ارتفاع حرارة أجواء الشقة بصورة ملحوظة..

خاف جدًا.. لأن ما رأه جعله يعتقد أنه قد دخل لشقة أخرى غير شقته، أو أنه يحلم؛ فقد رأى الشقة تكتظ بكائنات كثيرة شعرها كثيف تُشبه القرود.. لا يرى لهم أية ملامح، وفى وسطهم كائن كأنه قائدهم..

ارتجف جسده وتسمر مكانه؛ عندما شعر ببشاعة منظر هذا الكائن الذى ينظر إليه بتلك العيون الحمراء الملتهبة، وشعر برعبٍ هائل عندما رأى كائنات أخرى تبرز من خلف هذا الكائن..

كانوا أربعة كائنات قصار القامة.. طولهم يماثل طول طفلٍ يبلغ عمره ثمانى أو تسع سنين.. لهم آذان مدببة طويلة نوعًا ما عن آذان البشر.. لم يُحدد شكل وجوهم، ولكنه يشعر بشكلهم البشع المخيف..

صدر من هذا الكائن صوت يشبه حفيف الثعبان، وأشار باتجاه زياد وتحدث قائلًا:

أيتها العفاريت السُفلية: أجمعوا من الجان ألف ألف، وضموا إليهم مثلهم من المردة والشياطين، وأشِعلوا فى هذا الآدمى نارًا لا تنطفىء، وتوكلوا بقلة راحته ونومه، وألقوه تائهًا فى البرية؛ حتى يحضر إلَيَّ خاضعًا متذللًا يتمنى الموت..

هرول زياد بأتجاه باب الشقة محاولًا فتحه للهرب فلم يستطع.. أن الباب لا يفُتح أنه صلد، وفى تلك اللحظة حدث موقف غريب أنقذه مما هو فيه فقد أضُيء المكان كله بنور ساطع، واختفى كل شيء كأنه لم يبدأ..

تنفس الصعداء وعاد صوته إليه وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ثم قام مسرعًا محتضنًا للمصحف وفتحه؛ وقرأ ما تيسر منه فسكنت نفسه، وهدئت روعته ثم قال لنفسه: أنا لازم أسيب الشقة ديه أنا أعصابى تعبت أيه اللى أنا عملته فى نفسى ده؟ أنا هاتجنن..

وفى تلك اللحظة لاح أمامه دخان أبيض خفيف وسمع نفس الصوت المخاطب لعقله: لقد اطلعت على «قَسْم الخاتم الكريم» الذى أطاعت ودانت له الجن، والإنس، والطير، والوحش، ولن تستطيع الرجوع عما طلبته، وإلا ستخرج من الدوائر المُحَصَّنَة، وسيحل بك الانتقام من ملوك العالم الْعُلْوِيّ.. أتم عملك وسترى العجائب.

ستزجر الجان، وتقهر الأملاك.

وتكون مهابًا موقرًا عند الجن، والإنس، ولن يقدر عليك أحد منهم.

ولن يصلوا إليك بأذى.. لا بيد، ولا بلسان..

اختفى الدخان، وجلس وحيدًا شاعرًا بأنه يعانى من العيش بداخل حلم بات مزعجًا، وفى تلك اللحظة سمع صوت رنين الموبايل وتناوله.. إنها أمه تقول له:

إحنا هنتأخر شوية فى السيدة زينب.. متخافش المولد مليان ناس، وأختك عايزة تتفسح...

- ماشي يا اما خلو بالكم من نفسيكم..

بالرغم من خوفه من تكمِلة مشوار الطقوس.. إلا أنه أيضًا متخوف من عدم الاستمرار لتتمة ما بدأه؛ لتجنب عواقب الانتقام منه. فقام بإطلاق البخور وإكمال الطقوس بفتور وخوف، لخوض ماراثون الليلة الثانية عشرة والأخيرة التى تطلب خلاصها، وهبت عليه نفس النسمات الجميلة الباردة كما اعتاد عليها، وتبدلت رائحة المكان لتنتشر به رائحة الياسمين، وتسلل إليه الدخان الأبيض الهادئ، وآزدادت الشقة اتساعًا فكانت كالقصر الكبير، ورأى أمامه نساءً كثُر جميلات، وفى وسطهم فتاة فاتنة جدًا تُضىء نورًا كالشمس.. ناضرة الوجه..

ذات عيون واسعة شديدة السواد..

تمتلك من صفات الحَسُنَ أقصاها..

ملابسها كملابس الملوك، وعليها حُلًى ذهبية كثيرة براقة، وبجوارها يقف شيخ كبير ذو لحية طويلة بيضاء يبدو عليه الوقار، وعلى رأسه لُؤْلُؤَةُ حمراء ويحمل بيده اليمنى صَوْلَجانا ذهبيًا، وأشار إلى زياد قائلًا:

السلام عليكم.

نهض زياد قائمًا خوفًا واحترامًا..

فقال الشيخ: أنا قاضى ملوك الجان.. ماذا تريد يا جنس البشر من جنس الأملاك؟؟ تكلم ولا تخف!!

ظل زياد مفزوعًا وردد داخل نفسه: ماذا أريد؟ ماذا أريد؟ بدا وكأنه نسى كل شيء، ولكنه تذكر فجأة..

فقال مترددًا وبصوت خافت: الزواج بملكة الجمال..

فقال له الشيخ بهدوء شديد:

وهل تعلم من هى ملكة الجمال التى تريد الزواج بها؟

ران الصمت على المكان. فاستطرد الشيخ قائلًا:

أعَلم أنك تعرف عنها القليل جدًا، ولكنك إذا أتممت زواجك بأبنتى «دُرّة»... التي تلقبوها في عالم البشر بملكة الجمال تكون قد استكملت جميع المطالب، وصار العالم كله فى قبضتك وتحت تصرفك.. ستمشى على الماء، وإذا وطئت على نارٍ أطفأتها، وستُطَّوى لك الأرض لتنتقل بين العوالم بلا وَهَنَ، وسيكون لك الكثير من الأعوان والخدام يقضون لك ما تريد من الحاجات؛ ولكن عليك أن تُدرك بأن هناك عهدًا وميثاقًا سوف يُؤخذ عليك أيها الآدمى..

هذا العهد إذا نقضته ولم تلتزم به؛ فستكن من الصاغرين المطرُودين المُطَارَدْيْن من قبائل الجان أجمعين، وستُظلم عليك دُنياك.. كما علىّ أن أنبهك أيضًا بأنك قد صرت عدوًا للعوارض، وأعوان الشر، وقد حضرنا لك ورأيتنا لأنك فقط أقسمت علينا وقدست الأسماء والدعوات، ومد يده مناولاً اياه سلسلة مُعَلَّق بها حجر أحمر، وطلب منه تعليق هذه السلسلة برقبته.. وألا تفُارقه أبدًا..

فسأله زياد مرتجفًا: ما هذه السلسلة؟

قاضى الجن: هذه السلسلة لحجبك حتى لا تستطيع الأرواح المُعْتِمْة الخفية أن تنفُذ لك.. لأن المكان الذي تسكن فيه توجد به ملكة قوية جبارة، وهذه الملكة لها قدرات عظيمة خارقة، ولها خادم سُفلى مُطيع لها يتشكل بشكل البشر ويعيش معيشتهم، وله تابعون أشداء متمردين تحت أيديهم أمراء مُقدمين، وتحت يد المُقدمين قبائل من الجان والشياطين. ثم نظر إلى أركان الشقةُ ووجه نظراته إلى الفتيات المحيطة بالمكان سائلًا إياهم: أين هم عُمّاَر هذا المكان، والمتوكلين فيه؟!

تبادلت ملكة الجمال والفتيات الجميلات نظرات وجلة، ونظروا إلى قاضى الجن صامتين بلا أى رد..

ثم نظر إلى زياد وقال بحدة: يُمْنع عنك السلام باليد على جارتك، ويجب عليك معاملتها دائمًا بالشدة والزَجَرَ..

فقال له زياد بتوتر وصوت خفيض وخوف: وأيه دخل جارتى فى الموضوع؟

تجاهل القاضى رَدّة فِعْلُه واستطرد فى حديثه: أن جارتك هى الملكة التى تَبَغَّى هلاكك؛ لأنك كنت سببًا مباشرًا فى وُلوجنا لهذا المكان الذى تعتبره ملكها وتحت سيطرتها..

فى هذه اللحظة دوت ضحكة رهيبة فى أرجاء المكان واِقْشَعَرّ جسد زياد واِرْتَعَدَتْ فَرَائِصه، فلأول مرة يشعر بهذا الرعب العظيم. ثم شعر برجة قوية تهز جسده وسمع صوتًا يقول له: أنت يابنى قوم.. مالك بتترعش كدة ليه؟؟ هو أنت بتحلم ولا أيه؟؟ اصحى يا زياد.. بسم الله الرحمن الرحيم.

استيقظ زياد ونظر حوله قلقًا، وهدأت نفسه قليلًا عندما رأى أمه وقد عادت من الخارج ممسكة بشمعة لتنير الشقة.. فقد كان الظلام يُحيط بالمكان كالمعتاد، وأخته إسراء تنظر له بلامبالاة فقالت له أمه:

- أيه يابنى مالك؟ عمالة أصحى فيك من بدرى، وأنت نايم نوم أهل الكهف ثم نظرت له بقلق واضافت: أنت وشك أصفر كدة ليه؟

- مش عارف يا اما.. كابوس.. الحمد لله..

- استعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وقوم يلا وفوق كدة عقبال ما أحضر الأكل..

عادت الإضاءة إلى المكان مرة أخرى، وأكل ثلاثتهم. ثم تثائبت إسراء وقالت بكسل: أمَا كانت حتة خروجة يا زياد أنا هاكل وأدخل أنام.. أنا تعبانة من كتر اللف..

قالت لها أمها: اعملى حسابك بكرة من بدرى إن شاء الله هنروح السوق؛ عشان نعمل لزياد أكل لأن سيد ممكن يجي يروحَنْا البلد فى أي وقت..

وفى صباح اليوم التالى ذهبت إسراء وأمها إلى السوق، وأثناء تجولهم فى السوق فزعت إسراء عند سماعها لصوت يأتى من خلفهما يقول:

- أزيك يا حاجة أم زياد.. فالتفتت إسراء وأمها لمصدر هذا الصوت؛ فرأوا شيخًا كبيرًا، وبصحبته فتاة. فقالت أم إسراء:

أزيك يا حاج رضوان عامل أيه؟

- والله يا بنتى كويس الحمد لله، ولاحظ هذا الشيخ أن أم زياد تنظر إلى الفتاة التى معه؛ فأشار إلى الفتاة قائلًا:

ديه بنتى الوحيدة «إيمان»... فتدخلت إسراء فى الكلام ضاحكة بفُكاهة وقالت:

وحيدة ليه؟ ما ليها أخت أهى، وأشارت إلى نفسها..

قال الشيخ مبتسمًا: أكيد طبعًا يا بنتى. ثم قال لأم زياد: أنتِ لازم تزورينا أنت والأمورة، وأشار لهما على أحد الحوانيت القريبة.. ديه دكانى.. تعالوا بقى نشرب حاجة..

ام زياد: خليها وقت تانى يا حاج.. يادوبك نروْح عشان أصحى زياد ابنى يروح الكلية..

- الشيخ طب يا حاجة هنستنى زيارتك، واحتضنت «إسراء» ل «إيمان» بودٍ، وحب مُقْبلة إياها كأنها تعرفها منذ زمن بعيد وقالت: لازم نتقابل يا إيمان..

وجهت إيمان حديثها إلى أم زياد برجاء قائلة: يا ماما عشان خاطرى.. خلى إسراء تقعد معايا شوية..

استجابت الأم: خليك أنتِ يا إسراء مع إيمان، وأنا هحضر الفطار لزياد وأبقى أجي أخدك..

ابتسمت إسراء فرحة: خلاص يا ماما أنا هقعد مع إيمان أختى حبيبتى..

انصرفت الأم ذاهبة إلى المنزل لإيقاظ زياد للذهاب إلى الكلية، ودخلت إلى الشقة فوجدت زياد نائمًا؛ فأيقظته.

- اصحى يا زيزو عشان تفطر وتروح الكلية..
- استيقظ زياد من نومه، وتناول إفطاره. ثم استبدل ملابسه..
- قالت له أمه: أما النهاردة قابلنا ناس عِشْرَةُ عمُر مشفنهومش بقالنا كتير..
- زياد: مين يا اما؟
- ناس كانوا حبايب أبوك الله يرحمه.. حتى أنا سيبت أختك إسراء مع بنتهم هناك عندهم، وهمشى معاك وأنت خارج عشان أعَرْفك بيهم وأجيب أختك إسراء وأرجع، ثم تمتمت بصوت مسموع رافعة يديها للسماء: ربنا يجعلها من حظك ومن نصيبك يا قادر يا كريم..

ابتسم زياد وهو يربت على كتف أمه وقال: أنا اتأخرت على الكلية خليها وقت تانى.. سارت الأم لإصطحاب إسراء من دكان الحاج رضوان، وعند وصولها للدكان رحبت بها إيمان، ودعتها برجاء لتناول مشروب معها..

الأم: وأنت بقى يا حبيبتى فى سنة كام..

إيمان: أنا يا ماما فى تانية ثانوى..

إسراء: أنت ليه يا ماما معرفتينش بيها من زمان؟

إيمان: كل شيء قسمة ونصيب يا إسراء..

انتشرت أصوات مآذِنُ المساجد بأذان العصر فى تلك اللحظة، فقالت إيمان: أنا هستئذنكم أصلى العصر، وأجي على طول.

الأم : معلش إحنا هنمشى دلوقت، وإن شاء الله هنقعد مع بعض تانى.. وتكون أمك موجودة عشان وحشانى قوى. ثم تصافحوا ،وعادت الأم وابنتها إلى المنزل ليقوما بإعداد وتجهيز الطعام، وعاد زياد من الكليـة، وبعد الغذاء مع أمه وأخته سألته أمه: أنت مرتاح فى السكن هنا يا زياد؟

قال لها: هعمل أيه؟ هو أنا لقيت غيره وقلت لأ، والشقة ديه سترانى وموفرة لنا مصاريف كتير، وأدينى ساكن فيها لحد ما أخلص الكلية.. بس جارتك اللى اسمها الحاجة محاسن غريبة قوى، ومش مرتاحلها..

قالت أمه بتوتر ملحوظ: إحنا مالنا بيها يا بنى خلينا فى حالنا. ثم غيرت دفة الحديث وأضافت: أخوك سيد جي بُكْرَةً عشان يخدنا، هعمل لك أكل يكفيك أسبوع لحد أما نبقى نيجيلك تانى..

طب متغبيش عني يا أمى..

إسراء: أيوة والنبى يا ماما.. عشان كمان أشوف إيمان، أنا حبيتها قوى..

***

مر اليوم التالى بعد سفر أسرة زياد إلى بلدهم، وخرج زياد إلى إحدى المقاهى وقضى بها بعض الوقت. ثم عاد إلى المنزل متأخرًا فوجد بدر وقد عاد من سفره؛ فرحب به بمودة قائلًا:

- بالأحضان عامل أيه؟ حمدالله على السلامة.. أما أنا جايب لك حتة أكلة من عند الحاجة فى البلد.. هتاكل صوابعك وراها، وهتدعيللى!!

- سبقتك يا ناصح.. الحاجة أمى كانت هنا، وقامت بالواجب..

- لازم ناكل مع بعض من الأكل اللى أنا جايبه، ومتزعلنيش منك..

جلسا معًا يأكلان. فبادر زياد بدر بالسؤال:

- أنت شفت جارتنا اللى فى الشقة اللى قصادنا؟

- قصدك الحاجة محاسن، ولا بنتها ماريا..

- مرِية تانى..

- ماريا... أنت حتى مش عارف تنطق اسمها، ثم تنهد وقال: وما أدراك ما ماريا!! ديه حتة مُزة..

- وماريا ديه بقى قاعدة فين؟!

- والله أنت إنسان غريب.. بقولك بنتها تبقى قاعدة فين!!، وبعدين مش أنا قولتلك أنا بديها درس..

- تصدق أنا عمرى ما شفت ماريا ديه.. يا ترى هيَّ صغيرة ولا كبيرة؟

- ديه فى ثانوى..

زياد بحدة: المفروض قبل ما تعمل حاجة زى ديه كنت تقولى..

بدر باندهاش: أهدى كدة يا عم زياد.. أنت هتتكلم فى الموضوع ده تانى ليه؟

- أهدى مين يا عم.. أنت مش حاسس بالمصيبة اللى أنت عملتها..

- مصيبة أيه يا زياد؟ أنت بتتكلم كدة ليه؟ هو أنت كنت وصىِ عليَّا؟

- المفروض يا إنسان يا محترم أنك تحافظ على المكان اللي أنت ساكن فيه..

- أنت هتذلنى تانى بقعدتي هنا.. على العموم أنا هشوف مكان تانى أقعد فيه ميكنش فيه قلة مزاج، ولا حد بيقول أنت عملت أيه ومعملتش أيه؟

فى تلك اللحظة خرج بدر من الشقة مغلقًا الباب بعنف شديد، وترك زياد وحيدًا داخل الشقة لينتابه شعور شديد بأن قواه تخور؛ فحاول النهوض ولم يستطع..

ازدادت حرارة الغرفة، وشعر بوجود كيان آخر معه فى الغرفة، ورأى أمامه فجأة الحاجة محاسن تنظر إليه من أحد أركان الغرفة.. ففزع بشدة، وزحف للوراء مذعورًا فاقدًا لوعيه.

وفى نفس اللحظة توارت الحاجة محاسن متراجعة للوراء عندما انتشر بالمكان دخان أخضر اللون، وخرجت منه الفتاة الفاتنة التى كانت بصحبة قاضى الجن ونظرت إلى الحاجة محاسن بثبات وبابتسامة واثقة وقالت:

- بدخولك إلى هذا المكان؛ فقد اعتديت على المواثيق والعهود!!

ردت ذات المحاسن: أنتم حضرتم إلينا، وبسبب هذا البشرى- ونظرت إلى زياد باحتقار- لن يكون هناك أى مواثيق أو عهود، وسيلعنه جنود أبى أبليس أجمعين..

ارتج المكان بقوة ممزوجًا بصوت مسموع لصوت يشبه أمواج البحر، ومن العدم ظهر قاضى الجن، ونظر إلى السماء، وقال بصوت قوى:

اهبطوا أيتها الأرواح أينما كنتم.. علويًّ وسفليًا.. ترابيًّ ومائيًّ.. بريًّا وبحريًّ.. أجيبوا بحق ما أقسمت به عليكم.. أجيبوا أيتها الأرواح الروحانية الطيارون فى الهواء، والغواصون تحت أطباق الثرى.. أجيبوا أيتها الأرواح والهواتف المتشكلون فى الأجسام البشرية، والخِلْقَةُ الآدمية.. أجيبوا قبل أن تنزل عليكم أرواح الحجب، فيهتكوا الأسرار، ويخربون الديار.. أقسم عليكم بالحروف النورانية والأقسام السريانية والأسماء العبرانية، ءآتونى إن كنتم فى البحار، أو خلف الديار أو فى بطون الجبال..

فى هذه الأثناء سمع كل من كان بالمكان لأصوات أمواج هادرة لبحرٍ عظيم. فاختفت ذات المحاسن، وظهرت كائنات شفافة وقال أحدهم: دعوتنا يا قاضى الجن؟

القاضى: ذات المحاسن بنت إبليس عفريتة الغيلان، وخادمتها السُفْلَية ساحرة الجن مرية بنت الملك السُّفْلى، ومعهم الأرواح الشريرة والغيلان يحيطون بهذا المكان للفتك بساكنيه من الإنس، وعليكم ألا تتركوا لهم أى منفذ للنيل منهم..

الكائن الشفاف: سوف نُسخر له سيد الدائرة الطلسمية المحجوبة لحمايته..

القاضى: لقد أخذنا عهدًا وميثاقًا من الملوك السبعة العلويين بمساعدتنا حتى نستطيع التغلب على الظَلَمَةَ والأعداء الذين يبغون خراب الديار، ولقد أعطيته الياقوتة الحمراء لوقايته، ومنحته الحجب عن الشياطين والموانع، ولقد استعنت بكم لأن الأرواح الشريرة التى تطوف حول هذا المكان تحمل من الفطنة والذكاء والقوة ما يجعلهم متعطشين للفتك بهذا الآدمى..

الكائن الشفاف: أيها القاضى الكريم أنت تهابك الجن، وأعوانك الحارسة للمكان لن تبرحه..

فى هذه الأثناء اختفى قاضى الجن وملكة الجمال؛ لينتقلوا إلى مكان تنتشر به الكثير من الأشجار الوارفة والأزهار ذات الروائح الزكية التى تملأ الأجواء، ودخلوا إلى قصرهم المُشيد على أحد الجبال الجليدية بأحد البحار العظيمة المتسعة، وجلس القاضى على وسادة زجاجية تُشبه اللؤلؤ، وجلست بجواره دُرّة، وانتشر حولهما كائنات ساكنة شفافة، وبلوم وإستعطاف قالت ملكة الجمال: يا أبى لقد أعلنت موافقتك على زواجى من هذا الإنسى زياد، وأنت تعلم بأنه ربما لا ينسجم أو يتآلَّف معنا، ونحن تُمر علينا القرون؛ فلا نهرم أو نتعطل إلا بعد مرور زمن طويل لا يُدركه بنى البشر، وهم يفنون قبلنا، وهم محدودو القوة والمعرفة..

قاطعها الشيخ وقال: دُرّة يا ابنتى لقد دعانا بالأسماء الثقال، وأقسم علينا بملوكنا العلويين الذين لن نتحمل سخطهم علينا، وقهرهم لنا واعلمى أننى لن أفعل ما هو دون إرادتك..

ملكة الجمال: أشكرك يا أبى ولتأذن لى بالذهاب لأعواني، فقد غبت عنهم طويلًا..

القاضى: اذهبى يا ابنتى فى رعاية الله..

***

مخلوقات العالم الخفى يمتلكون قدرات مهيبة

تلبية دعواتهم اختيارك وحدك

-منهجهم الوحيد- هو:

«امتلاك روحك».!!

أتى بدر من عمله متأخرًا كعادته، وبمجرد دخوله المنزل سمع نحيبًا خافتًا فنظر إلى مصدره فرأى ماريا جالسة منتحبة على سلالم البيت تبكى كالطفلة الصغيرة المسكينة بُكاءً يخطف القلوب.. توجه إليها وقد ملؤه شعور بالشفقة عليها وقال: مالك يا ماريا؟

نظرت إليه ولم ترد بل ازدادت نحيبًا بصوت يُشعِر الوجدان بأن عليه أن يُسرع فى مساعدتها لكى يخفف عنها آلام الحزن..

فسألها مرة أخرى: هى ماما هنا؟

- جوة فى الشقة نايمة..

- طيب فيه أيه؟ أيه اللى جرى؟ وأمسكها من كتفها قائلًا: تعالى نطلع فوق، وتحكى لى عشان نتكلم على راحتنا صعدت ماريا وبدر خلفها إلى الدور العلُوى واضعًا ذراعيه حول خصرها من الخلف، وجلسا بأحد أركان الشقة المهجورة على أطلال أضواء خافتة تطل من المخزن المجاور للمنزل، وبادرها بالسؤال بعطف وهو يُربت على كتفها: مارى يا حبيبتى أيه اللى حصل؟ احكى لى..

ترددت ماريا فى التعبير عن غضبها، وإن كانت قد عبرت عنه بصورة غير مباشرة؛ وبتلقائية غارقة فى الانفعال قالت: زياد صاحبك..

- ماله؟

- قابل ماما على باب البيت واتعصب عليها.. ده كان ناقص يضربها!! وقعد يقولها أنت عايزة مننا أيه فارقينا.. ثم ازداد نحيبها وأكملت: هو إحنا عشان لوحدنا ملناش راجل يدافع عنا تعملوا فينا كدة؟

فى تلك اللحظة حدثه خياله الفاسد بأنه الفارس الحارس لها فتصنع الغضب وقال: باين زياد ده اتجنن، وبعدين أنت هتستنى أيه من شخص وقح معندوش ذوق؟!

أنا كمان اتخانقت معاه بسبب إنى مقلتلوش إنى بديك درس.. ده عامل نفسه بروح أمه وصى عليّ، وبينى وبينك أنا قررت إنى مقعدش معاه تانى، وصمت قليلًا وغمز لها وقال: بس هافضل أديك درس.. تصدقى إنه بيقول إنه عمره ما شافك ولا مرة من ساعة ما سكن هنا..

- يعنى أيه؟ أنا لابسة طاقية الإخفاء ولا أيه؟ ما أنا شايفاه فى الداخلة والخارجة..

نظر إليها فى صمت وقد ازدادت فتنة وجاذبية عندما اغرورقت عيناها بالدموع وانتقل شعوره هذا لها فهى تُدرك جيدًا أنه فى وسعها أن تهب نفسها الفتنة وقتما شاءت، ففلسفة الإغواء جزء لا يتجزأ منها..

نظراتها بصورة طبيعية تحتوى على كتلة عظيمة من الإغراء..

مفردات الأنوثة لديها متوحشــة..

ملابسها فاضحة مثيرة..

داعبت أجزاءً من جسده بدلال ودلع وقالت: يا بدورة عاهدنى على الإخلاص والوفاء، وبأنك مش هتسيبنى أبدًا وهى تدرك جيدًا أن الحيوان الكامن بداخله هو الذى يُعاهدها، فهو لا يستطيع إخفاء دوافعه الغريزية الجنسية..

وبلا مشاعر على الإطلاق قال لها: أعُاهدك،

تصبب عرقًا وازداد قرع ضربات قلبه عندما تلاقت العيون فأصبح لا يشعر بالزمان فقد دفعه سلوكها لاستشعار اللذة بمجرد اقترابه منها فتناولها بين أحضانه وقبلها ثم احتكت أصابعه بجسدها وسحب ملابسها الداخلية قطعة قطعة، ومالت هى نحوه كساقطة فشن هجومه على كل مكان بجسدها البض العارى فاستسلمت واستلقت على ظهرها برشاقة كالحيــة الرقطـاء، وبذل هو الجهد الكامل لتذوقهـا، وهى أضفت على عناقه لها لمسة فاتنة رقيقة.

اشَتْمَّ عِطر أعضائها المثيرة ولم يستطع كبح وهج شهوته الجامحة الذى أشعل جُزيئاته بتوحش؛

كانت صاحبة الخطوة الأولى فى أن تأذن له بالدخول إلى جمهورية الجنس،

إنها القائدة الفعلية لانفعالتها الجنسية التى أطلقتها بإبداع لإمتاع جسده،

إِفْرَاطها فى استخدام الألفاظ الجنسية يتداخل فيه إشباعات أخرى غير نمطية..

إنها تستمتع وتُمُتع..

وصلت حرارة ممارسة الحب بينهما إلى المُنتَهَى..

وراح فى سباتٍ عميق مُحْلقًا مع استمتاعه ونشوته إلى أن استفاق فرآها جالســة أمامه بهـدوء تتأمله فقال لها: أنا كنت فاكر إنى هاصحى مش هلاقيك زى كل مرة..

- فباغتته بسؤالها: أنت هاتعمل أيه مع زياد؟

- قال بضيق: هاعمل أيه إزاي يعنى؟ ما أنا قلت لك أنا مش هاقعد معاه، وبعدين هو ده وقته..

- بضيق وتأفف قالت: أنت مش عاهدتنى..

- يادى سيرة زياد دية اللى هتعكنن علينـا تحت وفوق.. عمومًا أنت أيه اللى يرضيــك؟

- طول ما زياد ده موجود هنا إحنا مش هنعرف نكون مع بعض..

- اصبرى ومتنسيش إنى أنا لسه قاعد معاه..

- ولا يهمك أنت ممكن تطلع تُسكن هنا، ونفضل مع بعض على طول..

- إزاى بقى يا فالحة؟ أنا كنت قاعد فى لوكاندة مش شايل هم حاجة وأنت بتقولى أجى أسكن هنا.. ده مكان عايز يتوضب، وعايز مصاريف كتير..

- متشيلش هم المصاريف أنا هديك اللى أنت عايزه..

نظر لها باندهاش وقال: إزاي يعنى؟ أنتوا شكلكم على قد حالكم..

- بص يا حبى إحنا خلاص بقينا واحد، ومتعاهدين نبقى مع بعض على طول إحنا معانا فلوس كتير قوى..

قاطعها بدر وقد ساوره شعور بالسرور: هو أنت أبوكى كان شغال أيه؟ والفلوس دية معاكم منين؟

- أنا هاحكى لك: بابا كان ارُزقى عايش اليوم بيومه وطبعًا ملوش معاش وبعد ما مات اتبهدلنا وماما دارت تستلف من ناس كتير، وبعدين رفضوا يسلفوها.. خالى وقف جنبنا كتير وفى يوم سمعته وهو بيتكلم مع ماما..

ماما قالت لخالى أنت الصراحة وقفت جنبنا كتير بس أناعايزة أشتغل وأصرف على بنتى.. أنت لو حصل لك حاجة أنا هاعمل أيه من غيرك؟ أنت لازم تشوف لى أى شغلانة؟ حتى لو خدمت فى البيوت..

رد عليها خالى: متشليش هم.. أنا هاخلى الشغل يجى لحد عندك هنا.. أنا هاعلمك صنعة.. وهابعتلك زباين كمان واشتغلت أمى وحوشت فلوس كتير قوى، ولسه بتشتغل بس على خفيف..

- وشغلة أيه بقى اللى جت لحد عندها؟

- بتحل مشاكل الناس..

- إزاى يعنى؟

- يعنى لو واحدة زعلانة من جوزها تراضيهم، واحد بيحب واحدة تجوزها له، وحاجات تانية كتير..

- بتهكم: دجالة يعنى، واستطرد: وهى لسه شغالة لحد دلوقتي؟

- أيوة، وكمان علمتنى شوية حاجات..

أحاط بالمكان صمت ثقيل..

ماريا: أيه يا بدر.. مالك؟

- مفيش.. بس مكنتش متخيل أن واحدة بكل رقتك وجمالك ده ممكن يكون لها فى المواضيع دية..

- طب نعمل أيه ظروفنا جت كدة خلينا فى المهم أيه رأيك يا بدورة لما يبقى معاك فلوس كتيرة تقدر بيها تستغنى عن كل الناس، ونقدر نتجوز..

- إزاى بقى يا فالحة؟

- أول حاجة هتسيب الشغل..

- وأصرف منيـن؟

- ماتقلقش أنت بس اسمع كلامى..

- طب أيه اللى مطلوب؟

- أنت هتقعد هنا فى الشقة دية، وكل يوم أنا هجيبلك الأكل والشرب وكل اللى هتحتاجه..

- بتأفف: أيوة مقولتيش أنا هاعمل أيـه؟

- بص يا سيدى: كل يوم هجيلك نقعد مع بعض شوية، وفى نفس الوقت هاقولك أيه اللى هيتعمل، وهنبتدى إزاي أنا هخليك غنى قوى، وهاخليك تفتح كنزًا!!

تركته مع أحلامه وهبطت من الشقة التى بالدور العلوى وتحولت إلى قطة بديعة المنظر وانتقلت فى نفس اللحظة إلى قلعـة لا توجد لها طرق أو ممرات أو سلالم كأن ساكنيها يدخلونها هابطين إليها من السماء مُشيدة على الدُخان فوق أحد سلاسل الجبال فى مكانٍ ما..

أرضياتها من المرمر تميل ألوانها إلى الاحمرار له انعاكسات ضوئية رائعة..

حوائطها من الألماس الأزرق تُضفى عليها الكثير من الأسرار والغموض..

نوافذها من الياقوت تجمع بين اللونين الأحمر والأزرق الداكن..

يتوسط رُدهتها مذبح ضخم من البلاتين تحوطه الكثير من التماثيل السوداء ذوات قرون حمراء لكائنات غير معروفة لبنى الإنسان..

كائنات غريبة مخيفة تملأً الأركان كلها قصيرة الطول بعضها يغمُرها الشعر الكثيف فلا تتبين لها أى ملامح وأخرى ليس لها أيادٍ ولا أقدام..

وبعضها لا ترى منها إلا رأسها الشبيهة برؤوس الجياد، وأخرى الشبيهة برؤوس الكلاب..

بعض الأسود والذئاب تجلس هنا وهناك.. الثعابين مُتدلية من الأسقف..

ينتشر الكثير من القطط ذات الألوان الخلابة الفاتنة..

كُرسى ضخم من العقيق الأحمر تجلس عليه ملكـة عيونـها حمراء دامية..

دخل إلى المكان كائنات بشعة تَجُر شخصًا على الأرض بكل قسوة وجبروت مُكبلًا بالسلاسل من يديه وقدميه ورقبته، وانحنى منهم كائن أسود شبيه بالخفاش له قرون قصيرة أمام الملكة، وقال: فلتأذن لى ابنة ملكنا بالتكلم؟

الملكة: تكلم يا سفاح الجن..

ابنة ملكنا الإله: هذا الإنسى أطلق البخور وأقسم علىّ بالدعوات الثقال؛ واستحضرنى، ولم يطُلب خدمتى أنا أو أعوانى ولم يقم بصرفى، ولم أشأ أن أبتلعه كما ابتلعت كثيرًا من أولاد آدم، فاختطفته لأقدمه بين يدى مولاتى الحكيمة لتنظر ما هى فاعلة به..

نظرت الملكة إلى البشرى وابتسمت بهدوء قائلة له: قل لى يا أيها الآدمى ماذا كنت تنوى أن تفعل؟

رد عليها الآدمى بذعر: أنا قريت كتاب عن السحر والأعمال والاستعانة بالجن، وشدنى موضوع تحضير العفريت المسمى بسفاح الجن فقلت لنفسى أحضره وأسخره عشان يعمل اللى أناعايزه،،

ولقيت أن عملية التحضير سهلة عشان كانت مكتوبة بطريقة مفهومة وبسيطة، وماعرفشى أن فيه عفريت حضر، وشايفنى وأنا مش شايفه.. ثم بكى بكاءً حارًا متوسلًا وقال: ارحمونى أنا مش هاعمل كدة تانى، وعندها سمع هذا الشخص صوتًا خافتًا من أحد الكائنات التى بجانبه يقول له: اسُجد لها وسوف تصفح عنك،

وبكل تلقائية سجد الإنسان المُكبل أمام الملكة وقال: سيبونى وأنا هاعمل كل اللى تطلبوه..

أشارت له الملكة بالسكوت وقالت له: لقد طُرد أبى الأعلى قوة والأرفع منزلة المخلوق من نار السموم بسبب أبيكم المخلوق من الماء والتراب، وظننتم أيها الآدميون الملعونون أن خلقكم من الطين أنفع وأفضل من خلقنا مِن نارٍ ثم سكتت بُرهة من الوقت ونظرت إليه بغضب قائلة: لقد نظرت داخلك فرأيتك ضعيفًا مثل كل الآدميين.. ثم صاحت: أيها الخدام..

انحنى أمامها كل الكائنات المتواجدة داخل القلعة..

فقالت لهم: شقوا عيون هذا الآدمى لرؤيته لنـا، واقْطَعُواْ لسانه لتحدثه إلينا، وصموا أذنيه لسماعه لنـا..

وفى لحظات سريعة كالبرق انقض عليه الكائنات المحيطة به كالجراد ففقأوا عينيه وقطعوا لسانه وصموا أذنيه فسالت الدماء من عينيه وفمه وأذنيه..

انتشت الملكة مسرورة ونادت: أيها الأعوان خذوه إلى المذبح فاذبحوه وقدموه قربانا لأبى ثم ألقوا جسده فى منزله مرة أخرى وارموا الكتاب الذى قرَأه بجواره حتى يعلم كل الآدميين أن ما حدث له كان لتجرؤه على التفكير فى الاستعانة بنا، وليعلموا جميعًا أننا سنُلحق بهم الشقاء الأبدى على مر الأجيال والقرون..

ثم التفتت بحديثها لإحدى القطط الفاتنة وقالت: ربما حسبت نفسك قطة فعلًا؟

ضحكت القطة وتحولت إلى فتاة فاتنة وقالت: خادمتك السُفُلية تحت إمرتك..

- ماذا فعلت مع هذا البشرى المسمى بدر؟
- نفذت كل ما أمرتي به ولقد أصبح خادمًا مطيعًا لى..
- لكنك فشلت أنت وعفاريتك وأعوانك من جلب وإيذاء البشرى الآخر..
- لعلك تعلمين يا ملكتى أننا قد اخترقنا جدران شقته، فلم نطق النظر إليه فقد تم حجبه داخل دائرة طلسمية بواسطة الأرواح الروحانيـة، بل إنهم سلطوا علينا الأملاك الروحانيين المدبرين لكواكب الأفلاك، وجعلوا كلمته قاهرة نافذة وكدت أهلك لولا حضور أبى الملك السُّفْلى الذى أقسم عليهم، وأخذ علىّ العهد والميثاق بعدم دخولى لتلك الشقة مرة أخرى..

مدت الملكة يدها مُمُسكة ببعض الحصوات وألقتها عاليًا وقالت: أقسمت عليكم أيها الملوك السفليون بالأملاك السبعة أن تحضروا بين يدىّ الخُدام والأعوان طائعين ولحاجتى مجيبين ولا تتأخروا عنا طرفة عين..

أدعوكم بالتسابيح اليونانية والعزائم العبرانية والأقسام الملكوتية، وبالأسماء المكتوبة على قلب الشمس وبداخل قلب القمر..

عَجِلُوا يا معاشر الأرواح بالظهور وأجيبوا، وأمروا خدامكم وأعوانكم بطاعتى والزموهم بقضاء حاجتى..

وفى تلك اللحظة تلألأ وميض حاد، وهبت رياح عاتية وظهرت كائنات سوداء فزجرتهم الملكة بحدة قائلة: توكلوا أيتها الأرواح وأرسلوا خدامكم وأعوانكم إلى زياد بن أحمد الساكن بمنزلى، وازجروه حتى يأتى إلىّ خاضعًا ذليلًا.

تكلم أحد الكائنات: نحن لم نستطع زجره فلقد اعُطْىّ هذا الآدمى الياقوتة الحمراء التى تستطيع حرقنا فى لمح البصر فلتأمرى سحرة الجن والغيلان باختراق موانع الأرواح الروحانية الساكنة معه..

نظرت إليهم وقالت: انصرفوا أيها الملوك والأعوان بحق الملك الغالب عليكم أمره ثم التفتت إلى ماريا بغضب وقالت: افتحى لخادمك الآدمى الأبواب الكائنة تحت الأرض التى فيها نفائس الكنوز، وامنحيه الجبروت على الناس واغمسيه بلذة التمتع بالجميلات من النساء..

لا تُحرريه من قهر غرائزه لنفسه يجب أن تمتد طاعة الغيلان إلى الأبد..

ماريا: سمعًا وطاعة يا بنت الهنا ثم اختفت فى لمح البصر وعادت إلى المنزل ووقفت لا يراها أحد أمام شقة زياد و أشارت بيديها فاختفت الحوائط وأصبحت ترى زياد وهو بداخل شقته، وفى هذه الأثناء عاد بدر إلى الشقة من الخارج وظهرت عليه ملامح الضيق فوجد زياد ممسكًا بأحد كتب الدراسة يستذكر دروسه فقال: السلام عليكم عامل أيه يا زياد؟

رد زياد باقتضاب دون النظر إليه.. الحمد لله..

- أنا خلاص راجع اللوكاندة تانى، وقبل ما أمشى عايزك متزعلش منى..

التفت له زياد باهتمام وقال: ما أنت قاعد معايا، ويا أخى الاختلاف سُنُة بشرية مش معنى إننا اتخانقنا سوا إنك تاخد فى وشك وتسيب البيت..

- سيبنى براحتى محدش عارف الخير فين، وتركه فى تلك اللحظة وذهب إلى غرفته، وبعد برهة من الوقت خرج حاملًا أمتعته وقال: أشوف وشك بخير يا زياد..

وقف زياد وقال بأسف: متخليك قاعد وامشى الصبح ده هو سواد الليل بس..

- معلش يا زياد ثم سلم عليه وخرج من الشقة قائلًا: السلام عليكم..

وبينما كانت ماريا تراقب زياد وبدر، ورأته وهو يغادر شقة زياد الشقة حاملًا شنطة ملابسه ليذهب إلى اللوكاندة خرجت سريعًا ووقفت أمام باب المنزل ثم دخلت فى لحظة خروج زياد وكأنها عائدة من الخارج واصطدمت به فاعتذرت ثم ابتسمت له وقالت: أنت رايح فين؟

- أنا خلاص سيبت الشقة بتاعة زياد ومش هاقعد معاه تانى أنا رايح على اللوكاندة..

- كدة مرة واحدة من غير ما تودعنى..

نظر لها بدر بائسًا بصمت فأمسكت بيده وجرته خلفها صاعدة إلى الدور العلوى قائلة: تعال بس وصعد معها، وبعد دخولهم إلى شقة الدور العلوى بادرته بالقول: كدة كنت عايز تمشى من غير ما تسلم عليّ..

- أصلى متضايق قوى، وكدة كدة أنا سيبت كام كتاب جوة عشان يبقو حجة أجى أشوفك بسسببهم..

- ضحكت ماريا قائلة له: أه يا مكار ثم أخرجت نقودًا وناولتها له وأضافت: خُد دول عشان أنا عارفة إننا فى آخر الشهر وأكيد حالتك المادية مش ولابد..

- رفض بدر بشدة وأبعد يدها قائلًا: لأ مش للدرجة دية.. هى الحالة ناشفة بس أنا مش محتاج حاجة دلوقتي..

- طيب شوف بقى أنت مش هتروح اللوكاندة أنت هتقعد هنا، والمكان ده محدش بيطلعه غيرنا زى ما أنت عارف وزياد ده يا أما قاعد فى الشقة مبيخرجش أو طول النهار فى الكلية يعنى مش هيشوفك، وأنا زى ما قلت لك هجيبلك الأكل والشرب وهقعد معاك أطول فترة ممكنة، ومن جهة المصاريف متشلش همها، أنت مش هتشيل هم حاجة من هنا وجى بس امشى ورا دماغى وأنت هتتبسط، وأنا هقولك على سر كبير ماما عرفتهولى بس أوعى تقوله لحد..

- رد بشغف: أيه هو السر ده بقى؟

- ماما كانت بتعمل شغلانة لواحدة جوزها كان بخيل قوى ومخبى فلوس من وراها، وكانت عايزة ماما تخليها تاخد الفلوس دية منه، وماما قدرت تعرف مكان الفلوس ديه، وبعد كدة سمعت أن الراجل ده ومراته ماتوا فى حادثة ماما ماعرفتشى تأخد الفلوس بس عرفت طريقة ممكن تاخد بيها الفلوس دية بس عايزة حد قلبه جامد وأميـن..

- والفلوس دية فين؟

- هو أنت سمعت يا بدر عن المقابر بتاعة الفراعنة اللى مليانة كنوز؟

- أيوة طبعًا ده كفاية مقبرة توت عنخ أمون ده كانت مليانة كنوز وذهب..

- أيوة برافو عليك أنا بقى هخليك تفتح مقبرة زيها هى صحيح مش قدها بس هتخليك غنى قوى..

- بدر مُتعجبًا!! يا سلام، وأنا هاعمل أيه بالتحديد؟

- أنت هتقعد هنا فى الشقة ومش هتنزل منها خالص، والأكل والشرب أنا هجيبوهملك، وأنت بقى اتصرف فى الحمام بس خليك فاكر أنت مش هاتخرج ولا تنزل خالص، وبعد عشرين يوم هتشوف فى المنام راجل أسود ضخم شوية طويل راكب على حصان وماسك فى أيده أسد..

- بدر مفزوعًا: راجل هيظهر لى ومعاه أسد.. لأ يا ستى الموضوع ده شكله كدة شمال..

- متخافشى يا جميل اطمن، وبنعومة، ودلال، وغرور قالت: وبعدين أنت مش عايزنى أجيلك نقعد مع بعض ولا أيه؟

- طب كملـى..

- متقطاعنيش تانى.. إحنا وصلنا لحد فين؟

- لحد الراجل اللى ماسك فى أيده معزة.. وضحك.. قصدى أسد..

- قالت ماريا بغضب: طب متهزرش فى حاجة أنت مش عارفهـا..

- المهم الشخص ده هيكلمك متردش عليه، هيسلم عليك متسلمش وبعد فترة هتشوف واحد رأسه رأس كلب وبرضُه هيكلمك متردش عليه.. ثم قامت فجأة واتجهت نحو الباب قائلة: أنا هسيبك دلوقتي أنا اتأخرت قوى على ماما..

- بدر: طب كملى الأول وبعدين انزلى..

لم ترد عليه ورحلت وتركته وحيدًا تطارده الهواجس التى جعلته يتردد فى اتخاذ أى قرار، وحدث نفسه: طب أنا أنزل أبات عند زياد دلوقتى ولا أنام هنا؟ وهنام هنا إزاي؟

سار جيئة وذهابًا فى الشقة القديمة المهملة فرأى صينية عليها طعام وماء فقال بصوت مسموع: أيه ده يا بت يا ماريا أنت كنت بتتكلمى جد ولا أيه؟ بس أنت جبتى الأكل ده هنا أمتى وإزاى؟ مش مهم..

جلس يأكل بنهم حتى نام فراوده أحد الأحلام التى رأى فيها مدينة خضراء لها أسوار عالية مليئة بالجنود، ورأى نفسه ينصب خيمة على باب هذه المدينة، وظهر له شخص شكله بشع كأنه يلبس وجهًا، وجهه فعلًا كوجه الكلب وهو ينظر إليه صامتًا مأخوذًا فوضع هذا الشخص على الأرض شيئًا شبيهًا بخوذة الجنود فى الحروب القديمة شيئًا كالقبة لونه أخضر، وعليه مصباح صغير أعلاه.. إنه ليس مصباح إنه لؤلؤة أو حجر كريم ثم فتح هذا الشخص باب هذه القبة ليرى بداخلها كرسيًا شبيهًا بعربات حروب الفراعنة كأنه مصنوع من الذهب مرصع بلألىء ذات ألوان مختلفة أحمر وأخضر وأصفر وأبيض وألوان شاهقة صارخة، واهتز جسده بشدة وشعر بمن يهزه ويقول له: أنت.. قوم بقى.. فاستيقظ فزعًا ونظر لوجه من يوقظه وقال: ماريا عاملة أيه؟ أما أنا شفت حتة حلم كأنى كنت باتفرج على فيلم..

ماريا: احكى لى يا سيدى..

- طب أنا عايز أنزل الحمام..

- قلنا مينفعش خُش الأوضة اللى جوة.. وضحكت مُشجعة له: قوم متتكسفش هو إحنا غُرب عن بعض..

ذهب إلى الغرفة الأخرى ثم عاد وجلس يُقص لها حلمه وهى تنظر له بصمت حالمة لتنطلق طقوسهم الجنسية مرة بعد مرة بعد مرة لينام مرة أخرى ويرى كائن لا يستطيع تحديد ملامحه يقول له: أيها المعتزل فى الخلوة الراغب فى خوارق عاداتنا طلبت أسرارنا فلك موائدنا، وبدائع أنوار قهرنا، ولك السمع والطاعة، ولك منا فتح الكهوف لتنال منها كل الكنوز التى تتمناها..

استيقظ من نومه قلقًا فرأى ماريا جالسة بهدوء وقالت له: صح النوم.. أيه أنت منمتش بقالك شهر ولا أيه؟

- أيه يا ماري اللى بيحصل لى ده؟ وقص على مسامعها ما رأه فى الحلم..

- ماريا: أيه اللى بيحصل يعنى؟ إذا كنت بتشوف كوابيس فده طبيعى وده معناه إنك ماشى فى السليم بس لازم تتشجع عشان اللى جى مفهوش هزار، وخلى بالك ما دام شفت الحلم اللى حكيت لى عليه يبقى مش هينفع تتراجع لحسن نتأذى كلنا ثم ناولته شيئًا فمد يده وتناول من يدها شمعة سوداء قائلًا: ودية أيه دية كمان؟

- الشمعة دية هتولعها قبل ما تنام هىّ ريحتها غريبة شوية بس دية الريحة اللى هتجيب الملك اللى هيقولك على مكان الكنز، ولازم تقول له أيها الملك اطلب منك السر فى فتح الكنز ثم أضافت: الأكل عندك أهو.. أنا نازلة بعد نزول ماريا أكل بدر بنهم وحدث نفسه: أيه الهنا اللى أنا فيه ده كله.. أكل وشرب وجنس وكمان هيبقى فيه فلوس ده أنا اتفتحت لى طاقة القدر ثم نفذ ما أمرت به ماريا وأشعل الشمعة السوداء فتصاعد منها دخان أحمر، ورأى كائنات تدور حول هذه الشمعة التى يجلس فوق شُعلتها كائن آخر فقال: أيها الملك أطلب منك السر فى فتح الكنز..

تحدث الكائن الجالس فوق لهب الشمعة قائلًا للكائنات التى تدور حولها: أنا الملك الطاووس أأمُرَكم بفتح الكنوز المطلسمة وأبواب المقابر المرصودة لهذا الآدمى المستخدم لعزيمتنا ودعواتنا.. فتفرق جميع الكائنات بسرعة رهيبة واختفوا..

نظر الملك لبدر قائلًا له: سينفلق لك قلب الجبل وعندما يناديك أعوان كهوف الكنوز اطلب منهم الدخول ثم طلب منه النظر إلى كفه فرأى بدر طريقًا لأحد الجبال المعروفة وأشار له الملك إلى أحد الكهوف وأخبره أنه سيكون معه بكل لحظة ليرشده إلى طريق الكنز على أن يذهب إلى هذا الجبل بعد منتصف الليل..

لم ينم بدر منتظرًا مرور الوقت بسرعة ليعثر على كنزه، وخرج ليلًا قاصدًا المكان الذى رأه فى كف يده، ودلف إلى هذا الكهف فرأى أحد جوانب الكهف من الداخل تنفلق إلى نصفين مصدرة دويًا قويًا كالرعد كاشفًا عن باب ضخم له قفل عظيم يقف عليه كائن مهيب..

فى تلك اللحظة ظهر لبدر الملك الطاووس ليرشده كما وعده وقال له: قل ورائى: أُقْسم بالأسماء السريانية على قبائل الجن وعُمّاَر الكهوف أن يحضروا بين يدى بالسمع والطاعة والخضوع..

احضروا يا بنوا القماقم سكان الجبال والعيون الغائرة، وابطلوا كل الطلاسم المغلقة.

بحق دردئيل العفريت الهارب من القمقم السليمانى، بحق بني غيلان ساكني الكهوف افتحوا لى كل صخرة وباب مغلق، بحق الملوك السبعة والملك الطاووس أأمُرَكم بفتح هذا الكنز..

ردد بدر وراءه كل ما قاله فارتج المكان وخرج من الصخر كائنًا يحمل بيده طبلة ينقر عليها ويقول: أقسم عليكم يا أيها الخدام والعفاريت والمردة والشياطين والطغاة المخلوقين من نار السموم بأن تطردوا رصد هذا المكان وتقهروا ما عليه من الأعوان..

افتحوا الصخور والأبواب والمغالق والدفائن وأزيلوا الحُجب عن نظر بـدر خادم مرية بنت ملكنا السفلى!!

رأى بدر الكائنات حوله بصورتهم الحقيقية وبأشكالهم المرعبة فشعر بأنه يحلم إلى أن فُتح الباب الضخم وأشار له الملك الطاووس بالدخول، ودخل ليجد نفسه بمكان فسيح يشبه مقابر ملوك الفراعنة به حفرة عميقة مملوءة بالتماثيل الذهبية، واللألئ، والعملات الذهبية القديمة، ولكن كل هذه الكنوز مغطاة بالماء، ورأى بداخل هذا الماء كائنات تمد له أيديها وتقول له: انزل لتحصل على الكنوز..

أقدم بدر على النزول محاولًا مسك أيديهم الممدوة له فزجره الملك الطاووس مُحذرًا: إياك أن تستجيب.. ففى نزولك لهم هلاكك ثم مد الملك الطاووس يده لبدر معطيًا إياه قطعة مستديرة من النحاس الأحمر عليها بعض العبارات وقال له: هذه دعوة صرفهم اتلوها ثم ألقى قطعة النحاس فى الماء المطلسم..

بدأ بدر بقراءة المكتوب على قطعة النحاس الأحمر بصوت عالٍ: أيها الرئيس الموكل على الأعوان الكائنين بهذا المكان أقسم عليك بالعزيمة الدهروشية وبالأسماء السريانية.. أهيا.. أصباؤت.. بأن تأمر أعوانك بتغوير هذا الماء ثم ألقاها فى الماء فاختفت كل الكائنات، وغار الماء ولم يظهر له أى أثر..

أعطاه الملك الطاووس خاتمًا من الذهب عليه نقوش وقال له: هذا الخاتم سيحجبك عند دخولك هذا الكهف فإذا أردت فتح الكنز قرب هذا الخاتم من النار، و إذا أردت إغلاق باب الكنز فقرب الخاتم من المـاء ثم نزل بدر إلى حفرة الكنز مذهولًا مما يراه من الكنوز والذهب مُحدثًا نفسه: أنه كنز حقيقى.. هل أحمله كله، وكيف ذلك؟؟

وهبيع التماثيل دية كلها إزاي؟

أنا هاخد تمثال دهب من دول وأوريه لماريا وأشوف هنتصرف فيه إزاي؟

عاد متسللًا إلى المنزل صاعدًا إلى الدور الثانى ليتفاجأ بجلوس ماريا بوداعة وهدوء فى انتظاره لا تفارقها الابتسامة فجلس بجوارها يقُص لها الأحداث التى مرت به ويطلب منها المشورة فى كيفية تصريف هذا الكنز فقالت له: متقلقشى ماما عارفة ناس هيعرفوا يصرفوا الكنز ده، هسايسها كدة

بصنعة لطافة وأعرف منها الناس دية.. قاطعها.. لأ.. لازم ماما تعرف كل حاجة عشان تسهل لنا الاتصال بالناس دية وتعرفنا بيهم، وعشان كمان أنت وماما تاخدوا نصيبكم من الكنز ثم اتجه ناحيتها وقبلها واحتضنها قائلًا: ده أنتوا سبب فتحة الخير دية، أنتوا فتحتوا لى طاقة القدر، أنا مش هسيبكم أبدًا..

- أنا كدة وفيت بوعدى وعملت اللى نفسك فيه ياريت أنت كمان توفى بوعدك وتعمل اللى أنا عايزاه..

بدر ضاحكًا: هو ده وقته إحنا مش هنحتفل بالمناسبة دية ولا أيه؟

- هنحتفل وكل حاجة بس أنت أوعى تنسى إنك عاهدتنى على الإخلاص والوفاء وإن إحنا نكون مع بعض ومش هنسيب بعض أبدًا ثم تركته وسارت هابطة إلى أسفل قائلة: أنا اتأخرت قوى أنا هنزل وبكرة نبقى نتكلم..

بعد نزول ماريا فكر بدر بعمق وبحذر فيما يمكن أن تطلبه ماريا وأمها كحصة من الكنز، وكيف سيخفى جزءًا منه عنهم حتى يكون له النصيب الأكبر؟ وحدث نفسه: هما صحيح دلونى على مكان الكنز بس أنا اللى رُحت شفت العفاريت دية وعرضت نفسى للخطر، وأنا اللى ممكن كنت أموت..

أنا لازم أفكر آخد الكنز ده كله لوحدى وأهرب ولا من شاف ولا من درى..

***

بعد رحيل بدر من الشقة مرت الأيام بطيئة على زياد وفى أحد الأيام حضرت أمه من البلدة واستقبلها واحتضنته بشدة قائلة له: ازيك يا بنى عامل أيه؟ أنا قلقانة وقلبى واكلنى عليك مش عارفة ليه هو أنت فيك حاجة ولا واقع فى مشكلة؟؟

زياد: أنا كويس يا اما مفيش أى حاجة أنتوا عاملين أيه؟ والله يا اما أنتوا جايين فى وقتكم عشان تقعدوا معايا.

تدخلت إسراء فى الكلام قائلة: هو أنت مش شايفنى ولا البعيد عن العين بعيد عن القلب..

- إزاى بقى يا إسراء ده أنت السكرة بتاعتنا..

أمه: إحنا الصراحة جايين الزيارة دية مش عشانك إحنا جايين عشان نعزم الحاجة مرات رضوان هى وجوزها وبنتهم يقضوا يومين تلاتة معانا فى البلد وأختك كمان عمالة تزن عليّ عشان عايزة تقعد مع إيمان.. أختها اللى طلعت لها فى البخت..

فتساءل زياد: مرات رضوان مين وإيمان مين، ودول تعرفيهم منين؟

نظرت أم زياد إليه مندهشة وقالت بضيق: هو أنا مش قلت لك فى الزيارة اللى فاتت إنى قابلت ناس معرفة كانوا حبايب أبوك الله يرحمه، ولا هنقعد نعيد ونزيد فى الكلام ده، ويكون فى معلومك إحنا هنعزمهم هنا بكرة يقعدوا معانا شوية..

- يا اما هو ده مكان تجيبيهم فيه؟ هو أنت شايفة الشقة عدلة قوى؟
- يا حبيبى المكان ده مش غريب عليهم ده ياما أبوك قعد مع الحاج رضوان هنا..
- خلاص يا ستى اللى تشوفيه..
- أنا هاروح أنا وأختك دلوقتي نسلم عليهم ونعزمهم، ونزور سيدنا الحسين..

فى اليوم التالى استعدت إسراء وأمها لاستقبال الضيوف فنظفوا البيت وأعدوا المشروبات، وحضر الحاج رضوان وزوجته وابنتهم إيمان، ورحبت الأسرة بهم بحفاوة وأخذت إسراء إيمان إلى الغرفة الأخرى ليجلسا معًا بينما جلس الحاج رضوان وزوجته مع أم زياد يتسامرون، وبعد وقت ليس بطويل دخل زياد إلى الشقة عائدًا من الكلية ورحب بالضيوف، ومد يده إلى الحاج رضوان محاولًا عدم النظر إلى وجهه كأنه لا يعرفه وقائلًا بتوتر: السلام عليكم.

ابتسم الحاج رضوان محاولًا تخفيف وطأة المفاجأة عليه وقال: أزيك يا بنى.. ثم اعتذر زياد واستأذنهم للذهاب للصلاة، وخرج أمام باب المنزل مندهشًا محدثًا نفسه: أيه الحظ ده؟ يعنى من دون الخلق دية كلها ميطلعش صاحب أبوي إلا العطار اللى اشتريت منه البخور.. دلوقتي يحكى لأمى وتبقى شغلانة ثم عاد بعد الصلاة إلى الداخل، وجلس مع الضيوف إلى أن طلب الضيوف الانصراف وعادت إيمان من الداخل مع إسراء، وقامت إسراء بأداء دورها فى تعارف إيمان وزياد و أشارت إلى أخيها بطريقة مسرحية وقالت: ده زياد أخوي الكبير..

ردت إيمان بحياء: أهلًا وسهلًا..

أشارت إسراء إلى إيمان قائلة: أعرفك يا سى زياد دية أختى إيمان اللى أنت متعرفهاش..

فرد زياد: تشرفنا ثم قاموا جميعًا بتوديع الضيوف حتى باب الشقة..

أم زياد: أنتوا شرفتونا الشوية الصغيرين دول..

أم إيمان: ربنا يخليك يا حاجة.. الزيارة الجاية عندنا.. فتدخل الحاج فى الحديث وأنت يا زياد يا بنى لازم تيجى معاهم.. ده أنت ابن الغالى..

وفى اليوم التالى مرت والدة زياد على منزل زوجة العطار لأخذ إسراء معها لشراء بعض الأشياء فقد كانت إسراء تزور إيمان وتجلس معها من أول اليوم فدعتها زوجة العطار على الغذاء..

- أنتوا بكرة تيجوا تتغدوا معانا..

- يجعله عامر ده كفاية إسراء قاعدة مع إيمان ليل ونهار..

- لا والله أنتوا لازم تيجوا ده حتى الحاج عايز يقعد مع زياد.. ده اللى خلف مماتشى..

- اغرورقت عينا أم زياد بالدموع وقالت: خلاص يا أختى هنجيلكوا بكرة إن شاء الله.. مع السلامة..

عادت أم زياد إلى منزلها، وكان زياد جالسًا يستذكر دروسه وقالت: السلام عليكم..

- أيه يا اما اتأخرت ليه؟ وكنت فين؟

- كنت عند مرات عمك الحاج رضوان.. ده حتى بعتلك السلام..

- تغير لون وجه زياد وازداد توترًا وقال: الحاج رضوان مين؟

- ردت إسراء بمكر وهى تضغط على الحروف وتنظر لأمها: الحاج رضوان أبو إيمان..

- أه.. افتكرت.. الله يسلمه..

- اعمل حسابك بكرة هنروح نتغدى معاهم..

- أيه يا اما.. أنتوا كل يوم عند الناس.. ما كفاية بنتك إسراء عندهم على طول ثم نظر إلى إسراء وأضاف: يا بخت من زار وخفف.. عمومًا براحتكم..

- براحتنا أيه ! أنت جيّ معانا ده الحاج رضوان عزمك بالاسم..

مد زياد يده لزجاجة مياه بجواره بعدما شعر بجفاف مفاجئ لحلقه وشرب رشفة من الماء وقال ببعض الحدة: أنت إزاي توافقى على عزومة من غير ما تاخدى رأيى.. أنا بكرة عندى محاضرات مهمة ومش هقدر أروح..

قالت أمه بضيق: متكسفنيش مع الناس، وبعدين لما متزورشى صاحب أبوك أمال تزور مين؟ ثم بكت..

- متعيطيش يا اما أنا هاجى معاكم، شوفوا بقى هنخشلهم بأيه..

وبعد عصر اليوم التالى استعدت أسرة زياد لإجابة دعوة الغذاء بمنزل أسرة العطار واستعجلتهم إسراء.. يلا يا جماعة فضحكت أمها قائلة: اصبرى يا بت أخوك هيلبس وهنمشى..

وبعد الاستعداد ذهبت الأسرة إلى دعوة الغذاء بمنزل العطار ورحب بهم الحاج وزوجته.. أهلًا وسهلًا شرفتونا وأنستونا.. ده البيت نور.. اتفضلوا..

أم زياد: البيت منور بأصحابه..

نادت زوجة العطار على ابنتها إيمان للترحيب بالضيوف: تعالى يا إيمان سلمى على أخواتك دول عِشرة عمر وأكتر من الأخوات وأتت إيمان ورحبت بالضيوف بحياء واحتضنت إسراء قائلة: تعالى هوريك حاجة جوة، وسارا إلى إحدى الغرف..

تجاذبت الأسرتان الحديث مع صمت مُلفت من زياد فالتفت إليه الحاج رضوان وقال له: سيب الستات تقعد مع بعض وتعال نقعد أنا وأنت فى البلكونة شوية..

سارا إلى البلكونة وبادر الحاج رضوان زياد بالحديث قائلًا: أنت فى كلية أيه؟

كلية التجارة يا حاج..

ربنا يقويك يا ابنى بس متأخذنيش أنا عايز اسألك فى حاجة..

تلون وجه زياد فقد جاءت اللحظة التى يحاول الهروب منها؛ والتملص من الإجابة على أسئلتها ولكنه مضطر للمواجهة فقال: اتفضل اسأل يا حاج أنا تحت أمرك..

شوف يا بنى أبوك كان صاحب عمرى وأخوي، ومينفعش أشوف حاجة ممكن تضر ولاده وأسكت، وزى ما أنت عارف أنت جيتلى المحل واشتريت شوية طلبات وأنا مش هخش فى حياتك ولا أقولك أنت عملت بيهم أيه؟ بس الحاجات دية يا ابنى بيتعمل بيها حاجات معينة، ومتنساش أن دية شغلتى.. قولى الصراحة عشان يمكن أقدر أساعدك لو صادفتك مشكلة..

زياد: أبدًا يا حاج أنت عارف الشقة بتاعتنا عاملة إزاي وأنا قلت أبخرها..

ابتسم الحاج رضوان وقال: يا ابنى ده مش بخور عادى أنت كنت جى عارف أنت عايز أيه، يا بنى أنا زى أبوك احكى لى أنا قلقان عليك، و إذا كان على الحاجة والدتك وعد منى أنا مش هقولها أى حاجة..

مرت فترة صمت طويلة قطعتها زوجة العطار عندما دخلت عليهما قائلة: يلا يا حاج الغدا جهز..

جلس الجميع لتناول الطعام وقالت إسراء مبتسمة: أكلك حلو قوى يا إيمان طبعًا هتقوليلى عملاه إزاي؟

زوجة العطار: إيمان شاطرة فى المطبخ وفى عمايل الحلويات..

أم زياد ضاحكة: ابن الوز عوام..

انتهوا من تناول الغذاء والتفت الحاج رضوان إلى زوجته وقال: هاتى لنا الشاى أنا وزياد فى البلكونة..

وعند دخولهما إلى البلكونة بادر زياد الحاج رضوان بالحديث قائلًا: حضرتك أيه اللى مخليك متأكد أن الحاجات اللى اشترتها منك تخص حاجة مش طبيعية..

ضحك الحاج بصوت مسموع وقال: يا بنى أنا عطار من زمان واللى بيعوز بخور بيطلب بخور بس نادرًا لما حد يجى يطلب أصناف معينة زى اللى أنت خدتها.. يا بنى لو مش عايز تتكلم براحتك بس أنا قولتلك أنا خايف عليك ومش عايزك تتأذى..

- أنا يا حاج مقدرش أحكيلك.. أنا حالف يمين، وبعدين دية أسرار مش هتفيدك ومش هتقدر تساعدنى فيها..

- قصدك عملت عهود ومواثيق..

- توتر زياد ونظر إلى الحاج مندهشًا من إطلاقه لهذا اللفظ..

- متستغربش يا ابنى بس إذا كنت عملت حاجة زى دية قوللى، وأنا هاقولك تحكى لى أمتى، وأنا هاحميك بإذن الله.

- حضرتك تحمينى من أيه يا حاج.. أصلًا مفيش حاجة..

تجاهل قوله الحاج رضوان وسأله: قولى يا بنى الأول.. فيه عهود؟

زياد: أيوة..

نظر الحاج رضوان إلى رقبة زياد وسأله: هو اللى أنت لابسه فى رقبتك ده حجر ولا أيه؟

وضع زياد يده على رقبته ممسكًا الحجر بحرص وقوة محاولًا إخفاءه وقال: لأ.. ده سلسلة عجبتنى واشترتها..

فى تلك اللحظة نادت أم زياد: يلا يا زياد إحنا اتأخرنا فتنفس الصعداء فقد أفلت من مأزق صعب وقام مسرعًا فاستوقفه الحاج رضوان قائلًا: يا زياد يا ابنى لو غيرت رأيك أنا هستناك بكرة فى المحل.. فكر وأنا فى انتظارك.

عاد زياد وأسرته إلى منزلهم، وإسراء تتحدث بسرور مع أمها عن إيمان فالتفتت أمها ووجهت لزياد سؤالًا: أيه رأيك فى الناس دية؟

- رد زياد باقتضاب: كويسين وتركهما داخلًا إلى غرفته مسترجعًا حديثه مع الحاج رضوان، لتتصارع بداخله الأفكار إلى أن نام وراوده أحد الأحلام فقد رأى نفسه جالسًا وسط دائرة من دخان أبيض، وحول الدائرة رأى أشباحًا بدون رؤوس، ورؤوسًا بدون أجساد، وحشرات مخيفة يحاولون دخول الدائرة فيصطدمون بالدخان الأبيض الذى يُحيط بها ويتساقطون، وخلفهم كائن أسود بشع مخيف.. ورأى أخته إسراء جالسة مرتعبة فى أحد الأركان واتجه إليها هذا الكائن.. فحاول الخروج من دائرة الدخان لإنقاذ أخته فلم يستطع، ورفعها الكائن وألقى بها عبر الحائط إلى الفراغ فاستيقظ زياد من حلمه فزعًا يقتله القلق على أخته فقام مسرعًا وسار باتجاه الغرفة التى تنام فيها مع والدته فوجدهما

نائمتين، وبالرغم من اطمئنانه عليهما لم يستطع التخلص من قلقه من رؤية هذا الحلم المرعب، وتمنى أن يمر الوقت سريعًا حتى يذهب إلى الحاج رضوان فقد شعر بأنه يمكن أن يحمل عن كاهله بعض الأزمات التى يمر بها وأن يساعده فى الخروج من مأساته التى صنعها بيديه..

وفى الصباح الباكر ذهب مسرعًا إلى دكان الحاج رضوان الذى رحب به وعلى شفتيه نفس الابتسامة الهادئة الودودة وقال: أزيك يا ابنى أنا كنت مستنيك.. ما أنت أصلك طيب وبقدرة ربنا هكون جنبك على طول ومتقلقشى من أى حاجة ما دام ربنا معانا، وقبل ما تقولى أى حاجة أنا هاحكى ليك حكايتى عشان تتطمنلى وتعرف أنى زى أبوك..

أنا يا بنى من بلدكم وأبوك كان صاحبى، ومكنش عندى ولا أرض ولا أملاك وكنت على باب الله بعيش اليوم بيومه وكنت زى أى شاب عندى طموح وأحلام، ولما كملت عشرين سنة ومع صعوبة الحياة قلت أنزل مصر ما هى رزقها واسع، والشغل فيها كتير، وفعلًا نزلت لمصر وقعدت فى لوكاندة وكل يوم أنزل أدور على شغل، واشتغلت فواعلى.. أشيل رمل ماشى أشتغل مع مقاول أنفار ماشى لحد ما تعبت والأيام كلها بقت شبه بعضها، وبقيت محروم من كل حاجة، وياما قعدت أيام كتير آكل عيش ناشف وملح أو طعمية وفول، والليل دايمًا طويل وبيجى وراه ليل أطول منه، وفيه ليالى مكنش بيطلعلها نهار لحد ما قابلت أبوك فى يوم صدفة، ووقف جنبى وقفة رجالة تصدق إنى أنا كنت ساكن فى نفس الشقة اللى أنت ساكن فيها دلوقتى.. أبوك خلانى أقعد فيها على ما الحال يتعدل، ما هو مكنش بينزل مصر كتير فمكنش محتاج الشقة، ولما سكنت فى الشقة دية كنت بشوف دايمًا ناس داخلة وخارجة كتير من الشقة اللى قصادى، وطبعًا عشان أنا فاضى كنت بقعد على باب البيت كتير لحد ما فى يوم جت واحدة ست بتعيط وبتقولى هو ده بيت الحاجة محاسن؟ أنا وقفت ساكت مش عارف أرد عليها.. ما أنا معرفشى، وفى الوقت ده لقيت واحدة خارجة من جوة بتبص لى وبتقول للست اللى واقفة معايا عايزة مين يا أختى؟ فقالت لها أنا عايزة الحاجة محاسن.. قامت واخدها وداخلة، وبعد شوية مشيت الست اللى جت بتعيط وهى مبسوطة؛ وخرجت لى الست اللى ساكنة فى البيت..

بينى وبينك كانت ست مريبة ليها عين واحدة سليمة والثانية عين لونها رمادى وشكلها يخوف، ولاقيتها بتقولى أنت مين يا أخوي؟ عرفتها بي وأديتها أمارة عن أبوك عشان تصدق إنى صاحبه وقاعد فى شقته..

رحبت بيّ، وسبتنى ودخلت، ومن كتر ما كنت بقعد على باب البيت شايف اللى داخل واللى خارج خرجت لى فى يوم وقالت لى أنت قاعد هنا على طول ليه؟ هو أنت مبتشتغلش ولا أيه؟ فحكيت لها

ظروفى ولقيتها بتعرض عليّ أنى أشتغل معاها وأساعدها وسألتها هو أنت شغالة أيه؟ قالت لى بقف جنب الخلق وكله بثوابه.. قلت لها سيبينى أفكر يا ست.. بينى وبينك أنا كنت مبسوط من جواي، وقلت لنفسى: يمكن الشغل مع الست دية يكون أحسن من الشغل اللى بشتغله يوم وأبطله كذا يوم، ومن الصبح خبطت عليها وقلتلها إنى موافق على الشغل معاها وهى وعدتنى بتغيير حالى فى القريب العاجل..

صدقنى يا ابنى أنا مقصدتش الحاجة محاسن عمدًا لكن الظروف التى مريت بيها هى التى خلتنى استخبى فى عالمها.. قاطعه زياد بذعر.. أنت بتقول يا حاج أن الست دية كان اسمها الحاجة محاسن؟

أيوه يا بنى.. أنت عارف طلعت بتشتغل أيه؟ طلعت دجالة!!

قاطعه زياد يعنى الحاجة محاسن دية ست حقيقية؟

ضحك الحاج وقال: أيوه يا بنى أمال أيه؟

المهم أكمل لك.. اشتغلت مع الحاجة المبروكة زى ما كان الناس بيندهولها، واتعلمت أصول الدجل والشعوذة على حق، وقربت منها قوى بحكم العِشرة، وابتدت تحكى لى عن حياتها وأن الظروف هىّ اللى عملت فيها كدة وأنها كانت واحدة عايشة زى أى واحدة فى بيت خالتها عشان أمها وأبوها ميتين وجالها ابن الحلال واتجوزت فى الشقة اللى قاعدة فيها دلوقتي، وفى أول أيام جوازها كانت بتشوف دايمًا خيال بيمشى قدامها فى الشقة، وحكت لجوزها فخد الموضوع باستخفاف، والموضوع ده زاد لحد ما الخيال اللى كانت بتشوفه ابتدى يتكلم معاها وساعتها وقفت مع جوزها وقفة جامدة وقالت له: لازم تشوفلى حل لحسن هسيبلك البيت.. يا راجل بقولك أن فى حد بيكلمنى ماتتنحرر كدة يا راجل..

جوزها قالها يا ستى أنا هتصرف، وبعد كام يوم جاب معاه واحد عَرَفت فيما بعد أنه ساحر.. وقعد يقرا حاجات ويشاور على الأركان وبعد كدة خلاهم يجيبوا طبق صينى وحط فيه شمعة وحتة عيش وبلحة، وقالهم حطوه على باب الشقة وطمنهم أنه عمل لهم صلح مع عُمّاَر هذا المكان، وفضل الحال زى ما هو، والخيال بيظهر برضه راح جوزها جايب واحد تانى وبعد وقت طويل من التعازيم وغيره قالهم الروح اللى فى المكان ده جامدة وأنا مش قادر عليها أنتو لازم تجيبوا شيخ وهو الوحيد اللى هيطلع الروح دية ويطردها من المكان..

عاشت محاسن الأيام بخوف حتى إنها كانت تبيت بعض الليالى عند جارتها فى الدور اللى فوق، وبدأت تحكى لجارتها عن الراجل اللى بتشوفه، وعن شعورها بيه وهو بيحسس على جسمها وأنها

بتشعر بأنفاسه حولها وخلفها بس مقربش منها ولا عمل فعل الأزواج، وبعد فترة جابلها جوزها شيخ، وبعد قراءة القرآن بالمكان وعليها أيام كثيرة استطاع السيطرة على هذا الطيف الموجود بالمكان بإذن الله، ولم يرض هذا الطيف إلا بأن يخرج من عينها وقد حاول معه الشيخ مرارًا وتكرارًا أن يُخرجه منها بدون أذيتها ولم يستطع، وقد خرج فعلًا هذا الطيف من إحدى عينيها التى ابيضت تمامًا من وقتها، وبعد كدة اتوفى جوزها، وحالتها اتدهورت ومبقتش تلاقى اللقمة، وفى أحد الأيام جالها الشخص اللى مرة جه مع جوزها قبل كدة بحجة أنه جى يشوف مسألة العفريت اللى فى البيت وعمل نفسه زعلان لما سمع منها أن جوزها مات، وشاف ظروفها الصعبة فعرض عليها أن يبدأ بتعليمها بعض الأعمال التى يمارسها على أن تعطيه نفسها، وتطيعه فى كل ما يطلب وخضعت له واستسلمت، وبدأت تتعلم منه السحر والدجل والشعوذة حتى ساءت سمعتها عشان الراجل ده كان بيجى عندها البيت كتير وهى قاعدة لوحدها من غير راجل لحد ما طلبت منه ألا يحضر لها وبأنها هىّ من ستذهب إليه، وبعد مرور الوقت ذاع صيتها بين الناس بأن لها قدرات خارقة، وبأنها تستطيع إلحاق الأذى بهم، ومر الزمن على نفس السجية إلى أن استفحل علمها بالسحر مما جعلها تستطيع تسخير جنى حارسًا لها تسخره لتلبية بعض مطالبها.. فكان يكشف لها بعض الخفايا الخاصة بالناس التى بتقصدها للعلاج.. لدرجة أنها كانت بتظن أنه يقدر يحميها من الموت؛ وكانت مرتبطة بالقطط ارتباطًا هى نفسها لا تعلم كنهه، وكما حكت لى كانت تشعر نحوهم بعاطفة جياشة إلى أن امتلأ المنزل بكمية رهيبة من القطط.

وقد ترك الجيران فى الدور العلوى المكان بعد تواجد هذه القطط بكثرة وبسبب خوفهم من جارتهم الحاجة محاسن وانتشار شرها، وطبعًا لم يسكن أى شخص فى هذا المنزل من وقتها، وأصبحت أنا وهى فقط سكان هذا البيت وبدأت أتتلمذ على يديها وأنهل منها ومن بحور المعرفة الخاصة بالسحر والعالم المجهول، وتتلمذت على يديها حتى إنى تفوقت عليها فتعلمت علم أسرار الحروف وخواصها، وقد كان هذا العلم المفتاح السحرى لحل جميع العقد والمشكلات.. ده أنا كنت بارقص مع التعاويذ ولما كانت بتتعب من الرقص كانت بتيجى تنام جوايا،

أنت عارف إنى بشم ريحة بخور الشقة دية لحد دلوقتي وكتير قوى نفسى تبقى عايزة ترجع لأيام محاسن.. وتنهد قائلًا: ما أجمل الماضى!!

أنت عارف إنى كنت عايش زى الملوك.. ثم جلس على أحد الأجولة المتكدسة وأكمل كلامه: ومر بيّ الزمن والأيام دارت لحد ما قدرت نفسى تضحك على عقلى وفهمته أنه يقدر يمسك النجوم بأيديه..

السحر بقى حتة منى وبقيت متكبر ومغرور، وحسيت إنى محتاج معرفة أكتر بالسحر فمارست رياضتى الأولى وبدأت الخلوة لأداء فترة خدمة للجن، وذلك فى مغارة معينة بأحد الجبال، وكنت محرومًا من الأطعمة وأكل اللحوم وأكل الثوم، وكان كل طعامى من الشعير والماء، وحفظت دعوات وعزائم كثيرة جدًا وأصبحت تلاوتها يسيرة سهلة بالنسبة لى، وبعد مرور فترة الخُلوة عُدت إلى الحاجة محاسن وراجعت معها طُرق القهر والعقد والحل واستخراج الدفائن والجلب والمحبة والتخريب والفرقة والبغُض، وتفننت فى علم الأرصاد الفلكية والنجوم والكواكب كما تفننت فى جلب الأرواح الطيارين فى الهواء، وقهر الملوك والجبابرة، وتحكمت فى طُرق الحجب من الجان والعفاريت وقتها تعمق عندى الإحساس بالتحكم فى الطبيعة، وامتلاك زمام العوالم حتى حاك الناس بعضهم البعض عنى القصص والخرافات فى أن لى صداقة ومؤاخاة مع الشياطين والجن، وبدأت العلاقة بينى وبين الحاجة محاسن تسوء نظرًا لسؤال الناس عنى بالتحديد لتنفيذ أعمالهم؛ وبدأت الخلافات بيننـا، ولأول مرة أرى الحاجة محاسن على حقيقتها.. فقد كان لها ذهن حاد، ونفس حاقدة شريرة، فحاولت أن تخضعنى لها، وكنت دائمـًا أستطيع رد شرها عنى إلى أن طلبت منى مساعدتها فى صرف عمار هذا المكان لاستحضار أحد ملوك الجان السفليين وبالفعل تكاتفنا، وأحطنا عُمّار هذا المكان بشُهُبٍ من نار بلا ملجأ أو مفر حتى رحلوا؛ ولم نطلب منهم الرجوع إلى المكان مرة أخرى فأصبح المكان مكشوفًا بلا حجاب مانع..

وقتها ألهمنى الله معرفة حقيقة الكون ولماذا خُلقنا، وتعرفت إلى نفسى بعدما كنت أجهلها فقررت الهروب من هذا المكان ابتغاء مرضاة الله وأيضًا لخوفى على نفسى منها؛ ورحلت تاركًا هذا المنزل نهائيـًا، وفتحت محل العطارة هذا.. ثم تزوجت ورزقنى الله سبحانه وتعالى بابنتى إيمان التى جعلت نظرتى للحياة مُضيئة، وكلما كنت أنظر إليها أشعر براحة وطمأنينة، ومرت بى الأيام إلى أن أنتشر خبر وفاة الحاجة محاسن المفاجئ بين الناس وسمعت به مثلهم..

الصراحة يا زياد يا بنى أنا مشفتش اللى حصل بس هانقل لك كلام الناس زى ما سمعته.. الناس قالت إن الجيران فى البيوت اللى جنب بيت الحاجة محاسن كانوا بيسمعوا بالليل أصوات صريخ ودوشة، وبعد كدة مبقوش يسمعوا حاجة لحد ما شموا ريحة عفونة وحشة قوى، فاتصلوا بالشرطة، ولما الشرطة جت وكسروا باب الشقة شموا ريحة العفونة دية بس ملقيوش أى أثر للحاجة محاسـن، ومن وقتها يا بنى الشقة دية الناس خافت تيجى ناحيتها ولا بيروحوا ناحية البيت من الأساس، أنا وجعتلك دماغك يا ابنى بالحكاية دية.. بس أنا بقى لى كتير عايز أفضفض وأتكلم مع حد غيرى..

فى هذه الأثناء شعر زياد بأنه يحلم فهو يسمع بنفسه أمرًا لن يصدقه إذا نقله شخص إليه، ووجد نفسه فى وضع لا يمكنه من السيطرة فيه على انفعالاته، فقد تأكد تمامًا بأن جارته تُمثل خطرًا عليه لا يمكنه الالتفاف حوله بل يجب عليه مواجهته ولكن كيف يواجه شرًا لا يعلم ماهيته؟ ولا يستطيع مجابهته، ويبدو أنه لن يعرف ما هو مصيره؟ ولعله من الخطأ أن يستمر هكذا بدون رفيق يرشده إلى الصواب وينتشله من الأخطار التى يمكنها أن تناله.. تفاقمت داخله الصراعات التى حطمت توازنه النفسى فقد ارتكب خطأً جسيمًا بمحاول ة إقامة علاقة غير طبيعية مع جنس من عالم آخر لمجرد إشباع تخيلى لرغبة غير واعية لا يسعه حتى مجرد الإحساس بها أثناء اليقظة.. انتفض زياد من الحالة التى عصفت بكيانه وجعلته تائهًا فى اللحظة التى وضع الحاج رضوان يده فيها على كتفه.. أيه يا ابنى رُحت لحد فين؟

- مفيش يا حاج أنا سرحت شوية حضرتك قلت إنك هتقف جنبى، ووقت اللزوم ممكن تحمينى طب لو فيه قسم وفيه عهد أنا أخذته على نفسى بعدم الكلام وإفشاء السر.. هتحل لى الموضوع ده إزاي؟

ابتسم الحاج رضوان وقام بإغلاق باب المحل من الداخل، وكنس المكان، ورشه، وبخره ثم أحضر لوح صفيح ونقش عليه بعض النقوش الغريبة ورماه داخل المبخرة قليلًا من الوقت ثم أخرج اللوح الصفيح من النار ومحا الكتابة التى عليه وهو يتمتم تمتمات غير مفهومة ثم أحضر بودرة حمراء ومزجها بالماء وخط خطوطًا من أول باب المحل إلى الداخل ثم وضع يديه على جبهة زياد قائلًا بصوت مسموع: بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إنا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ.. وَمَا أَمْرُنَا إلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ

أقسمت عليك أيها السيد كندياس..

أجبنى أنت وأعوانك وخدامك بحق دعوة آية الكرسى، وأعينونى على حجب زياد ابن زينب..

أجب أيها السيد كندياس أسرع من البرق..

عزمت عليكم بحق سليمان بن داود عليهما السلام أن تعطونى العهد والميثاق على تمام الحجب من إبليس والشياطين والغيلان، وجنان الأماكن، والتوابع، والهواتف، والعفاريت، ثم نظر طويلًا إلى باب المحل فظهر كائن قصير بيده عصا اقترب منه الحاج رضوان بهدوء شديد وخطف من يده العصا، وقال: أسالك يا الله أن تُنزل شديد العذاب والعقاب والصواعق الخارجة من أبواب نقمتك على من عصى هذه العصا التى فيها أسماؤك ودعواتك ثم أشار بهذه العصا على الأركان، واختفى كل شيء الخطوط الحمراء والكائن ولم يتبق إلا رائحة البخور ثم ذهب وفتح باب الدكان وهو يقول لزياد: تكلم كيفما تشاء فقد عاهدتنا الأرواح وما حولها من خدامها الموكلين بها بالأوفاق الجامعة الشريفة

وبحق دعوات آية الكرسى على حجبك وإخفائك من جميع خلائق الجن والطبيعة، ولكن لن يستمر هذا الحجب وقتًا طويلًا.. اتكلم بقى وأنت مطمن..

بدأ زياد بقص كل الأحداث التى مر بها من وقت وفاة والده حتى ظهور الحاجة محاسن له بالشقة وزجر قاضى الجن لها، وبعد انتهائه من حديثه كسر الحاج رضوان العصا التى كان يحملها ورفعها عاليًا لتختفى كأن لم تكن وقال لزياد: اعلم أن هذا الكيس الذى وجدته كان لى وقد نسيته تمامًا عند حمل أمتعتى وأشيائى من الشقة.. ولكنه النصيب..

والآن يجب علينا التحرك سريعًا لمجابهة الخطر المحدق بك من الشياطين وأعوانهم؛ وللتخلص من المأزق الذى وضعت نفسك فيه بطلبك الزواج من ملكة الجمال، وإذا كان هناك حماية خفية من قاضى الجن لك فهى لن تستمر طويلًا لأنه يجب أن يزوجك بملكة الجمال أو سيعاقبك عقابًا شديدًا..

ثم رفع العطار يديه إلى السماء داعيًا الله لزياد: اسأل الله أن يكون بك رحيمًا؛ ومن الآن وصاعدًا يجب أن تخبرنى بكافة مجريات حياتك وتفاصيل يومك حتى أحلامك يجب أن تخبرنى بها، ومن ناحيتى أنا سأحاول جاهدًا مساعدتك حتى تخرج سالمًا ممن حولك؛ ومش عايزك لو بدر بن عمك جه عندك تدخله الشقة خالص لحد ما أشوف أيه موضوع ماريا ده، وأتأكد من حاجة كدة جت فى دماغى، وطول ما أمك وأختك هنا عايزك متحسسهمش بأى حاجة، وبصنعة لطافة كدة عايزك متخلهومش يقعدوا فى البيت إلا عند النوم بس وأنا هافهم الجماعة عندى أنهم يستضيفوهم؛ وأنت من ناحيتك فهمهم أى حاجة بس أهم حاجة أنهم ميقعدوش فى الشقة كتير لوحدهم.. وأنا هوصل بس لأسوان عشان أستلم بضاعة للمحل جاية من السودان وهغيب كام يوم ولما أجى هنشوف هنعمل أيه؟

***

رغبات كامنة بداخلنا.. تراوغنا

من يستتر عنها.. يفوز

ومن يتوجه نحوها تقذف به إلى الهاوية..

بعد العثور على الكنز ومعرفة بدر من الملك الطاووس بكيفية الولوج إليه وحصوله على ما يريده منه، وطمعه فى الاستئثار بالكنز وحده فكر مليًا فى كيفية التخلص من ماريا وأمها، وفكر أيضًا فى الناس فكيف سيتقبلون فكرة غناه المفاجئ؟ فهل سقطت عليه ثروة من السماء؟ و إذا تطور الأمر ووصلت ثرثرة الناس عن ثرائه المفاجئ إلى الشرطة فكيف سيبرر لهم وجود هذه الأموال الطائلة بين يديه..

فكر طويلًا حتى تراءى أمام عينيه حل لتلك المشكلة، وفى الصباح الباكر توجه إلى محطة القطار مسافرًا إلى بلدته للقاء والده..

- أزيك يا أبوي..

- ياه أخيرًا افتكرت أن أمك عايش..

- متقولش كدة يا حاج سعيد ده أنت الخير والبركة أنا عمرى ما استغنى عنك بس أنت عارف ظروف الدراسة..

- بقولك يا أبوي أنا عايز قرشين..

- ليه؟ هىّ الفلوس اللى بابعتها لك مبتكفيش؟

- تكفى أيه بس.. ده العيشة فى مصر مولعة.. هو أنت فاكرها زى البلد هنا!!

- خلاص حول على جامعة فى بلد قريبة علشان توفر المصاريف..

- افهمنى بس يا ابا.. أنا عايزك تبيع كام قيراط وتدينى فلوسهم..

- أيه يا روح أمك.. أنت عايز تورثنى بالحيا ثم أنت هتعمل أيه بالفلوس دية؟

- كدة أنت ابتديت تتكلم فى المفيد أنا هدخلك مشروع..

ضحك والده متهكمًا: أنت هتدخلنى أنا مشروع..

- يعنى أنت تعبت قوى فى الأرض دية.. ما أنت عارف وأنا عارف هىّ جت إزاي..

- اخرس يا كلب.. ما أنت تربية أمك..

- مالوش لازمة الكلام ده أنا هاقولك الخلاصة.. أنت هتبيع قد خمس أو ست قراريط وتدينى فلوسهم ولوعايز تطمن على فلوسك انزل معايا مصر وشوف أنا هاعمل بيها أيه؟

وأنا يا سيدى القيراط اللى هتبيعوا عشانى هيكون قصاده فدان منى، ومتخافشى ده أنا برضه ابنك ومش هضرك نظر إليه والده مطولًا وبادره بالقول: هو أنت يا بنى اتجننت ولا أيه؟

مشروع أيه ده اللى هيخليك ترد القيراط بفدان؟

لم يرد بدر على والده وإنما فتح شنطة سفره، وقبل فتحها قال لوالده: اللى أنت هتشوفه دلوقتي متتكلمش عنه أبدًا واخرج كيس طعام به بعض أرغفة الفينو كل رغيف ملفوف بورقة على حدة ثم قطع الورق من على أحد هذه الأرغفة وأخرج ما بداخله، ومد يده لأبيه.. اتفرج..

وقف والده مذهولًا مشدوهًا لا ينطق بأية كلمة.. فبادره بدر ضاحكًا: أنت اتصدمت ولا أيه يا أبو سعدة.. استفاق والده من هول مفاجأة ما رأه ومد يده خاطفًا إياه من يد بدر وقال: يخرب بيتك وبيت أمك.. جبته منين ده؟ وتفحصه من كل جانب ثم أضاف: ده تمثال فرعونى ومن الذهب كمان أنا مش مصدق اللى أنا شايفه أنت جبته منين ده؟

- شوف بقى يا حاج أنا رُحت سكنت مع واحد صاحبى فى شقة فى بيت قديم ولقيته هناك.. صدقتنى بقى أن فلوسك محفوظة.
- طب أنت عايز منى فلوس ليه ما دام معاك الثروة دية؟
- أنا هفهمك.. الشقة اللى أنا سكنت فيها موجودة فى حارة صغيرة، والمنطقة هناك حلوة وقريبة من السيدة زينب أنا قلت مينفعش أبيع التمثال ده والثروة تبان علي كدة فجأة فقلت اشترى بيتين فى الحارة دية وأهدهم وأبنيهم عماير جديدة وبعدين أبيع العماير دية وأشترى بقى فيلا أو عمارة فى مكان جامد، والفلوس اللى هنشترى بيها البيوت دية لازم تكون معلومة المصدر عشان محدش يتكلم علينا ونخش فى سين وجيم.. يبقى إحنا بعنا أرضنا فى البلد واشترينا بيوت فى مصر..
- رد والد بدر بعدم اهتمام: أه.. ده اللى بيقولوا عليه غسيل أموال، ده أنت تفكيرك شيطانى.. صح أنت طالع لأبوك صحيح وده بقى هتبيعه لمين، وإزاى؟
- بيع التمثال ده مش بالساهل.. لسه هشوف ناس يشتروه..
- بس خلى بالك لحد ينصب عليك..
- متخافشى.. خلاص داخل معاي ولا أتعامل أنا وأتصرف لوحدى..

قام والد بدر من مجلسه خارجًا من الغرفة قائلًا لبدر قوم تعال معاي، وتوجها إلى غرفة أخرى بالدار، ورفع مرتبة إحدى الكنبات فظهرت سحارة مغلقة بقفل، فتحها واستخرج منها صندوقًا من الكرتون به أوراق وقال لبدر: قوم يلا وتعال افرز معايا الورق ده عشان نطلع ورق الأرض الشرقية فبدأ بدر بقراءة الأوراق وفرزها فرأى أكثر من حُجة أرض وعقود أخرى لمستأجري أراضٍ من والده، وأوراق ملكية لأكثر من منزل وإيصالات أمانة..

وفى تلك اللحظة نادى أحد الأشخاص على والد بدر من الخارج فقام والد بدر بفتح باب الدوار وأخبر من ينادى عليه بأنه سيمر عليه ليلًا ثم عاد ليجلس مرة أخرى ويكمل فرز وقراءة الأوراق، وبطريقة

مفاجئة أعاد الأوراق إلى الصندوق مرة أخرى وأعاد الصندوق إلى مكانه قائلًا لبدر: شوف يا بنى أنا فكرت كويس فى الموضوع ده.. أنا حالى كدة ميت فل وعشرة وأنا معاي الفلوس اللى مكفيانى ومعيشانى باشا، وعندى هنا فى البلد كام مصلحة كمان وعشان كدة أنا مش هبيع حاجة ومش هخش معاك فى أى مشاريع.. أنا مش عايز وجع دماغ..

رد عليه بدر مستاءً وبدت عليه ملامح الحقد والحنق والتوعد: يعنى يا ابا مش عايزنى أشوف حالى وأكبر عايزنى أبقى مستنى منك اللقمة والمصروف.. على العموم أنت اللى خسران، وأنا قلت أنت أولى من الغريب..

دفعه والده بصدره متعصبًا وقال: هو أنت نسيت نفسك يا واطى يا ابن الكلب أنت بتكلمنى كدة ليه؟ وعشان اللقمة والمصروف اللى بتتكلم عليهم دول من النهاردة مش هتشوفهم ولا أنت ولا أمك، ويلا قوم اخرج من هنا ومش عايز أشوف وشك تانى.

نظر إليه بدر مصدومًا ثم أعاد حاجياته إلى شنطة سفره كما كانت وانصرف ذاهبًا إلى والدته التى استقبلته بترحاب وأعدت له الطعام ولاحظت حزنه فقالت له بحنان: أيه يا بنى مالك؟

- مفيش حاجة يا اما..

- ضحكت وقالت له: هو أنا مش عرفاك لما بتبقى متضايق.. قولى يا بنى فيه أيه؟ هو أنت ليك حد غيرى تفضفضلُه..

- بحزن: أنا لسه جى من عند جوزك..

- اندهشت مستنكرة.. جوزى!!

- أيوه مش اللى اسمه أبوي ده يبقى جوزك..

- نهرته أمه: أنت بتتكلم يا بنى على أبوك كدة ليه؟

فقص لها ما دار بينه وبين والده وأخرج لها التمثال الذهبي الذى معه ثم استخرج بعض الأوراق كان يخفيها بملابسه وقرأ بعضها ثم أعطاها إياها فسألته: أيه دول يا بنى؟

- بصراحة لما واحد صاحب أبوي نده عليه أنا خدت من وراه شوية ورق من الصندوق اللى مخبى فيه الورق بتاعه وخبيتهم تحت هدومى..

- لطمت صدرها بيدها وقالت: أنت سرقت أبوك.. يالهوى يالهوى.. ده لو عرف هيقطم رقبتك ومش بعيد يوديك القسم..

- ما هو عشان كدة يا اما أنا عايزك تخبى الورق ده عندك.. ده فيه حُجُج أرض وعقود وإيصالات أمانة.. وأنت محدش هيشك فيكي أنت كدة كدة مبتروحيشي عنده ولا هو بيجيلك.. ده حتى بيبعت

لك مصاريفك مع بنته اللى هى المفروض تكون أختى.. شيليه يا اما.. يمكن يموت وساعتها يبقى حقنا معأنا، وبعدين ما أنا لسه بقولك أنه مش هيبعت لك ولا مليم ومراته التانية متهنية بفلوسه؛ وكمان مش هيصرف عليّ ولا عليك..

تغير لون وجهها وقالت بحدة: هو أبوك من يومه مبيحبش غير نفسه هو أنت مسألتش نفسك أنا خلفتك وأنا كبيرة شوية ليه؟ أنا هاقولك وأحكيلك كل حاجة..

لما اتجوزت أبوك كنت مليانة شوية، وأبوك اتجوزنى وأنا كدة، وبعد الجواز تعبت شوية بسبب التخن ده وكنت باخد علاج مينفعش أحمل وأنا بخده، وبعد ما خلصت العلاج الحمل اتأخر شوية لحد ما ربنا ما كرمنى وحملت فيك، وبعد ما خلفتك تخنت أكتر من الأول وده كان غصب عنى..

أنا طبيعة جسمى كدة هاعمل أيه؟ وفى يوم أبوك راح فرح ابن واحد صاحبه ورجع من الفرح وهو متضايق قوى وقعد يبصلى ويقول: توب علينا يارب أمتى هناخد إفراج؟

المهم أنا مكنتش حمل نكد ومشاكل قمت وخداه بالسياسة عشان أعرف ماله، وحكى لى إنه شاف العروسة مرات ابن صاحبه وقعد يوصف لى رجلها وأيديها وجسمها وجمالها ووصف فيها حاجات أنا مش هقدر أقولها، وأنا بصراحة اتحرق دمى وقعدت أعيط فلقيته بيقولى أنت لازم تخسى ومش عايز أشوفك بالمنظر ده وإلا هيكون لى معاك تصرف تانى..

رحت اشتكيت لأمى ومعرفتشى تفيدنى بأى حاجة بس قالتلى حاولى متكليش كتير عشان تبقى حلوة فى عنين جوزك ويمكن تخسى شوية.. أنا بقيت مكُلش وتعبت قوى وبقى يُغمى عليّ وعشان مكنتش باشرب ميه كتير جت لى حصوة وعملت العملية وبقيت ادعى عليه، وبعد ما عذبت نفسى وحرمتها من الأكل والشرب برضة مخستش وشكلى بقى مش حلو فقلت لنفسى أنا مش هاعيش إلا مرة واحدة يعنى لازم آكل وأشرب ومحرمش نفسى، وأبوك مبيتمرش فيه حاجة، وبعد فترة كدة سمعت أن أبوك اتجوز عليَّ رحُت له بيت عروسته واتخانقت معاه ومعاها وقلت له أناعشت معاك على الحلوة والمرة وبعد ما ربنا فتحها عليك واغتنيت تتجوز عليّ اما أنت راجل ناقص ربنا ينتقم منك، وشتمته هو ومراته فعايرنى بتخُّنى قدام مراته التانية وطردنى ومن ساعتها مشفتش وشه زى ما أنت عارف..

أنا يا بنى حكيتلك الكلام ده عشان تعرف أن أمك ده أنا نى وبتاع مصلحته وأنا مرضتش أطلب منه الطلاق عشانك ما أنا كنت هصرف عليك منين، ولازم يفضل يصرف عليك ثم بكت بكاءً حارًا قائلة: أبوك ظلمنى وشيلنى الهم من يوم ما شفته ما هو اتجوزنى تخينة أعمل أيه فى نفسى؟

عارف.. أنا كنت هموت نفسى بس قُلت هسيبك لمين؟ وطبعًا هو كان هياخدك ويرميك لمرات أبوك تربيك، ويا عالم كانت هتعمل فيك أيه؟ أبوك ده مفترى مبيخافشى ربنا وأنت لما قلت لى أنك خدت منه الورق أنا خفت عليك ليعمل فيك حاجة..

هدأ بدر من روع أمه وقال: متخافيش عليّ يا اما اعتبرى أن الورق ده تعويض عن اللى عمله فيك، وفيّ وأنا دلوقتي هيسيبك يدوبك أسافر على مصر عشان أروح الكلية وأخلص شوية حاجات كدة..

سافر بدر عائدًا إلى مصر وعند وصوله ذهب إلى اللوكاندة ووضع حاجياته فى غرفته وأفرغ شنطة سفره وأخذها فارغة ونزل سريعًا متوجهًا إلى الكهف لجلب مزيد من التماثيل الذهبية والعملات الأثرية ليملأ بها الشنطة فقد قرر أخذ الكنز كله لنفسه ودخل إلى الكهف، وخلع الخاتم الذى أعطاه له الملك الطاووس وأشعل شمعة قد أحضرها معه وقرب الخاتم من النار لفتح أقفال الكنز، لكن لم يحدث شىء ولم ينفتح باب الكنز فسأل نفسه ما الخطأ ولماذا لا ينفتح الباب المؤدى إلى الكنز؟؟

عاود الكَرة مرات عديدة ولم يستجيب الباب للخاتم ففقد الأمل وخالجه الشعور باليأس فتوجه إلى بيته القديم لمقابلة ماريا لعله يسترجع معها الأحداث السابقة فيمكن أن يكون قد نسى أمرًا ما، وتسلل إلى سكنه القديم، وطرق باب شقة ماريا برفق وفتحت له ماريا..

لم يتحدثا وإنما نظر لها بدر وأشار لها إلى أعلى وهزت ماريا رأسها بالإيجاب وسبقها إلى الدور الثانى، وبعد قليل لحقت به فاحتضنها بشوق مبالغ فيه وقال لها: أنت عاملة أيه.. وحشانى.. بقالى كتير مشفتكيش ومقعدتش معاك، وأغرقها فى بحر من الإطراء والغزل، وبادلها الأشواق محاولاً تقبيلها فأبعدته عنها وأفسدت عليه اللحظة قائلة: احكى لى عملت أيه فى اليومين اللى أنت كنت غايب فيهم؟

- عادى سافرت البلد شفت أبوي وأمى وغيرت جو، وبالمناسبة هو أنت قلت لماما على تصريف الكنز عايزين نقبض بقى.. أه كنت هانسى؛ وحكى لها عما جرى بينه وبين والده ونيته لشراء منزلين فى العطفة منها يقدر يغطى على الثروة المفاجئة اللى هتكون معاه؛ وبرضه هيبقى جنبها..

وجهت له ماريا نظرات ملأها التحدى والغضب وبنبرات حادة قالت له: أيه اللى أنت عملته ده؟ وإزاى تتصرف كدة من غير ما تقولى؟ وإزاى تطلع السر ده برة ؟

رد بدر بهدوء مستفز: محصلش حاجة يا ماريا أنا مقلتش حاجة لحد غريب ده برضة أبوي، وأنا كنت لازم أعمل كدة.. أمال أقول أيه للناس لما يلاقوا الفلوس بتجرى فى أيدي؟ وعمومًا متقلقيش واطمنى هو مرضاش يبيع الأرض وكمان مش هيدينى ولا مليم..

قالت له ماريا بنبرة تهديد ووعيد: من هنا ورايح أنت متقولش لحد أى حاجة، ومتعملش أى تصرف مرة تانية إلا لما أحكى لماما على اللى أنت عملته..

- بقولك يا ماريا أنت فاكرة لما حكيت لك ساعة ما الكنز اتفتح..

- مش فاهمة..

- قال بتوتر: بصراحة أنا رُحت على الكهف قُلت لما أجرب أفتح الكنز وأجيب أى حاجة منه، وقربت الخاتم من النار وباب الكنز فضل مقفول ومتفتحش..

- ببرود أعصاب قالت: يعنى أيه جربت تفتح الكنز؟

وأنت أيه اللى وداك هناك؟

وإزاى تروح هناك من غير ما تقولى؟

أنت تصرفاتك مبقتش مفهومة بالنسبة لى.. تصرفاتك دية ممكن تخسرك كل حاجة..

- صدقينى أنا مقصدتش أى شيء.. كل الحكاية أن فكرة جت فى دماغى وعملتها..

- طب يكون فى علمك إن الكنز عمره ما هينفتح حتى لو حطيت الخاتم فى النار لأن حضرتك متعرفش أن ماما بتكمل طقوس فتح الكنز من عندها هنا.. يعنى أكيد هىّ مش عبيطة عشان تعرف حد مكان كنز وهىّ نفسها مش هتعرف تحافظ على حقها فيه، وعمومًا أنت لازم تكون أصدق من كدة مع نفسك ومعانا وتكون نواياك كويسة بلؤم ولين ربت بدر على كتف ماريا وقال لها: أنت زعلت كدة ليه؟ أنا عمرى ما هاعمل حاجة تزعلك ولا تزعل مامتك ده أنتوا عيلتى ومش هاقدر أعيش من غيركم، وإذا كان على الكنز أنا مش هروح عنده تانى إلا لما أنت تقولى لى..

- سألته مستنكرة: هو أنت جيت من البلد زى ما قلت النهاردة فين بقى شنطة هدومك؟ أنا شايفة معاك شنطة فاضية..

- بانزعاج وتوتر قال: أنا ما ارضتيش أجيبهم على هنا لحد ما أشوف الدنيا هنا فيها أيه فقمت رايح على اللوكاندة بس لو الدنيا هنا تمام هروح أجيبهم وأجى على طول..

- طيب على ما تروح وتيجى أنا هحكى لماما على كل اللى حصل، وأشوف رأيها أيه؟ ولما تيجى خبط علىّ..

نزلت ماريا ثم تبعها بدر بحذر وتوجس عائدًا إلى الفندق لجلب ملابسه وباقى أشيائه من اللوكاندة، ثم عاد متلكأً من اللوكاندة حاملًا شنطة سفره سائرًا بغير هدى مفكرًا فى كيفية التخلص من ماريا وأمها بعد حصوله على الكنز وفى أثناء سيره لمح فتاة تنظف الأرض أمام أحد المحلات بأحد المحلات

فحدثته نفسه: أيه البت العسل دية؟ لما أروح أسألها على أى حاجة يمكن الصنارة تغمز، واتجه إلى المحل واقفًا أمامه فتركت الفتاة ما تفعله ودخلت إلى المحل وقالت له أُأمر يا أستاذ..

- معلش هو الشارع ده اسمه أيه؟

- نظرت له خائفة قلقة، وقد أحست تجاهه بشيء من الريبة، وقالت بتوتر وهى تحاول جاهدة إخفاء توترها وإشعاره بقوتها: هو اللى عايز يسأل على شارع بيقف قدام أى محل وخلاص؟

عمومًا أنت عايز تسأل على شارع أيه؟

- نظر داخل المحل وقال: هو أنتوا بتبيعوا أيه؟

- قالت بحدة: أنت عايز أيه؟ هىّ غلاسة والسلام أنا هانده بابا يشوف البلاوى اللى بتتحدف علينا دية..

- يا ستى ولا بابا ولا حاجة أنا كنت عايز شمع.. عندكوا شمع؟

جلبت كيس الشمع وناولته إياه بغضب.. اتفضل..

وفى هذه الأثناء دخلت سيدة إلى المحل فتنفست الفتاة الصعداء وقالت لها: روحى يا ماما بيعى للزبون ده عشان ده غلس وشكله كدة جى يهزر فتوجهت أمها إلى الزبون وقالت بتوبيخ: أنت جاى تشترى ولا قصدك أيه؟ وارتفع صوتها قائلة: لو أنت جى تهرج أنا هلم الناس عليك وأعرفك مقامك..

- بجفاء: أيه يا ست؟ أنا جى أشترى شمع هو أنا كلمتك، ولا أنتوا مش عايزين تبيعوا؟

أنتوا هترموا بلاويكو علىّ ولا أيه؟ بكام يا ست الشمع ده خلينا نمشى؟ أيه الناس الغريبة دية؟ ودفع ثمن الشمع ورحل سائرًا حتى وصل إلى العطفة ونظر يمينًا ويسارًا حتى لا يصطدم بزياد ابن عمه؛ وتسلل قاصدًا المنزل وطرق الباب على ماريا ففتحت أمها الحاجة محاسن.. تفاجأ وتلعثم قائلًا: أنا.. أنا.. ابتسمت له ابتسامة هادئة وقالت: اتفضل يا بنى..

- لأ.. أنا كنت باسأل على.. أصلى مشفتش حضرتك بقالى كتير فقلت اسأل عليك..

باقتضاب: فيك الخير.. أنا كويسة..

- طب عن إذنك وذهب من أمامها كأنه متجه إلى شقة زياد، ثم صعد متسللًا إلى الدور العلوى، وأشعل إحدى الشمعات وجلس منتظرًا ماريا، وبعد وقت قصير ظهرت له ماريا حاملة لصينية عليها أطعمة..

- أنت بنت حلال أنا هموت من الجوع..

- كل.. ما أنت بقى لك كتير مكلتش من أكلى..

- أكل بنهم، وتحدث مع ماريا: يا ترى كلمتى أمك عشان نجيب بقية الكنز..

- أنا مش عارفة أنت كل تفكيرك فى الكنز والفلوس..

شعر بدر بتسرعه فبرر ذلك بقوله: هو أنا لما أسأل على الكنز مش ده عشانك برضه.. ما هى فلوس الكنز ده هى اللى هتلم شملنا، وتخلينا نعيش مع بعض مبسوطين ثم اتجه نحوها قائلًا: ده أنت وحشانى موت هو أنا موحشتكيش ولا أيه؟

احتضنها وامتص شفتيها بلا خوف ولا وجل وبث أشواقه هامسًا..

تركت له نفسها بكل برود وسلبية وبلا أى رد فعل كأنها قطعة من الثلج فابتعد عنها وقال: أنت لسه زعلانة منى ولا أيه؟ وعاود محاولته مرة أخرى، وأمسكها من وسطها وأجلسها على رجليه.. ولم تبدِ أى مقاومة أو أى استجابة..

استشعر بدر رفضها له؛ فغير الحديث قائلًا: المفروض أبوي كان هيدينى فلوس عشان نشترى البيوت زى ما قلت لك وده طبعًا مش هيحصل دلوقتي الوضع بقى هيكون إزاي فى الحتة اللى معانا دية؟

قامت ماريا ورفعت ملابسها ففرح بدر وحاول الاقتراب منها فدفعته بيديها بعيدًا؛ وشدت خيطًا معقودًا حول فخذها معلق به قطعة من الدهن بها ثقوب سوداء.. وأخرجت من جيب ملبسها بيضة، ولفت عليها قطعة الدهن فخرج منها دم لونه أسود منتن الرائحة..

- قال لها متعجبًا أنت بتعملى أيه؟ وتهيأ له تحول ملامحها وجسدها إلى شيء بغيض يُشبه الحية، واتجهت نحوه فتراجع خائفًا مرتعبًا.. فقالت له ماريا: أيه مالك؟ دقق النظر فرأها بحالتها الآدمية فظل ناظرًا إليها بصمت..

قالت له: يا بنى مالك؟ اقتنعت نفسه بأنه قد هُيىء لها ما رأته ورد على ماريا: أنا كويس بس كأنى شفت كابوس

ضحكت.. أنت بتحلم وأنت صاحى؟ ده حاجة جميلة خالص.. المهم ماما أدتنى البيضة دية ومعاها الدهن ده عشان عايزاك تعمل لها حاجة هتسهل لك أنك تروح تجيب الكنز كله وكل واحد ياخد نصيبه، وماما عارفة إنى هديك الحاجة دية وهانزل على طول.. بس مطلوب منك تعمل كام حاجة كدة..

- قولى يا مغلبانى..

- أنت هتقلع هدومك دية وتنجسها كلها، وبعد كدة هتلبسها بالمقلوب..

- وأنا هاعمل كدة لوحدى ما أنت نازلة وسيبانى..

- متقلقش أنا عارفة إنك دنى وعشان كدة أنا لي واحدة صحبتى هتيجى دلوقتي وهاتعمل معاها كدة..

تمتم بينه وبين نفسه: هو أنتو كلكوا كدة؟

نظرت له قائلة: لأ يا محترم كلنا مش كدة بس الحاجة اللى مطلوب تعملها مطلوب ليها النجاسة ولبسك يكون بالمقلوب، وعايزين نعملها بسرعة.. وعشان أنا عندى ظروف اتصرفت وجبت صحبتى.. بس اعمل حسابك دية بنت، وأوعى تغوط..

- طب بعد ما أنجس اللبس كله وألبسه بالمقلوب المطلوب منى أيه؟

- شوف يا سى بدر أنا عارفة إنك لسه معاك مفتاح شقة زياد، وأنا هقولك تنزل إمتى، وكل اللى عليك تعمله إنك تعلق البيضة الملفوف عليها حتة الدهن دية فى شقة زياد..

- واشمعنى يعنى فى شقة زياد؟

- يا بنى ماما هى اللى قالتلى أن الأرواح طلبوا منها إنك تعمل كدة عشان أنت اللى فتحت الكنز؛ وبعدين أنا مش هاقولك الأرواح دية ممكن تعمل فيك أيه زى ماما ما حكتلى..

أقل حاجة الأرواح هتعملها إنها هتخليك إنسان ملكش روح، وممكن تكون خيالًا أو سرابًا أو مخلوقًا لا وجود له، فخلينا ننفذ المطلوب مننا عشان ناخد الكنز كله ونعيش بقى، ويا خويا الموضوع بسيط أنت مكبره كدة ليه؟ ده أنت يا دوبك هتعلق البيضة دية فى الشقة، وبعدين هو أنت نسيت إنك عاهدتنى على الإخلاص والوفاء، وبأننا مش هنسيب بعض أبدًا

- أنا عاهدتك أه.. بس إحنا مكناش اتفقنا على كدة..

- ابتسمت ابتسامة هادئة قائلة: العهد ده مش أى كلام لأن نقضه هيكون مش سهل.. هو أنت نسيت إنك خلتنى مش بنت وبقيت مدام بسببك، وماما لو عرفت هتاخد روحك وهتخليك زى الكلب.. رميم.. مجنون كل الناس هتخاف تقرب منك.. مش هتعرف تنام ولا تقوم، و إذا حبيت تاكل هتلاقى الأكل نار و إذا حبيت تشرب هتلاقى المية دم..

دا ماما قادرة وأنت متعرفهاش.. راجع نفسك يا شاطر، واختار إنك تكون معانا أو مطولش حاجة خالص وتخسرنى، وماما تأذيك ثم ضحكت وقبلته وهى تقول: أوعى تفتكر أنك ممكن تهرب منى دا أنا بحبك قوى ومش هاقدر أعيش من غيرك..

وأنا هانزل دلوقتي عشان استنى البنت اللى قلت لك عليها تحت، وعشان متأخرش على ماما..

جلس بدر محدثًا نفسه بجبروت قلب ميت: وأيه يعنى طب ما أعلق البيضة فى شقة الزفت ده اللى اسمه زياد كان يوم أسود يوم ما شفته، وهى هتخلينى غنى وهتجيبلى كل اللى أنا عايزه، وبعدين دا عارفة غنى سرقت ابوي وعارفة عنى كل حاجة دا ممكن تبلغ عنى؛ وكدة كدة مش هاقدر عليها هىّ ولا أمها؛ أنا هنام شوية على ما تيجى البت صحبتها دية، ويبقى يحلها حلال..

هزت ماريا بدر بعنف اصحى اعمل اللى قلت لك عليه..

- استيقظ مفزوعًا وقال بعفوية: أعمل أيه؟

- اخلع كل هدومك عايز أشوفك زى ما أمك ولدتك، وحط الهدوم دية على الأرض، ثم قالت: ادخلى..

دخلت فتاة حسناء بديعة الحسن.. فقالت له ماريا: أنت هتنام معاها وتنجسس كل الهدوم بتاعتك ومتنساش إنها بنت وخلى بالك منها ومتسخنش قوى.. أنت دلوقتي بتعمل شغلانة وخليك عاقل كدة، وهقولك تعمل أيه بعد كدة ثم تركتهم ورحلت..

اقتربت منه الفتاة.. تحسسها.. أنها فتاة أجمل من ماريا..

ألقت بنفسها له فقام هو بالجهد الكامل ليُلهب إحساسها الجنسى.. شق بوابة الدهليز بقوته الذكورية..

تألمت الأنثى بضعفٍ طاغٍ أوهج شهوته.

وجدها فتاة بكر لم تُمس فتعمق أكثر فى النهل من نهر الرغبة، وساعدته هى فى الوصول أكثر من مرة إلى اللذة وفى كل مرة يقوم بوضع قطعة أخرى من ملابسه تحتهما حتى فاحت رائحة النجاسة بالمكان وهدأت ثورته الجنسية تمامًا..

توارت الفتاة عندما عادت ماريا مرة أخرى حاملة بيديها صينية طعام، وقالت لها: نجاملك فى الأفراح.. متشكرين أنت امشى دلوقت وأنا هاتصل بيك..

انتهى بدر من تناول الطعام وقالت له ماريا له: شفت أنا جدعة معاك إزاي وعارفة أنت بتحب أيه وبعملهولك.. أهو طول ما أنت بتسمع كلامى هتبقى حياتك كلها كدة انبساط فى انبساط..

قوم بقى البس هدومك زى ما قلت لك وانزل على شقة زياد وعلق البيضة فى الشقة؛ وعايزاك تفضل نجس متستحماش وبقية اليوم اعمل اللى أنت عايزه لحد ما ناخد بقية الكنز..

لبس بدر ملابسه الملوثة النجسة بالمقلوب ثم نزل متسللًا لشقة زياد، وعلق البيضة المغطاة بقطعة الدهن بالشقة ثم خرج مسرعًا صاعدًا إلى الدور العلوى محاولًا النوم والهروب من الأفكار التى تعصف به، وتذكر ردة فعل أبيه ورفضه معاونته ليسيطر عليه شعور بالانتقامِ من أبيه فأرشده شيطانه إلى طريق الانتقام ليتجه فى صبيحة اليوم التالى إلى أحد المستشفيات، وسار بها متفرسًا فى وجوه العاملين والممرضين إلى أن اختار أحد هؤلاء الممرضين الذى توسم فيه الشر واستوقفه؛ وأخرج سيجارة ناولها له قائلًا: حضرتك شغال هنا؟

رد عليه الممرض: لأ شغال هناك.. أُأْمر؟

- أنا عايزك فى مصلحة واللى أنت عايزه هتاخده..

- لمعت عين الممرض وقال: أنا تحت أمرك..

- ابتسم زياد لأن اختياره كان صحيحًا.. فأهل الشر يعرفون بعضهم البعض جيدًا وقال له: أنا كنت عايز كام عينة دم..

- تأفف الممرض قائلًا: كل ده عشان عايز أكياس دم ما تنزل يا عم على بنك الدم تحت، واشترى اللى أنت عايزه وهم بالانصراف..

- استوقفه بدر قائلًا: اصُبر بس أنت مفهمتنيش كويس.. أنا عايز كام إبرة كل إبرة فيها شوية دم..

- اندهش الممرض ونظر له مستنكرًا وقال: أنا مش فاهم حاجة أنت عايز أيه بالضبط؟ وضح كلامك..

- قال له بدر: أنا هافهمك..

أنا عايز كل إبرة من دول فيها دم من بتاع المرضى.. يعنى دية إبرة فيها دم مريض بفيروس سى؛ وده فيها دم مريض بالإيدز وكدة يعنى..

نظر له الممرض بشك وقال: يا نهار أسود، وأنت هتعمل أيه بالدم ده؟

- بصراحة أنا أختى تعبانة قوى وودناها لدكاترة كتير ومتعالجتش، وفى شيخ قالنا على موضوع الدم ده وقال إنه عايزه عشان هيعرف يعالج بيه أختى..

- ضحك الممرض متهكمًا: أختك.. أه.. يعنى نقول أنت هاتعمل عمل أو.. قاطعه بدر: أنت مصلحتك محفوظة.

- طب سيبنى شوية وأنا هدبرلك اللى أنت عايزه، وادينى رقمك وأنا هرن عليك لما أحضر المطلوب بس سيب لى عربون، و إذا كنت كمان عايز بواقى من عمليات المرضى من اللى بنحرقها بعد العمليات مفيش مشكلة بس خلى بالك الدم اللى هتاخده هتحط حواليه تلج وهتحطه فى الفريزر وأنا هاديك مادة تُحطها على الدم عشان ميتجلطش أعطاه بدر رقم تليفونه وأكد عليه بضرورة الاتصال به بأسرع وقت ممكن، ومفيش مانع لو جاب حاجة من بواقى أى عملية ثم سلمه مبلغًا من المال كعربون وقام بالانصراف..

وبعد مرور بعض الأيام اتصل الممرض ببدر وأخبره بتوفيره ما تم الاتفاق عليه بينهما، وطلب منه باقى المبلغ المتفق عليه وذهب بدر إليه وأخذ منه الدم ثم سلمه باقى المبلغ المتفق عليه بينهما ثم اتجه إلى اللوكاندة بعد شراء أكثر من جوانتى طبى بلاستيك، وثلجًا وأحضر أنا ءً فارغًا وأفرغ به الدماء الموجودة بالسرنجات ثم أضاف المادة المانعة للتجلط؛ ووجد قطع لحمية صغيرة جدًا نتاج عمليات المرضى فقام بخلط كل ذلك ببعضه البعض، ثم أحضر زجاجة صغيرة وضع فيها هذا الدم المخلوط ثم وضع حول الزجاجة ثلجًا ولفها بقطعة قماش، وفى صبيحة اليوم التالى قام بالتوجه

لمحطة القطار والسفر إلى البلد.. واتجه مباشرة إلى منزل والده ثم طرق الباب وفتحت له زوجة أبيه وكانت مستعدة للخروج هى وابنتها لزيارة أختها فقالت لبدر: خير؟ أبوك مش هنا ومعرفش هو فين، روح اسأل عليه فى القهوة اللى بيقعد عليها ومعلش مش هاقدر أقعد معاك عشان أنا خارجة رايحة مشوار..

- ابتسم لها وسلم على البنت الصغيرة وقال: أنا آسف أنا كنت جى أسلم عليه وماشى على طول، أنا هروح أشوفه يمكن قاعد على القهوة، وسار ذاهبًا إلى القهوة، وقابل والده بالطريق وبمجرد رؤية والده له أشاح بوجهه فتأسف له بدر عما بدر منه قائلًا له: أنا آسف يا ابا أنا راجِعت نفسى ولقيتنى غلطان سامحنى، وأنا جيت عشان أبشرك أنى بعت الحتة اللى معاي وبقى معاي فلوس كتير، وهديلك كل اللى أنت عايزه بس أنا مجبتش فلوس معاي المرة دى عشان قلت يمكن متكنش موجود فى البلد..

تهلل وجه أبيه وقال له: يا بنى متأخدنيش على الكلام اللى قلتهولك المرة اللى فاتت، أنا كنت متنرفز؛ وأنا كنت رايح دلوقتي لأمك اسأل عليك وأراضيها وأتأسف لها على كل اللى حصل منى، وأشوف طلباتها ثم أضاف قائلًا: الكلام مش هينفع هنا يلا بينا على البيت نتغدى سوى ونتكلم براحتنـا..

فى المنزل بحث أبوه عن زوجته فأخبره بدر بأنه عندما جاء للسؤال عنه كانت رايحة مشوار.. فقال له أبوه: أيوة أيوة.. دية كانت قايلة لى إنها رايحة لأختها.. كدة أحسن عشان تحكى لى بالراحة كدة أنت عملت أيه ومعاك فلوس كام، وعقبال ما تيجى الجماعة تحضر لنا الغدا أنا هقوم اعمل لنا شأى فاستوقفه بدر قائلًا: خليك يا ابا أنت شاور لى بس على المطبخ وأنا هاعمل الشاى.. أنت بقى لك كتير قوى مشربتش شاى من أيدى فأُرشده أبوه إلى المطبخ، وتركه ليُعد الشاى فأخذ بدر كوبًا زجاجيًا وألقاه بقوة على مدخل المطبخ فانكسر وتناثر زجاجه على مدخل أرضية المطبخ فهرول إليه أبوه مسرعًا فأصابته إحدى قطع الزجاج بقدمه فصرخ..

جرى عليه بدر حزينًا وقال: معلش يا أبوي، أنا الكوباية وقعت منى غصب عنى، أنت اتعورت ولا أيه؟

قولى فين القطن والصبغة يود عشان أطهر لك الجرح، واستند أبوه عليه متأففًا متوجعًا وأشار له على أحد الأدراج فى الصالة.. هنا فيه قطن وصبغة يود، وأجلسه على إحدى الكنبات قائلًا: مدد أنت هنا على ما أجيب شوية مية انظفلك بيهم الجرح، وانطلق إلى المطبخ لإحضار ماء لتطهير جرح أبيه، وفى المطبخ أخرج من جيبه الزجاجة التى كان قد خلط بها دماء المرضى المصابين بالأمراض المختلفة، وفتحها ممسكًا بها بخفاء خلف قطعة قماش بيد، وفى اليد الأخرى طبقًا ملىء بالماء،

وعاد إلى مكان جلوس والده فوجده مستلقيًا على الكنبة يئن متألمًا فمسح الجرح ببعض الماء ثم فتح زجاجة الصبغة يود أمام والده ووضع بعضًا من محتوياتها على القطنة التى يُمسكها ووضع زجاجة الصبغة يود والقطنة على منضدة صغيرة بجوار الكنبة وأمسك بقطنة ثانية وسكب عليها الدماء من الزجاجة التى يحملها، ومسح بها جرح أبيه..

قال له أبوه: هى صبغة اليود دية مش حرقانى ليه؟ فرد عليه بدر: عشان الجرح سطحى..

وأتى بقطنة أخرى وسكب عليها باقى محتويات الزجاجة ووضعها على الجرح الذى بقدم أبيه وربط عليها قطعة من القماش قائلًا: أنا ربطتهالك عشان متوجعكش..

ونظر إلى أبيه وقال: أنت شكلك تعبان أنا هسيبك تنام شوية وهروح أزور أمى، ومعلش أنا مش هقدر أرجع هنا تانى النهاردة عشان مسافر على مصر، ولما أجى المرة الجاية هاتصل بيك قبلها عشان أجيبلك الفلوس.. يلا عايز حاجة.

- لأ يا بنى اتفضل.. مع السلامة..

***

مرت الأيام وسافر بدر مرة أخرى إلى البلد ليرى أثر ما فعله بوالده وهل أتى بنتيجة أم لا؟ وتوجه لمنزل أمه ورحبت به حزينــة فقال لها: مالك يا اما أنت عايزة فلوس؟

لأ يا بنى أبوك تعبان شوية..

شعر بخروج قلبه من بين ضلوعه وقال: ماله؟

- أنت سافرت من هنا المرة اللى فاتت وحصل اللى حصل.. أبوك تعب قوى وودوه المستشفى فى مصر، ولما رجع حجزوه فى المستشفى هنا فى البلد بس فى أوضة لوحده، وأنا لما عرفت رُحت عشان أزوره.. ده برضه جوزى لقيتهم بيقوللى أن عنده مرض وحش، ومينفعش أقابله..

- أيه يا اما سرطان والعياذ بالله.. اللهم احفظنا..

- لأ يا بنى عنده حاجة اسمها أز ومش عارفين جاله منين ده؟

- قصدك إيدز يا اما، وصح ده جاله منين؟ تلاقيه عمل حاجة كدة ولا كدة مع واحدة من إياهم ونقلت له المرض يا بنى حرام عليك متقولش عليه كدة.. ده برضه أبوك، ولازم تروح عشان تزوره..

خرج بدر قاصدًا زيارة أبيه، وعند سيره قابل أحد أصدقاء والده فسلم عليه، وقال له صديق والده: شد حيلك يا بنى أنا لسه كنت بازور أبوك ومعرفتش أشوفه، والدكتور قاللى إنه تعبان قوى وعشان سنه كبير المرض اتمكن منه وربنا يسترها.. يمكن يتبسط لما يشوفك ويقوم لنا بالسلامة، فاستأذنه بدر فى الرحيل متوجهًا إلى المستشفى ودخل إلى المستشفى سائلًا عن غرفة والده ثم صعد إلى الغرفة ليجد زوجة أبيه تصرخ وتلطم سايبنى لمين؟

هاعمل أيه من غيرك؟ ومن حولها كثير من الناس يحاول ون تهدئتها.. فأدرك أن أباه قد رحل عن الدنيا وساوره إحساس بالراحة وبالحزن فى نفس الوقت فقد جاءت الأموال إليه وما سيورثه عن أبيه ليس بالقليل، وسار إلى زوجة أبيه حزينًا باكيًا مواسيًا لها، وذهب لإدارة المستشفى لإنهاء الإجراءات اللازمة لدفن أبيــه وأتممها، وقام بدفن والده وأخذ العزاء فيه، وبعد انتهاء العزاء ذهب إلى زوجة أبيه معزيًّا لها..

- البقاء لله متزعليش نفسك الموت علينا حق..

ردت عليه باكية: أنا اللى مجننى إنه كان كويس وفجأة تعب.. أنت فاكر اليوم اللى أنت جيت فيه وقلت لك روح له على القهوة بعدها على طول تعب..

- حاول بدر إخفاء توتره وقال: إحنا عايزين نعمل إعلام وراثة.. أنا هكلم المحامى يمشى فى الإجراءات..

ردت عليه حانقة: إعلام وراثة أيه؟ ده أنت لسه دافن أبوك ودمه مبردش، أيه يا اخى خلاص هو الورث هيطير دت أنا مشفتش كدة..

- انقلب وجهه قائلًا: أيه هو ده؟ هو أنا أجرمت؟ ده حقى أنا وأمى.. أنا بيك من غيرك هروح للمحامى ونمشى فى الإجراءات، وخلى بالك أنا عارف كل أملاك أبوي..
- يعنى أنا هاسرقكم ده أنت واد قليل الأدب، وأبوك كان عنده حق لما طردك من هنا..

نظر لها بدر من أسفل إلى أعلى وتركها ورحل بدون أن يتفوه بأية كلمة ثم عاد إلى منزل والدته وواسها وبعد انصراف المعزيين تسامر معها قائلًا: شفت بقى أنا صح إزاي..

- صح فى أيه يعنى؟
- فاكرة الورق اللى أنا خبيته عندك.. أدينى هاعمل إعلام الوراثة ومش هاحط فيه حُجج الأرض اللى أنا شايلها عندك وإيصالات الأمانة هابقى ألم فلوسها، وبكدة يبقى ضربنا عصفورين بحجر واحد..
استعاذت أمه منه بالله: حد الله.. أنا يا ريتنى ما سمعت كلامك من الأول، أهو الراجل مات فطيس ومخدش حاجة معاه وأنا مش هاخد قرش حرام، ومش هاخليك تعمل كدة، و إذا عملت كدة لا أنت ابنى ولا أنا أعرفك..
- اهدى بس يا اما أنا هاحط الورق فى إعلام الوراثة بس ورينى الورق أشوفه..

احضرت له والدته الأوراق فقرأها، وتأفف قائلًا: أيه الحظ ده؟

- مالك يا فالح؟
- عارفة دية حُجة أرض عمى أبو زياد، ودية وصلات أمانة برضه على عمى، وده تنازل من عمى عن الأرض والباقى عقود إيجار لفلاحين تانيين..
- اعمل حسابك أنا هاخد الورق ده وهاتصرف مع مرات أبوك..
- تهلل وجهه وقال: أيوة كدة ياحاجة.. هو ده الكلام..
- متتبسطشى قوى كدة أنا مش هاعمل اللى فى دماغك أنا هرجع الحق لأصحابه..
- وضع يده على الورق بقوة كأنه يحافظ عليه وقال محتدًا: لأ يا اما مش للدرجة دية.. يعنى أيه تبقى الأرض معأنا ونرجعها تانى؟ ده مش اسمه كلام ده..
- يا بنى اللى أبوك سابه مش شوية، ولازم نرجع الأرض دية، ولو حد ليه حاجة نديهاله عشان أبوك يرتاح فى تُربته فنظر لها شذرًا ثم خرج متعصبًا ضاربًا كفًا على كف، وعاد بعد قليل من الخارج، وقد هدأت نفسه قليلًا فقالت له أمه: يا بنى الحرام مبيدومش، وأنا مش عايزاك تعمل حاجة حرام.. أبوك عمل حاجات كتير وحشة فى الناس، وفى الآخر تعب ومات ومخدش حاجة معاه.. يا بنى أنا عايزة أقابل ربنا وأنا ضميرى مستريح أنا مخدتش الدنيا ومش عايزة كمان أخسر الآخرة..

ارضينى يا بنى واسمع كلامى إذا كنت بتحبنى ولازم يا بنى نتصل بولاد عمك عشان نروحلهم ونديهم الورق، وأنا من بكرة الصبح هروح على مرات أبوك واتفاهم معاها، وهى مش هترضى أن أبوك يتعذب عشان الحرام اللى عمله..

- أنا معاي رقم زياد بن عمى، وأمسك موبايلها وسجل عليه الرقم وقال: كلميه أنت بقى عشان أنا مش هاقدر أروحلهم معاك ثم انصرف وسافر إلى مصر يمشى الهوينى بلا هدف، وفى داخله شعور بالراحة من أنه قد اقتصّ من والده وجلس على إحدى المقاهى القريبة من منزل زياد.. فهو تعب يريد أن يرتاح لكى يفكر جيدًا كما أن عليه أيضًا أن يذهب للمنزل متأخرًا حتى لا يشعر به زياد..

وفى هذه الأثناء مر زياد من أمام القهوة التى يجلس عليها بدر ورأه ففكر فى التكلم معه ولكنه قرر الذهاب إلى دكان العطارة وأخبر الحاج رضوان عن رؤيته لبدر وطلب منه أن يأتى ليراه وأرادت زوجة العطار أن تأتى معهما لرؤية بدر..

أشار لهما زياد عليه قائلًا: شايفين الشاب اللى قاعد هناك ده، أهو هو ده بدر ابن عمى سعيد بس هو أيه اللى مقعده هنا؟ ده ساب السكن معاي والشقة من بدرى..

مالت أم إيمان على الحاج رضوان وقالت له على فكرة يا حاج الواد ده وأنت مسافر جالنا المحل يشترى شمع، وكان بيستظرف معأنا.. فنظر لها الحاج معنفًا إياها: وأنت مقولتيليش ليه؟

- يا حاج أنا قلت ده زبون زى أى زبون ما أنت عارف المحل وبتقعد فيه، وياما بيتحدف عليك ناس أشكال وألوان كويسين ووحشين..

- طب خلاص متشغليش بالك دلوقتي أنا هابقى أتصرف معاه بعدين ثم عادا إلى منزلهما وأثناء تناوله للعشاء تحدثت زوجته وابنته إيمان معه فقالت الزوجة: والله يا حاج دول ناس ولاد حلال وغلابة زينـا..

رد الحاج رضوان مبتسمـًا: أبو إسراء صديق الطفولة بالنسبة لى، وكان لما بيجى مصر بنقعد مع بعض بس المشكلة أن كل واحد مننا فى بلد والدنيا مشاغل.. وعشان كدة بس مسمحتش الظروف أن الأسرتين يقعدوا مع بعض؛ وعلى العموم يا ستى أنا رايح أسوان كام يوم وأنت هتقفى فى المحل لحد ما أرجع.. أبقى خدى إيمان معاك، وأديها فرصة أن إسراء وأمها يبقوا يقعدوا معاكم طول النهار بس أهم حاجة تضيفوهم كويس.. دول برضه ضيوف وأغراب عن البلد، وابتسم لائمًا لابنته إيمان: هو اللى بياكل مبيشربش شاى ولا أيه؟

قومى يلا اعملى لى شاى من أيديكى الحلوة على ما ماما تحضر لى الشنطة فقامت إيمان لتُعد لأبيها الشاى، ودخل الحاج مع زوجته لتجهيز شنطة سفره، وفى أثناء توجه إيمان لغرفة أبيها لمنادته لشرب الشاى بعد إعدادها له شد انتباهها ذكر أبيها لاسمها أثناء محاورته مع أمها؛ فتغلب عليها الفضول بالرغم من أن التنصت ليس من طبعها فأرهفت السمع وسمعت حديث أبيها لأمها..

- خلى إيمان متقعدش فى البيت لوحدها ومتسبيهاش خالص حتى لما تفتحى المحل خديها معاكى، وخليها هى وإسراء يقعدوا مع بعض زى ما هما عايزين، وأنت اقعدى مع أم زياد ومتحسسهاش بزهقك منها..

- بس يا حاج هما أكيد لو جُم يقعدوا معأنا ممكن يزهقوا، وممكن يكون وراهم حاجة..

- العطار ضاغطًا على الحروف عند نطقها: يا حاجة هما عندهم ظروف زياد حكاها لي؛ وهيضطروا يقعدوا معاكم طول النهار ويروحوا على النوم..

قامت الحاجة بوضع يدها على كتف الحاج قائلة له: قلبى بيقولى إنك مخبى عليّ حاجة.. قولى ده أنت مجربنى أنا برضه سترك وغطاك..

- قال العطار لها بتردد وهو مطرق الرأس حزينـًا مهمومًا: والله يا حاجة أنا كنت عايز أقولك بس مكنتش عارف أقولك إزاي المشكلة أن زياد مورط نفسه فى موضوع كدة وجالى عشان أساعده فيه..

قاطعته الحاجة بهلع: يا لهوى، وأنا اللى كنت عايزاه ياخد البت يطلع بالأخلاق دية؟

رد عليها الحاج متأففًا: أيه اللى بتقوليه ده؟ أنت دماغك راحت فين؟

- أمال أيه الموضوع يا حاج؟

- فاكرة موضوع أخو الحاج أحمد!!

- سعيد.. الله يلعنه.. أنت أيه اللى فكرك بيه يا حاج؟

- أيوه.. سعيد ده ليه ابن اسمه بدر والصدفة جمعته وخلته يبقى صاحب زياد بنفس الكلية، وفيه موضوع كدة زى اللى عمله زمان سعيد مع أخوه أحمد.. بدر عايز يعمله مع زياد..

- يا نهار أسود.. هو عايز يربطه هو كمان؟

ضحك الحاج قائلًا: يربطه أيه ونيلة أيه يا ولية.. الموضوع مش كدة.. وهم بالخروج من الغرفة قائلًا: أنا هتأخر على السفر، ولما أجى من السفر هاحكى لك بس أنت خلى بالك من بنتك وضيوفك..

عادت إيمان فى تلك اللحظة مسرعة إلى المطبخ كأنها تعد الشاى وجلبته، وشرب أبوها الشاى ورحل ليلحق بالقطار لكى يسافر لإحضار بضاعة المحل..

بعد انصراف الحاج رضوان ذهبت زوجته لزيارة أم زياد لدعوتها لتمضية اليوم معها ودخلت منزل أم زياد وطرقت الباب فقام زياد بفتحه وقال: أهلًا وسهلًا اتفضلى؛ ونادى على أمه، ورحبت أمه وإسراء بالضيفة بحفاوة، فقالت أم إيمان: معلش يا جماعة أنا جيتلكوا فجأة..

- متقوليش كدة ده بيتك ومطرحك تشربى أيه؟

- لأ مش هاقدر وكمان عشان أنا سايبة إيمان لوحدها فى المحل أصل الحاج سافر أسوان يجيب بضاعة للمحل، وأنا وإيمان فتحنا المحل من بدرى وقلت أجى أقولك تيجى أنت وإسراء تفطروا وتقضوا اليوم معأنا..

- بس يا أختى عشان المحل والشغل...

- هو أنت شايفة البيع مقطع بعضه يعنى، وكدة كدة حركة البيع قليلة والسوق نايم..

- خلاص الفطار هتعمله إسراء بأيديها وهنيجى نفطر سوا..

- طب استأذن أنا.. سلام عليكم..

أتى زياد من الغرفة الأخرى قائلًا: هو فيه حاجة يا اما ولا أيه؟؟

ردت إسراء: أهى جت من عند ربنا هنروح نقضِى اليوم عند إيمان عشان أبوها مسافر، وابقى هات يا خويا صحبك براحتك عشان يذاكر معاك يكشى تفلحوا بس..

الأم: كلمى أخوكى كويس، وبالعند فيكى إحنا مش هنطول هنا وأنا هاتصل بسيد أخوكى يجى يخُدنا..

رمت إسراء الوسادة بضيق؛ وتركت الغرفة وذهبت إلى الغرفة الأخرى، وخرج زياد ذاهبًا إلى الكلية واستعدت إسراء وأمها للتوجه إلى محل الحاج رضوان العطار لتلبية دعوة الإفطار مع إيمان وأمها، واستعجلتها أمها: يلا يا إسراء أنت هتلبسى فى سنة الناس مستنيانا..

إسراء: خلاص يا ماما هالبس الطرحة وهنمشى..

خرجت إسراء وأمها من الشقة وقاما بشراء بعض الأطعمة والمياه الغازية ثم توجها إلى محل العطار، واستقبلتهما إيمان وأمها بكثير من الترحاب؛ وقامت إيمان وإسراء بإعداد وتجهيز الإفطار..

تضاحكوا وهم يتناولون الإفطار، وبعد تناول الإفطار قامت إيمان بإحضار المياه الغازية ووضعتها على المنضدة وضحكت إسراء قائلة: أدونى فرصة بقى وخلونى أفتح الحاجة الساقعة، وعند فتح أول زجاجة للمياه الغازية انسكبت على ملابسها، فضحكت إيمان وقالت: أهى الفرصة جاتلك وضيعتيها..

تضايقت إسراء ووجهت الكلام لأمها بغضب: أنا هاروح على البيت أغير هدومى وأجيلكوا تانى..

الأم: متمسحيها وتنضيفها هنا وخلاص..

قالت إسراء بعصبية: لأ أنا هاروح أغير وأجى ثم انصرفت من المحل قائلة: مش هتأخر عليكم.. باى..

سارت إسراء إلى المنزل لاستبدال ملابسها، ودخلت إلى الشقة فراودها إحساس بالخوف فهذه هى المرة الأولى التى تتواجد فيها بالشقة بمفردها، واتجهت إلى غرفتها وقامت باستبدال ملابسها ثم قامت بلف الطرحة أمام المرآة وعندما نظرت فى المرآة رأت كأن شيئًا يقف وراء ها ففزعت واستدارات بتلقائية وقد استبد بها رعبًا هائلًا فلم تجد أحدًا..

همت بالخروج من الغرفة فوقفت مبهوتة متحيرة فاتحة الفاه مندهشة مما رأته فقد اختفى باب الغرفة وكانت الغرفة عبارة عن حوائط فى حوائط..

فركت عينيها غير مصدقة فربما يتهيأ لها ما تراه، ولكنها تأكدت أن الغرفة فعلًا بدون أبواب فجلست على طرف السرير صامتة وجلة باكية تنظر حولها لا تدرى كيف تتصرف؟

فى هذه الأثناء عاد زياد من الكلية واستبدل ملابسه، واستلقى على السرير ليستريح فسمع طرقات على باب الشقة فقام متكاسلًا ليفتح ووجد أمه أمامه فقال: أزيك يا اما ثم استدار عائدًا لاستلقائه وجالت أمه بأنحاء الشقة تبحث بقلق عن شيء فبادرها بالقول: بتدورى على أيه؟

- هىّ أختك إسراء هنا؟

- مندهشًا!! أختى إسراء.. أنا جيت من برة ملقتهاش.. أنتوا مش كنتم عند أم إيمان!!

لطمت أمه على وجهها وبكت منهارة.. يالهوى.. أختك فين..

- اهدى بس يا اما وقولى لى أيه اللى حصل؟

قصت له أمه كل ما حدث من وقت خروجهما هى وإسراء حتى عودتها الآن للاطمئنان على ابنتها نظرًا لتأخرها وجلست نادبة: أنا قلقت عليها لما اتأخرت قلبى كلنى.. أنا كنت حاسة أن هيحصل حاجة..

- اهدى بس يا اما أن هروح أشوفها فى المحل عند إيمان يمكن راحتلهم من طريق تانى..

ذهب زياد إلى المحل وسلم على إيمان وأمها وسألهما بهدوء حتى لا يصدر قلقه لهما: هىّ ماما هنا؟ أنا قلت أعدى عليها وأنا جاى من الكلية نروح سوا..

والدة إيمان: هىّ كانت هنا هىّ وإسراء، وإسراء سبقت مامتها على البيت وهىّ حصلتها..

- رد بأدب متشكر.. سلام عليكم..

سار زياد فى الشوارع المحيطة لعله يرى أخته.. بحث فى الوجوه فلم يجدها.. تفرس بملامح الفتيات ولم يرها.. عاد إلى المنزل لعلها قد عادت فرأى أمه جالسة نفس جلستها فأدرك أن إسراء لم تعُد..

كانت أمه تنتحب بشدة وتدعو: يا رب استرها يا رب، يا رب بنتى ترجعلى بالسلامة، يا رب متورنيش فى عيالى حاجة وحشة، يا رب.. يا رب..

فى هذه الأثناء رأى زياد نارًا تخرج من الغرفة الأخرى فهب صارخًا.. حريقة.. حريقة..

هبت أمه فزعة فين يا بنى؟ نظرت يمينًا ويسارًا ثم قالت لزياد معنفة له: أصل أنت معندكش دم.. هو ده وقت هزار؟ وعادت لجلستها الأولى..

وقف زياد ناظرًا إلى الغرفة الأخرى وقال بفزع: ما هى النار أهى أنت مش شايفاها ولا أيه؟ فلم تلتفت إليه أمه فجرى مسرعًا إلى خارج الشقة وملأ دلوًا بالمياه ليقوم بإطفاء هذا الحريق، وكلما سقى الحريق بالماء ليطفئه ازدادت ناره استعارًا، ثم خرج من النار أشباح بدون رؤوس، ورؤوس بدون أجساد، وحشرات مخيفة، وتراءى له كائن أسود مخيف..

فى تلك اللحظة تذكر حلمه السابق ونظر إلى ركن الغرفة لينقذ أخته قبل أن تؤذيها هذه الكائنات، ولكنه لم يرها وانهكه التعب ولكنه هب مهرولًا عندما رأى الكائن الأسود متجهًا لداخل الغرفة الأخرى والتى رأى أخته بها جالسة على طرف السرير باكية خائفة فحاول المرور لها لإنقاذها، ولكنه لم يستطع فجلس يبكى إلى أن شعر بمن يربت على كتفه فالتفت ليرى نفس الفتاة الفاتنة التى كانت بصحبة قاضى الجن ورأى الأشباح والحشرات ينقضوا عليها الواحد تلو الآخر ويتساقطون بالتتابع..

كل ذلك يتم والفتاة الفاتنة لا ترفع بصرها عن الكائن الأسود المتجه نحو إسراء، والذى قام برفع إسراء عاليًا صارخًا بصوت مرعب، وألقى بها عبر حائط الغرفة لتختفى إسراء؛ وفى نفس اللحظة اختفت أيضًا الفتاة الفاتنة لتمر هى الأخرى بسرعة البرق عبر حائط الشقة؛ وتستطيع الإمساك بإسراء قبل سقوطها، وهجمت على الفتاة الفاتنة جحافل كثيرة من الكائنات البشعة وهى تأتى من كل ناحية وصوب، وتعلقوا بإسراء محاول ين أخذها من بين يدى الفتاة الفاتنة والتى قاومتهم، وكلما قاومت ازدادت هذه الكائنات إصرارًا على الحصول على إسراء..

ضعفت الفتاة الفاتنة ووهنت قوتها خصوصًا بعد تلقيها لضربات عنيفة من بعض الكائنات، وفلتت إسراء من بين أيديها رويدًا رويدًا حتى قاربت على السقوط، وفى نفس اللحظة التى استسلمت فيها

قوتها للضعف وسقوط إسراء فعليًا من بين يديها انتشر الدخان الأخضر محيطًا بالمكان، وصنع حاجزًا مائيًا سقطت فيه إسراء..

فى نفس اللحظة ظهر الشيخ الوقور وخلفه كائنات شفافة كثيرة جدًا وقال: ابنتى دُرّة.. لقد ابليت بلاءً حسنًا لإنقاذ هذه الآدمية ولكن اعلمى أنك فى هذا المكان وخارج تلك الشقة ستنهار قوتك مما يُمَكِّن قوى الشر من الفتك بك فلا تُعرضى نفسك لهذا الأمر مرة أخرى؛ وتعرضينا لخوض معارك مع أعدائنا لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه وتعالى.

دُرّة: أنا لم أستطع رؤيتها وهى يتم اختطافها أمام عينى فهرعت لنجدتها، ولك السمع والطاعة يا أبتى..

القاضى: سنحمى الآدميين؛ وسنُنهى هذا الأمر قريبًا جدًا، وسأخبرك ماذا سنفعل لإنهاء هذا الأمر بقصرنا لأننا لن نستطيع المكوث بهذا المكان وقتًا أطول من هذا فحماية الملوك السبعة العلويين لنا هنا مهددة بحضور ملوك سفُليين كثُر يستطيعون افتعال حرب شعواء، واختفى كل الجمع فى لحظة واحدة..

***

لم ير زياد ما حدث لأخته عندما ألقاها هذا الكائن عبر الحائط وجثا على ركبتيه باكيًا قائلًا بصوت مسموع: أعمل أيه؟ أعمل أيه؟ أنا السبب..

استفاق من حالته على نهر أمه له: مالك أنت كمان؟ أنت حصلك أيه؟ هو أنا نقصاك..

نظر حوله فلم ير أو يسمع أى شيء سوى سماعه لصوت طرقات على باب الشقة وفتحت أمه مرحبة بالزائرين إنهما إيمان وأمها..

أم إيمان: إحنا قلقنا لما زياد جه سأل عليكم والحاج اتصل ومش هيسافر لأن فيه ناس هيجيبوله البضاعة هنا ولما سأل عليكم أنا قلتله على اللى حصل وهو هيجى على هنا..

ارتمت أم زياد على صدر أم إيمان باكية واهنة: إسراء مش لاقياها يا أختى.. إسراء ضاعت.. إسراء ضاعت ثم فقدت الإحساس بالحركة وسقطت فاقدةً للوعى.. وحملها زياد بمساعدة إيمان وأمها وقاموا بوضعها على السرير وهم يحاولون إفاقتها إلى أن استفاقت باكية، وبكت أيضًا إيمان وانتحبت أمها، وانهار زياد قائلًا: أرجوكم أنا مش ناقص.. خلونا نفكر بهدوء ونشوف هنعمل أيه؟

ردت عليه إيمان والعبرات تتهادى على وجنتيها: مفيش حل إلا أنك تبلغ الشرطة وهما يدوروا عليها..

زياد: فعلًا مفيش إلا الحل ده أنا هروح على القسم، وعند قيامه سمع صرخات أمه وإيمان ووالدتها فالتفت لهم مذعورًا فوجدهم قد تراجعوا إلى الوراء حتى التصقوا بالحائط وهم ينظرون إلى ما خلف زياد فالتفت خلفه خائفًا فرأى النار قد عادت مرة أخرى ويخرج منها حيات عظيمة تصُدر فحيحًا عظيمًا مرعبًا وتقترب منهم فتراجع ووقف حائلًا بين الحيات وبين أمه وضيوفها، وقد تذكر السلسلة المعلقة برقبته التى أعطاها له قاضى الجن فخلعها وأمسكها بيده أمامه لتكون حائلًا بين الحيات وبينهم ولاحظ تراجع جميع الحيات إلى الوراء وكلما تقدم تراجعت هى للخلف ولكنها لم ترحل فتوجه نحوها محاولًا دفعها نحو باب الشقة الذى فُتح من الخارج فى نفس اللحظة وتراجع زياد فظهر له وجه مألوف.. إنه الحاج رضوان الذى اندفعت نحوه الحيات بسرعة رهيبة كأنها ستبتلعه، ولكنها مرت من خلاله واختفت كأنها تتساقط داخل بئر عميق، ودخل إلى الشقة يتفحصها كأنه يراها لأول مرة ثم اتجه إلى المنور، وتلقف شيئًا معلقًا على الحائط، واتجه نحو زياد ماسكًا إياه من ياقته قائلًا له بخشونة وحدة: أنا مش قُلتلك محدش يخش هنا..

تدخلت زوجة الحاج رضوان ورفعت يد زوجها عن زياد وقالت أيه اللى بيحصل هنا.. حد يفهمنا؟

الحاج رضوان: شوفوا يا جماعة الأول أنتوا كلكم هتيجوا تقعدوا معانا، وبعدين هتفهموا كل حاجة..

قاطعته والدة زياد: أنا مش هتنقل من هنا إلا لما ترجعوا لى بنتى وانتحبت: يا حبيبتى يا إسراء.. يا ترى أنت فين دلوقتي وعاملة أيه؟؟ يا رب استرها.. يارب استرها..

الحاج رضوان: بنتك هترجع يا حاجة متخفيش عليها بس دلوقتي إحنا لازم نمشى من هنا وبعدين هحكيلكم كل حاجة.. ثم هم الجمع بالرحيل وغادروا الشقة إلى منزل الحاج رضوان العطار..

***

لم تشعر إسراء بكل ما حدث فهى ما زالت جالسة على السرير باكية إلى أن رفعت وجهها من بين أيديها لمسح سيل الدموع المنهمر فوجدت نفسها مبتلة تمامًا ولا تدرى كيف ابتلت هكذا؟ ورأت باب الغرفة أمامها فجرت مسرعة لتبحث فى الغرفة الأخرى عن أمها وأخيها فلم تجدهما فخرجت سريعًا من الشقة متوجهة إلى محل الحاج رضوان لعلها تجد أمها فوجدت المحل مغلقًا..

خافت وسارت منهارة إلى منزل إيمان لتسأل عن أمها.. طرقت على باب شقة الحاج رضوان طرقات قوية..

توجه الحاج لفتح الباب وعندما رأى الطارقة ابتسم قائلًا: اتفضلى يا بنتى.. فسقطت فاقدة للوعى، وتلقاها الحاج رضوان على يديه وحملها داخلًا إلى أمها التى اندفعت إليها بسرعة هى وكافة الموجودين..

وتحركت إيمان مسرعة لتأتى بكوب ماء بالسكر وزجاجة من العطر النفاذ، وعندما استفاقت إسراء لطمتها أمها على وجهها قائلة: أنت كنت فين؟ أنا هسيب أخوك سيد يتصرف معاك.. زياد أخوك اتصل بيه وزمانه جى..

هدأتها والدة إيمان قائلة: يا حاجة اصبرى لما نسمعها ونشوف الحكاية أيه؟

بكت إسراء واحتضنتها إيمان بشفقة، وتكلم الحاج رضوان موجهًا حديثه لإسراء: أيه يا بنتى اللى حصل..

احكى لنا؟

قامت إسراء بقص كل ما حدث معها منذ لحظة انصرافها من المحل لاستبدال ملابسها، والجميع ينصت لها باهتمام إلى أن هبت أمها واقفة لتتحسسها قائلة: قوليلى يا بنتى أنت فيكى حاجة؟ حد عملك حاجة؟

ثم أضافت مستنكرة: يعنى أيه ياحاج إنها لقيت الأوضة مفهاش باب ومكان الباب بقى حيطة؟ هو فيه أيه فى الشقة دية يا حاج؟ قولى بصراحة ثم بكت قائلة أنا من ساعة ما شفت محاسن عند الحمام وقلبى انقبض وقلت ربنا يسترها ثم نظرت إلى زياد وأضافت: أنت تجيب كل حاجاتك من البيت ده وملكش قعدة فيه تانى.. ربنا سترها المرة دية ومش عارفين ممكن يحصل أيه بعد كدة..

طمأنها الحاج رضوان وهدأها: متقلقيش يا حاجة أنا عارف مين اللى عمل كدة، وهياخد جزاءه..

فى هذا الوقت رن هاتف زياد ورد على المتصل ثم قال للحاج رضوان معلش يا حاج هو العنوان هنا أيه بالضبط عشان سيد جه من البلد وعايز يجى يطمن على أمه فأخبره الحاج رضوان بالعنوان..

ومرت لحظات طويلة من الصمت فزياد يُدرك جيدًا أنه هو من تسبب فى كل تلك الأحداث، والحاج رضوان يفكر فى طريقة الخلاص من تلك الورطة، والنساء سارحة فى لا شيء..

قطع الصمت صوت الحاج رضوان مستأذنًا فى الانصراف إلى المحل لتجهيز المكان لاستلام البضاعة التى ستأتى من أسوان حتى تكون معدة للبيع.. وانصرف..

دخُل زياد إلى البلكونة مكتئبًا مهمومًا فقالت والدة إيمان لها: قومى يا بنتى اعمل كوباية شاى لزياد ودخليها له فى البلكونة تلاقيه يا عين أمه أعصابه تعبانة من اللى شافه النهاردة فتوجهت إيمان إلى المطبخ وعادت حاملة لكوب الشاى سائرة نحو البلكونة، وقالت لزياد: اتفضل..

شكرها زياد قائلًا بأدب جم: بس مكنش فى داعى للتعب ده، وبصوت خفيض أضاف: إحنا آسفين على كل اللى حصل بسببنا بس الظروف هى اللى عملت فينا كدة.. سامحونا..

ردت عليه بحياء قائلة: لا أبدًا إحنا أهل، والناس بتتعرف وقت الزنقة، وإسراء أختى زى ما هى أختك، وأنا مبسوطة بوجودكم هنا معانا ثم جلست على الكرسى المقابل له وتجاذبا أطراف الحديث..

فى هذه اللحظة كانت أم إيمان تراقب ما يحدث، وتغمز للحاجة والدة إسراء وتشير عليهما، فينظران لبعضهما نظرات ذات مغزى ويضحكان إلى أن مر الوقت وحضر سيد من البلدة وعند دخوله للشقة توجه مباشرة إلى إسراء محاولًا ضربها والفتك بها فحالت أمه بينهما قائلة: اهدى يا ابنى إحنا عند الناس، ودفعته بعيدًا قائلة: يلا خُش اقعد مع أخوك وهو هيحكى ليك أيه اللى حصل؟

خرج زياد وسلم على سيد وتوجها إلى البلكونة وقص زياد له ما حدث مع أخته إلى أن عاد الحاج رضوان وسلم على سيد فقد رأه مع والده مسبقًا عندما كان يحضر إلى مصر، وجلس معهم متحدثًا إليهم: يا جماعة كويس أن زياد وأخواته هنا عشان جه الوقت والأوان اللى لازم تعرفوا فيه كل حاجة أنتو خلاص كبرتم..

يا ولاد أبوكم كان راجل طيب وكان بيجى مصر من وقت للتانى عشان يلم إيجار البيت اللى زياد قاعد فيه دلوقتي وكانت ظروفى مش كويسة وهو وقف جنبى وقفة مقدرش أنساها طول عمرى، وكان بيمر بأزمة كبيرة هو وأمكم ثم نظر لإسراء وإيمان قائلًا لإيمان: يلا خدى إسراء تستريح معاك فى أوضتك فقامت إيمان وبصحبتها إسراء وتوجها إلى غرفة إيمان وتركت إيمان باب الغرفة مفتوحة لكى يستمعا لما يقوله والدها فالفضول كائن لا يشبع..

ثم استطرد الحاج رضوان فى الكلام: أنتوا طبعًا عارفين أن أمكم رزقها بأول خلفة بعد ثلاث سنين من زواجها بأبيكم وهى دية كانت مشكلة أبيكم.. فقاطعه سيد: إزاي يعنى؟

قال له الحاج: اسمع للآخر وأنت هتفهم كل حاجة، أنتوا عارفين إن كان فيه مشاكل بين أبوكم وعمكم سعيد بسبب الارض لأن عمكم كان طماعًا، وفعلًا قدر يضحك على أبوكم، وخد منه الأرض، وخلاه يمضى على أوراق تنازله عن الأرض فقالت والدة زياد: حسبى الله ونعم الوكيل فيه إن شاء الله مش هيربح ولا يكسب أبدًا..

أكمل الحاج رضوان حديثه: يا حاجة خلينى أشرح للولاد أيه اللى حصل عشان أبقى خلصت ضميرى من ربنا، أبوكم وأمكم قعدوا يلفوا على المستشفيات لأن أبوكم لقى نفسه ملوش فى الخلفة فأشارت له زوجته بحياء حتى لا يكُمل حديثه فقال: دول كبار ياحاجة وديه مشكلة كانت عند أبوهم يعنى أنا مش بتكلم عن حد غريب وبعدين ده كان صديق عمرى وأخوي..

المهم يا ولاد أبوكم حكى لى أيه اللى عنده، وأنا كنت عارف ناس ليهم فى علاج الحالات اللى زى دية فعرضت على أبوكم إنه يتعالج عند الناس دية ويجربهم ومش هيخسر حاجة.. هو رفض بشدة فى الأول، وبعد كدة استسلم لما ملقاش فيه فايدة من العلاج والدكاترة.. المهم خدت أبوكم للناس دية..

قاطعه سيد: ناس مين دول؟ ردت عليه أمه يا بنى اسكت بقى والحاج هيفهمك..

- يا بنى دية واحدة ست كان اسمها محاسن وكانت ساكنة فى بيت أبوك، وكان ليها فى السحر والأعمال ورحت لها أنا وأبوك وعرفناها كل حاجة عن مشكلته وبدأت معاه مرحلة العلاج..

بصراحة أبوكم صرف كتير، واستحمل كتير لحد ما الحاجة محاسن قالتله فى يوم من الأيام: مبروك يا حاج أحمد أنا عرفت أيه اللى صابك، وأنا هاعمل معاك اللى مقدرش يعمله معاك الدكاترة.. فرح أبوكم وقالها: يا محاسن الفرج ربنا يسترها معاك.. لو صح عرفتى تعالجينى أنا هحلى ليك بقك، وهى قالت له أنت بس روح هات مراتك عشان هتساعدك فى العلاج وفعلًا سافر أبوكم وجاب أمكم معاه وقعدها مع الحاجة محاسن واديتلها نصايح ووصفات ونفذت أمكم كل شيء وبرضه مفيش حاجة حصلت وأبوكم فضل زى ما هو لحد ما طلبت منى الحاجة محاسن مساعدتها فى الموضوع ده ومحدش يسألنى إزاي؟

واشتركت بالفعل فى مساعدة الحاجة لمعرفة علة الحاج أحمد وفى الآخر وصلنا أنا والحاجة لسبب العلة اللى عند أمكم لأنه لما حكى لى موضوع الأرض والتنازل والحاجات اللى عملها أخوه معاه وأنا حكيت للحاجة محاسن اللى قالهولى وطلبت الحاجة من أمك حاجة من أثر عمك؛ لحد ما عرفت توصل للى حصل لأبوك، وكان لازم تتأكد من أمكم من حاجة معينة فسألت أبوكم: هو أيه اللى أنت أديته من بيتك لسعيد أخوك؟ وبعد عذاب أبوكم افتكر أنه أدى بحسن نية لسعيد حذاء قديم يشتغل

بيه وبعض الجوارب القديمة، وساعتها عملت الحاجة حاجات كتير لدرجة أنها استعانت بخادم عظيم يسمى صاحب الرؤوس الأربعة ليرشدها إلى مكان هذا السحر وأخبرها بكل شيء ، وعَرَفَتَ أبوكم أخوه عمل فيه أيه..

قاطعه سيد: هو كمان كان عامل مصايب مع أبوي غير سرقة الأرض!!

فرد عليه زياد بضيق: ما تسكت يا اخى خلينا نفهم.. اتفضل يا حاج رضوان كمل..

استكمل الحاج باقى الحديث: عمكم سعيد بقى خد الحذاء ده وراح لراجل دجال معندوش ضمير وعمل له عمل على فردة الحذاء دية، وحط فى فردة الشراب اللى خدها من أبوكم ملح، وحطها داخل فردة الحذاء ، وراح الترب واتفق مع تربى يفتح له قبر واحد لسه مدفون فى نفس اليوم، وحط فردة الحذاء دية تحت رأس الراجل اللى لسه مدفون، ومن ساعتها فضل أبوكم مربوط، وبعد كدة الحاجة عَرَفَتَ أبوكم هيعمل أيه، وقالت له على علامة معينة هيعرف بيها القبر ده..

المهم أبوكم فتح التربة وجاب العمل وجه هو وأمكم للحاجة اللى قرت حاجات على العمل ده وحرقته، ومن ساعتها أبوكم بقى سليم وعادى زى أى راجل، وكانت الحاجة عايزة تأذى عمكم ذىّ ما أذى أبوكم.. بس أبوكم رفض وقالها: ربنا هو اللى بيحاسب.. منُه لله، وبعد كدة جه بدر بن عمكم وعمل مصيبة زى اللى أبوه عملها قبل كدة..

زياد بتوتر: بدر عمل مصيبة زى أبوه، وأنت عرفت منين يا حاج؟

سيد بحدة: الناس دية لازم تتأدب وتقف عند حدها، ده شكلهم كدة مش هيسيبونا فى حالنا، وأنا بقى اللى هأقف لهم فاستكمل الحاج كلامه متجاهلًا لما يقوله سيد سائلًا لزياد: هو أنت خدت من بدر مفتاح الشقة لما مشى؟ فنظر زياد إلى الأرض وقال: لأ..

تعصب سيد وقال لزياد: هو أنت كنت مقعده معاك هنا فى مصر كمان.. يا اخى أنت مبتفهمش.. إزاي تأمن له؟ ده أنا مرضيتش استقبلهم فى عزا أبوك، وضرب كفًا على كف مُضيقًا: أنا مش عارف أنت بتفكر إزاي؟ لم يرد عليه زياد وقال الحاج رضوان: يا بنى اللى حصل حصل بس هو كان موقف حصل كدة فى الشقة لأمك وأختك وشافوا تعابين بس التعابين دية مش حقيقية ده نوع من أنواع السحر التخيلى للعيون زى اللى حصل أيام سيدنا موسى عليه السلام.. لما الناس اتخيلوا عصيان السحرة تعابين، وأخرج من جيبه قطعة الدهن والبيضة، وده السحر اللى حطه زياد فى الشقة، وعشان السحر ده يتم كان لازم يتعلق فيها، ومفيش حد غير بدر يقدر يعمل كدة، وإن شاء الله يا جماعة أنا عايزكم متقلقوش وتناموا دلوقتي والموضوع ده كله هيتحل وهترجع كل حاجة زى ما كانت بس عايزكم تصبروا لأن المواضيع دية بتاخد وقتًا فى الحل..

فرد سيد: سيبو لى بدر ده بس زياد يعرفنى مكانه، وأنا هاعرف اتصرف معاه..

فى صبيحة اليوم التالى سمع الحاج رضوان أبواق جرس الشقة تنفُخ بأصوات حادة تُعلن عن قدوم أحد الزائرين فقام بفتح الباب وقال مندهشًا للطارقة: أيوة عايزة مين؟

ردت عليه الطارقة: أنا مرات الحاج سعيد الله يرحمه..

- الحاج سعيد مين؟

- أبو بدر، ومن الداخل رأتها أم زياد فقامت واقفة وقالت مرحبة: أهلًا وسهلًا، وقالت للحاج رضوان: دية مرات عم العيال فرحب بها ودعاها للدخول قائلًا للزائرة: أنا سمعتك بتقولى الله يرحمه.. هو توفى؟

بكت وقالت: من عشرة أيام كدة..

قال الحاج رضوان لزوجته: حضرى الفطار..

أم بدر: مش هينفع أنا ماشية على طول بس أنا جاية لعيلة أخو جوزى الله يرحمه عشان عمهم وأبوهم يرتاحوا فى نومتهم ثم نظرت إلى أم زياد قائلة: أنا جايلكم دلوقتي عشان اللى حصل من جوزى زمان..

ردت أم زياد بضيق: خلاص اللى حصل حصل، وإحنا مش عايزين نتكلم فى المواضيع القديمة دية..

فناولت أم بدر دوسيهًا بلاستيكيًا لأم زياد قائلة لها: أنا جاية أرجع الحق لأصحابه..

فخطفه سيد وقرأ محتوياته وقال: ياما أنت كريم يا رب.. الحمد لله أرضنا رجعت لنا يا اما ثم نظر مندهشًا إلى أم بدر وأضاف: معلش أنت عرفت أن إحنا هنا إزاي؟

فرد زياد بسرعة: هى اتصلت بي وأنا اديتها العنوان ومرضتيش أقولكم عشان تبقى مفاجأة؛ ورينى كدة الورق ده وأخذه من يد سيد وقرأه بتمعن وهو مبتسم وناول الأوراق إلى الحاج رضوان قائلًا: بص كدة يا حاج أنا مش مصدق نفسى..

تناول الحاج الأوراق وابتسم قائلًا: أنا كنت عارف أن ربنا مش هيضيع حقكم واستطرد قائلًا: عارفة يا أم سيد الورق ده فيه أيه؟

ده فيه حُجة الأرض بتاعتكم، وفيه الورق اللى كان ماضيه الحاج أحمد الله يرحمه واتنازل فيه عن الأرض، وكمان وصولات أمانة عليه.. من الواضح أن عمكم كان ممضى أبوكم على وصولات الأمانة

عشان ميفتحش بقه.. سبحان الله، وفى هذه اللحظة قامت أم زياد باحتضان أم بدر وقالت لها: ربنا يكرمك ويجعله فى ميزان حسناتك واحتضنتها زوجة الحاج رضوان مهنئة لها كما احتضنت إيمان إسراء قائلة لها: ألف مبروك، وقامت أم بدر مستأذنة فى الانصراف وانصرفت راحلة وقامت أم إيمان بإعداد الإفطار وساعدتها فى إعداده إيمان وإسراء ثم دعت أم إيمان الجميع إلى الإفطار، واجتمعوا سعداء على مائدة الإفطار، وبعد الإفطار وهم جلوس يرتشفون الشاى انفرد الحاج رضوان بزياد وأخبره بضرورة عودته مرة أخيرة إلى الشقة لجمع احتياجاته وعدم دخول الشقة مرة أخرى حتى يجدوا حلًا لتطهير هذا المنزل من الشياطين المتواجدين به، وأخبره بضرورة تراجعه عن فكرة الزواج بملكة الجمال، وذلك يجب أن يكون بموافقة قاضى الجن وبتراضى كافة الأطراف المشتركة بهذا الموضوع حتى لا يتم إيذاؤه من قبلهم.. فقام زياد مستأذنًا لإحضار كافة احتياجاته من سكنه القديم ووصل إلى المنزل ودخل شقته خائفًا متوجسًا خيفة مما قد يتعرض له، وفى هذه الأثناء انتشر دخان بالمكان فشعر زياد بحدوث أمر مهم فتراجع منتظرًا لما يمكن أن يحدث فتراءت أمامه الفتاة الفاتنة هادئة مبتسمة قائلة: السلام عليكم..

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته..
- عامل أيه؟
- أخذ نفسًا عميقًا متنهدًا وقال وهو مُطأطئ الرأس خجلًا: الحمد لله..
- إسراء أختك عاملة أيه دلوقتي؟
- إحنا شفنا هنا فى الشقة دية حاجات غريبة لو حد كان حكى لى عنها مكنتش هاصدقه.. عارفة أنا أختى إسراء كانت هتموت..

قاطعته برقة: أنا عارفة كل اللى حصل هنا فى الشقة وعارفة إسراء اتعرضت لأيه وكان هيحصلها أيه، وأنت لازم تعرف أنه لولا تدخل أبى القاضى لساءت الأمور لنا جميعًا ثم نظرت إلى يمينها وأحنت رأسها فى إجلال وبساطة قائلة: مرحبًا بك يا أبى..

دخل القاضى الوقور قائلًا: السلام عليكم.. أنا أعلم جيدًا أن إقدامك على طلب الزواج من ابنتى ملكة الجمال كان مجرد فضول منك لدخول عالم لا تعرف عنه شيئًا، وكنت لا تُصدق هذا الأمر أو تكذبه، وقد مارست طقوسه على سبيل التجربة، ولم يكن عندك أى يقين بوجود كائنات أخرى غيركم فى هذا الكون الفسيح الذى يتسع لنا، ولكم، ولآخرين لا يعلم بهم إلا الله سبحانه وتعالى.

ونحن معشر الجن نُدرك صعوبة طلب الإنس مناكحة الجن والزواج بهم؛ ولن نخوض فى مسائل دينية وفقهية أو نتعرض للشرائع السماوية.. ولكنى لا أُخفى عليك أمرًا بأنه بطلبك الزواج من ابنتى كان يجب عليك الانتقال لعالمنا والتعايش معنا، ومعرفة أسرارنا؛ ولن يحق لك حينها الرجوع مرة أخرى لعالم البشر أو الحياة بينهم مرة أخرى، وعندما دعوتنا وأقسمت علينا استجبنا لدعواتك، وكنت سأثنيك عن هذا الأمر عند بدايته لولا رؤيتى للشر يسكن فى منزلك، وطلب ابنتى منى مساندتك ومساعدتك حتى لا تصبح إنسانا آخر أو بمعنى أدق شيطأنا من شياطين الإنس؛ وساندناك بأعواننا وخدامهم، وحجبناك من الشياطين أنسهم وجنهم؛ بل إن حمايتنا لك فرضت علينا حماية أسرتك الصغيرة؛ وبالأخص أختك إسراء لمحبة ابنتى لها..

والآن هل أنت على استعداد للانتقال إلى عالمنا وترك عالمك؟ أريدك أن تفكر جيدًا فى هذا الأمر لأن هذا القرار لن يكون فيه أى رجعة، ونظرًا لمحبة ابنتى الشديدة لأختك إسراء لكان لنا معك تصرف آخر إذا شعرنا بنيتك للتراجع عن أمر الزواج بملكة الجمال فطلب الدخول لعالم الجان ليس بالأمر اليسير ولذلك فالخروج منه لن يكون أيضًا بالأمر الهين فهذا يعنى هلاك الآدمى الذى يطلب ذلك.. فأحذرك..

ولتنقل تحذيرى إلى الآخرين بعدم محاولة الخوض أو حتى مجرد القراءة فى كتب السحر لأن بها ما يدمر حياة البشر، وأخبرهم بأن ما يسمعوه عن هذا العالم الخفى ليس بالضرورة أن يكون هو الحقيقة، وأنت يجب ألا تُفشى أيًا مما رأيته لأى مخلوق حتى لا تضُر نفسك وتؤذى من حولك، وإعلم أن الياقوتة المعلقة بعنقك قد ذهبت قوتها وأصبحت حجرًا ليست له أى قيمة..

رد عليه زياد بصوت خفيض يملؤه الندم: أيها القاضى الكريم كل ما ذكرته صحيحًا وأنا كنت نادمًا على إقدامى على تجربة هذا الأمر، وكنت أريد التراجع وكنت لا أعلم كيف سأتراجع؟ والحقيقة أنا لا أرغب فى هذا الأمر..

ضحكت ملكة الجمال بسرور وقالت: يا ليت جميع الآدميين الذين يقُدمون على تنفيذ تلك الأمور الخاصة بالسحر يقتدون بك، فالجنيات تعشق الزواج من الجن، والإنسيات تحب زواج الإنس، و إذا سمعت مسبقًا عن زواج جنى بإنسية أو جنية بإنسى فهى أمور استثنائية لم يتأكد منها أحد ثم أضافت مُداعبة: ولا أنت غيرت رأيك لما شفت إيمان بنت الحاج رضوان العطار..

عمومًا هى فتاة لا تختلف كثيرًا عن أختك إسراء فى النقاء والإخلاص وصفاء الجوهر، وأنا أشعر بأنك تمر بحالة من الحب تعجز الكلمات عن وصفها فتوكل على الله وحافظ عليها فإنها سوف تكون دليلك فى زمانك الآتى وسيصبح لكلاكما رئة واحدة تتنفسان بها..

ابتسم زياد خجلًا وسكت فلم يجد أى كلام يقوله..

ابتسم قاضى الجن وقال لزياد: بعد قليل هذه الشقة ستُصلح للسكن، ولكن أنصحك بفتح شباك لها لأنه يجب أن تدخلها الشمس وأن يُقرأ فيها القرآن دومًا، وأرجو أن لا يدفعك فضولك مرة أخرى لعمل أمر لا تعلم عواقبه..

ثم قال قاضى الجان لابنته: لأجلك فقط سنعتبر أن كل شىء أقدم على فعله زياد كأنه لم يكن، ولكن يتبقى أمر أخير.. يجب علينا جلب وإحضار عُمّاَر هذا المكان مرة أخرى لنفوت الفرصة على الملكة محاسن وخدامها فى العودة لهذا المكان مرة أخرى، فلتستعدى يا ابنتى فسوف نستعين بالملوك السبعة العلويين والخدام النورانيين ثم رفع صولجانه ووجهه إلى المرآة المعلقة على الحائط وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إلا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إذا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أقسمت عليكم يا خُدام هذه الآية الشريفة أن تكونوا معاونين لى فى استحضار الملوك السبعة مجتمعين، وبحضورهم مسرعين..

أسألكم بسم الله الذى تغشاه الأنوار، وبعلمكم للأسرار، وأُخُذ عليكم العهد والميثاق حتى تجيبوا وتأمروا خدامكم وأعوانكم بطاعتى وأن تُلزموهم بقضاء حاجتى..

وفى هذه اللحظة انشقت المرآة وتزلزل المكان وأصبحت رائحته عطرة؛ وزياد لا يرى أو يسمع أى شيء فقد غشى المكان ضباب كثيف فصنع ساترًا قويًا من الدخان..

انحنى قاضى الجن والملكة انحناءة تدل على حضور هؤلاء الملوك، وتحدث قاضى الجن: أيها الملوك أنت أعلم بحالنا وبما حدث فى هذا المكان من أهل الفجور والظلم والعصيان، وبما حل بأهل هذا المكان من الأسقام.. أسألكم بحق أسراركم الكريمة المخزونة والأنوار المكنونة أن تفتحوا لأهل هذا المكان أبواب الخير والتيسير وتغلقوا جميع أبواب الشر والتعسير، وأن تيسروا أمورهم حتى لا يصيبهم شيء من أذى الجن والقرائن، وأرسلوا لنا أُمراء التصريف ليفيضوا علينا من القوة والنصر على الأعداء..

عادت المرآة لحالتها الأولى وانقشع الضباب من المكان، وقال قاضى الجن لابنته ملكة الجمال: كما رأيتى وسمعتى فلقد سمح الملوك بقضاء حاجتنا فلتعودى الآن يا ابنتى إلى قصرك، واحذرى من الهوام التى تملأ هذا المكان ثم رفع صولجانه لأعلى وقال: عودوا يا عُمّاَر هذا المكان كما كنتم، عودوا بحق السماء التى من أجلها رحلتم، ادخلوا بسلامٍ آمنيـن، بحق الملك طارش ملك العُمّاَر اقبلوا سامعين طائعين ذكوركم وأنا ثكم.. صغيركم وكبيركم ولا يتخلف منكم أحد..

ارتعد زياد فقد اختفى الحائط المقابل لباب شقة الحاجة محاسن، وكذلك الحائط الموجود به باب شقتها لتصبح الشقتان كأنهما مكان واحد، ورأى كائنات شفافة كثيرة ممسكة بحية عظيمة محاولين دفعها بعيدًا عن المكان، والحية قوية جدًا لا تستسلم بسهولة، والكائنات زاد عددهم واستطاعوا إلقاءها خارج المكان وهى تصرخ سأعود.. سأعود..

***

عادت ذات المحاسن إلى قلعتها فى قمة الغضب والثورة وأمسكت بتلابيب كائن أسود تعنفه قائلة له: يا سفاح الجن كيف تهرب منك هذه الآدمية؟ مش عارف تقدر على بنت آدمية ضعيفة بس فالح بس تقولى أنا ببلع البنى آدمين طب مبلعتهاش ليه؟

يا ابنة ملكنا لقد اختطفت هذه الآدمية فعلًا وقذفتها لتسقط فى قلعتك، ولكن ساعدتها الملكة دُرّة؛ وعاونها أبوها قاضى الجن ومنعوا سقوطها بل إن أعوانهم التفوا حولنا وطردونا من المكان..

أضافت ذات المحاسن: أنت لازم تتحاسب حسابًا عسيرًا ثم نظرت إلى ماريا وقالت لها: وأنت كمان فشلت فى كل حاجة والواد الآدمى اللى اسمه بدر منفعكيش بحاجة.. أديك عيشَتيه وهنتيه وكل ده على الفاضى وبكدة الواد ده مالوش لازمة دلوقتي.. خلى التمثال الذهب إلى معاه يرجع لأصله من الحجر ومتظهريش ليه تانى، و إذا احتجناه فى حاجة نبقى نجيبه وقتها..

فى هذه الأثناء ظهر من الفراغ فجأة كائن هائل الخلقة نظرت له الملكة ذات المحاسن وانحنت قائلة: مرحبًا بك أيها الملك السُّفْلى..

الملك السُّفْلى: دعوتنا وأرسلنا لك خُدامنا، وضربوا سهامهم فى المكان الذى أردتيه؛ ونصبوا خيامهم وجلبوا الشر ثم طلبت مساعدتنا لك فى التصدى لقاضى الجن وملكة الجمال فجلبنا لك الأعوان والعفاريت الكبار وأولاد الشياطين، وبسبب فشلك حل علينا السخط والغضب، ولذلك فقد عكسنا دعواتك لنا، فلا تقسمى علينا مرة أخرى فلن نكون عونًا لك..

وبعد رحيل الملك السُّفْلى وفى وجود هذه التلال الهائلة من الكائنات الغريبة المخيفة التى تملَّأ الأركان، وبحضور بعض الأسود والذئاب التى تجلس هنا وهناك وبتفاعل هذا المزيج من الأنواع العديدة من الثعابين والحيات المُتدلية من الأسقف وانتشار القطط ذات الألوان الخلابة الفاتنة..

جلست الملكة ذات المحاسن على كُرسيها الضخم المصنوع من العقيق الأحمر وهى تنظر نحو مذبحها البلاتينى قائلة لخادمتها ماريا: كيف اختطفتموها؟

اعتدلت ماريا فى جلستها بزَّهْوُ وقالت: أرجو ألا تؤاخذني ملكتى فيما أقول..

ذات المحاسن: تكلمى ولا تخافى..

ماريا: عندما أمسك بك عُمّاَر مسكنك القديم محاول ين طردك منه وفى أثناء تركيز وانشغال الجمع بك رأيت ملكة الجمال هذه التى تُسمى دُرّة وهى عائدة إلى قصرها فأمرت خُدامك العفاريت السفلية بمحاصرتها والقضاء عليها وعند التفافهم حولها لم يجدوا منها أى مقاومة فقد كانت ضعيفة جدًا

وفى هذه الأثناء حضر سفاح الجن وطلبت منه خطفها وسجنها بقلعتك حتى يُصلح خطأه الأول فى فشله فى اختطاف الآدمية إسراء أخت الآدمى زياد..

ذات المحاسن: وكيف تتزكيها لتستطيع إحاطة نفسها بتلك الحماية من حولها؟ ثم قامت من على كُرسيها وسارت باتجاه المذبح وهى تنظر إلى الفتاة الجالسة بوهن داخل دائرة طلسمية كبيرة من النور تحوط بها وقالت لها وهى تضحك شامتة: ملكة الجمال هُنا بقلعتى.. لا أصدق هذا.. هل تظنين أنك بمأمن داخل تلك الدائرة التى أحطت بها نفسك؟

دُرّة: أيتها الملعونة لن تستطيعى إيذائى.. سيلتهمك أبى قاضى الجن التهامًا..

كررت ذات المحاسن كلام دُرّة ملكة الجمال بتهكم: أيتها الملعونة لن تستطيعى إيذائى سيلتهمك أبى قاضى الجن التهامًا.. وأطلقت ضحكة قوية وكأنها تُشهد كل الكائنات المتواجدة حولها على قوتها وقالت: أين هو قاضى الجن هذا؟ إنه لن يستطيع المَجِيء إلى هنا أبدًا بل إنه لن يستطيع الاقتراب من قلعتى ثم وجهت حديثها إلى كافة الكائنات المتواجدة معها فى القلعة وسألتهم: من وافق على قبول هذا الجنى قاضيًا للجن و أشارت لماريا ولبعض الكائنات سائلة إياهم: أنتِ.. أنت.. أنت. فلم يُجب أحد!!

عادت لدُرّة مرة أخرى وقالت لها: أرأيت؟ لم يوافق أحد على تولى أبيك لهذا المنصب وبالتالى فهو غير مُعترف به هُنا وأيضًا غير مُرحبٍ به، ولذلك لو حاول الوصول لقلعتى هو أو أعوانه سُندمره تدميرًا، واعلمى أن وجودك داخل هذه الدائرة لن يُدوم للأبد فسيأتى الوقت الذى ستحاولين فيه الخروج منها للهروب ووقتها لن تستطيعى الإفلات من يدى وستبقين معنا للأبد..

دُرّة: أنت تعلمين جيدًا بأنك لن تستطيعى السيطرة علىّ أو امتلاكى أبدًا..

ذات المحاسن: لقد قُلت الصواب.. أنت مجرد أداة لحصولى على ما أريد ثم سارت عائدة إلى كُرسيها وجلست عليه واستكملت كلامها قائلة بحزم: لقد زجرنى أبوك مُسبقًا بالملوك السبعة العلويين عندما تعرضت للآدمى فى منزله وحاول سجنى ببحركم ولم يستطع وتسبب فى غضب الملك السُّفْلى علىّ بل إنه طردنى من مسكنى ونصر عُمّاَر هذا المسكن علىّ وما أريده شيء بسيط جدًا.. فهو كما طردنى من مسكنى يُرجعنى إليه، ويبتعد تمامًا عن مساندة أى آدمى قد أتعرض له فى أية مسألة ويعوضنى عما فعله بى مع الملوك السُفلية بأية طريقة يراها مناسبة

دُرّة: أنت تحلمين..

ذات المحاسن ضاحكة: الشياطين لا تحلم..

ثم نظرت إلى ماريا وقالت بحدة: وأنت هل نسيتِ ما فعله بك هذا العطار؟ هل فكرت فيما ستفعلينه معه للانتقام منه؟

ماريا بخوف: ابنة ملكنا أنا لم ولن أنسى ما فعله هذا العطار ووقوفه ضدنا، وأنا الآن أعمل على إيذائه..

ذات المحاسن: كيف هذا؟

ماريا: إن هذا العطار ساحر قديم، ويستطيع الاستعانة بملوك علويين أو سُفليين، ويحيط نفسه وأسرته بتحصينات عظيمة قوية من خُدام الآيات والأسماء ولذلك سأستعين بساحر قوي مثله حتى يستطيع القضاء عليه..

ذات المحاسن: أرينى هذا حتى أُشير لك برأيى فأنت لا تُنهين عملًا تبدأينه..

أشارت ماريا بيديها إلى أحد التماثيل السوداء ذي القرون الحمراء التى تحوط المذبح فهب واقفًا متحركًا نحوها فأمرته بالسجود للملكة ذات المحاسن والبدء فيما ستطلبه منه فاتجه التمثال للملكة ذات المحاسن وسجد لها ثم قالت الملكة ماريا: أدعوكم يا معاشر الأرواح الروحانية السائرين بالأفلاك وأسلطكم على الأجسام البشرية بأن يكون لى السطوة عليها ثم أَمَرْتُهُ بفتح قرنيه وفى هذه الأثناء تكونت كرة عظيمة من الضباب بين قرنى التمثال ورأى جميع من فى القلعة الآدمى بدر يسير بين طُرقات المقابر ثم أضافت ماريا: سأستخدم هذا الآدمى بصورة مختلفة وأمده بالقوة المناسبة للفتك بهذا العطار وقتله ثم أشارت للتمثال فرجع مكانه كما كان..

نظرت ذات المحاسن إلى ماريا فترة طويلة وهى صامتة ثم قالت: كنت أعلم أنك لن تُفلحى فى شيء حتى طريقة انتقامك تقليدية شبيهة بتلك التى ينتهجها بنو الإنسان.. سأعاونك أنا بطريقتى ورفعت يديها عاليًا قائلة: احضرى فملأ المكان شمعًا منصهرًا تشكل فى شكل امرأة حسناء وانحنت هذه الحسناء للملكة ذات المحاسن: سمعًا وطاعة لابنة ملكنا..

رحبت بها الملكة ذات المحاسن قائلة: مرحبًا بك أيتها الملكة.. قاطعتها ماريا بغضب: لماذا استعنت بها سأستطيع وحدى فعل ما تأمُرين به؟

أشارت لها الملكة ذات المحاسن قائلة: أنتما ستساعدان بعضكما البعض، ولا أريد أى تنازع بينكما ثم أمسكت بيد هذه الملكة الحسناء وسارت نحو ملكة الجمال دُرّة وقالت لها وهى تُشير إلى الحسناء: هل تعرفينها؟

ردت عليها دُرّة بسخرية: شيطانة مثلك.. تُسمى عاينة بنت الأحمر تستخف بعقول الآدميين وتغويهم للزواج منها ثم تُصيبهم بالجنون..

ضحكت ذات المحاسن قائلة للحسناء: أنت معروفة ومشهورة أكثر منى، وهذا معناه أنك تستطيعن إيذاء البشر بسهولة ثم أشارت نحو كُرسيها فتكونت فوقه مرآة ضخمة ظهر بها بدر ومعه شخص آخر من جهة ومن الجهة الأخرى ظهر العطار وأسرته فقالت للحسناء: فلتساعدى هذين الآدميين فى تدمير هذه الأسرة، وكل خُدامى مُسخرين لك بما فيهم خادمتى الوفية ماريا ثم نظرت إلى ماريا.. فأشاحت ماريا بوجهها فى غضب ونظرت إلى الجهة الأخرى..

***

فرصة الاختيار بين العفو أو الانتقام

متساوية بين الجميع

فمن يفوز؟ ومن يخسر؟

مكان فسيح ليس له أى مداخل أو مخارج..

درجة حرارته مرتفعة الدرجة..

أرضياته من الزبرجد الأخضر..

حوائطه صخرية من البلّور الأبيض الشفاف الذى يُشبه الزجاج..

الياقوت الأزرق يُضفى لونه على بقعة فسيحة داخل المكان ليُظهر مجموعة مقاعد ضخمة من الألماس يجلس عليها ملوك الجن السبعة..

يجلس أعوان آخرون لهم على مقاعد أخرى من التوباز الذهبي المائل إلى اللون البرتقالي الغامق، وأخرى لا يجلس عليها أحد يُرحبون بكائن آخر قوى الهيئة يظهر عليه الوقار ويدعونه للجلوس..

سلم عليهم سلامًا حارًا موقرًا يليق بهم جميعًا، وشكرهم على قبول مثوله أمامهم فى وشاح الأرض..

تكلم أحد الملوك موجهًا كلامه إلى قاضى الجن: تكلم أيها القاضى..

قاضى الجن: يا ملك النور الأبيض: لقد أقسم أحد الآدميين علينا ودعانا بالأسماء الثقال، و

أكمل الطقوس والتعزيمات للزواج من ابنتى ملكة الجمال، وسبق أن طلبت عونكم فى التصدى للملكة ذات المحاسن بنت إبليس عندما تعرضت هى وخُدامها إلى هذا الآدمى فأمرتم الآملاك الروحانيين المُدبرين لكواكب الأفلاك بحمايته، ومن جانبى أحطته بالدائرة الطلسمية النورانية الشريفة لوقايته وإخفائه عنها، وعندما حضرتم لمساعدتى فى عودة عُمّاَر المكان لمكانهم الذى طردتهم منه وفى أثناء انصراف ابنتى للعودة لقصرها استطاع سفاح الجن المارق وخادمتها ماريا بنت الملك شمردل السُّفْلى من خطف ابنتى دُرّة ملكة جمال الجن، ونحن لم نشأ أن نذهب إليها فى قلعتها حتى لا تشتعل بيننا حَرْبٌ ضَرُوسٌ مُهلكة وقد فضلت الرجوع لكم لمشاورتكم فى الأمر وفعل ما هو صواب..

الملك أبو النور الأبيض: لم تستطع ذات المحاسن طرد عُمّاَر المكان إلا بموافقة ومعاونة الملوك السُفلية ولكن عند تدخُلنا جميعًا حل عليهم السخط والغضب فعكسوا دعواتها وحذروها من دعوتهم مرة أخرى، وسيحاول الملك ميمون السياف إثنائها عن الاستمرار فى خطف ملكة الجمال..

قاطعه فى تلك اللحظة الملك ميمون قائلًا: عُذرًا أيها الملك الأبيض فلتدعنى أشرح لقاضى الجن الصغير ما حدث..

أيها القاضى الصغير: إن ذات المحاسن تستعين بالشيطان الأكبر أبيها الذى أمر أبناءه بإحاطة قلعتها بملوكٍ سُفلية عظيمة ولذا لن نستطيع الولوج لقلعتها أو التعرض لها إلا بإذنها.. فهى لا تُلقى بالًا للعهود والمواثيق..

قاضى الجن: هل أستسلم وأترك ابنتى لها تفعل بها ما تشاء؟

الملك ميمون: نحن لا نستطيع مساعدتك الآن، ولكن رُبما يجد الملك شمهورش ملك قُضاة الجن طريقًا لجلب السلام بيننا وبينهم بدون اشتعال لأية حروب لن تُخمد نيرانها قبل قرون..

الملك شمهورش: أيها القاضى أنا أشعر بآلام لفراق ابنتك، ولكن أعلم أنها لن تُمس بسوء ولن يستطيعوا إيذائها ثم أشار إلى أحد الجوانب الصخرية البلّورية فى ذلك المكان من باطن الأرض فظهرت ملكة الجمال دُرّة وهى تُحيط نفسها بدائرة طلسمية كبيرة من النور، واستطرد الملك شمهورش: أرأيت أيها القاضى الطيب لن يستطيع أحد من المتواجدين بقلعة ذات المحاسن الدخول إليها أو لمسها حتى..

قاضى الجن: أشكر لكم جميعًا مساندتكم لى ولكنى أرى الآن ابنتى أمامكم مما يعنى أنكم تستطيعون الولوج لها.

أشار أحد الجُلوس إلى الملك شمهورش طالبًا منه الكلام فقال الملك شمهورش له: فليتفضل الملك بالتحدث..

تحدث الملك وقال: لعلك تعرفنى يا قاضى الجن.. أنا الملك برقان.. أنا ساندت ابنتك فى إحاطتها بالدائرة النورانية، وأمددتها بكثير من الطاقة الروحانية التى تقُوى إرادتها وروحها فأنت تعلم أننى ملك العجائب..

قال ملك آخر من الملوك الجالسين على كراسى الألماس: اطمئن يا قاضى الجن فأنا أيضًا أساندك معهم جميعًا وسنحاول أنا والملوك الستة الحضور وبمساعدة الأعوان والخُدام أن نحمى ابنتك فأنا الملك أبو محرز الأحمر ملك المكائد.. سأُدبر لك ما يُمَكّنَاَ من استعادة ابنتك.. فلتنصرف وأنت فى غاية الاطمئنان ولا تحاول فعل أى أمر إلا بالرجوع إلينا..

قاضى الجن: أكرر لكم شُكرى العميق بمساندتكم لى ولأبنتى واسمحوا لى أن أستأذن فى الانصراف..

***

ما زالت الكائنات الشيطانية تحوط الملكة ذات المحاسن بقلعتها وهى ناظرة إلى الملكة دُرّة وإلى دائرتها الطلسمية مفكرة فى كيفية الاستحواذ عليها إلى أن انتفضت فجأة إثر ارتجاج القلعة بالكامل فقامت واقفة وجلة عندما رأت أمامها الملك ميمون المتشح بالسواد وانحنت قائلة: مرحبًا أيها الملك العظيم.. لقد كنت فى انتظارك!

بغضب نظر لها الملك ميمون قائلًا: ماذا تُريدين أيتها الملكة؟

ألم تكفك فعلتك بمنزل الإنسى؟

وهل تستهينى بمساعدتنا فى اتقاء اشتعال حرب شعواء بعالمنا؟ هذا بخلاف ما تسببت به من مشكلات مع قاضى الجن لاختطافك ابنته..

قالت ذات المحاسن بحنق: قاضى الجن هو من تعدى علىَّ.. هو من بادر بالعداء.. هو من تسبب بطردى من مسكنى هو من فضل مساعدة الآدميين الذين تسببوا فى مأساة أبى ولعنه والغضب عليه.. هو من تسبب فى غضب الملوك السُفليين علىَّ.. ثم ضحكت وقالت متهكمة: كل ذلك وأنا المعتدية، وأنا من أريد إشعال الحرب حقًا كان يجب أن يمر كل ما حدث ببساطة وكأن شيئًا لم يحدث.. كان علىَّ أنا أرضى وأجلس بقلعتى كأى شيطان مسالم مستكين ثم نظرت إليه نظرة ملؤها التحدى وقالت: أنا الملكة ذات المحاسن بنت إبليس.. هل تعلم من هو إبليس؟ إنه الحارث إله الشياطين.. ملك الطغيان والتدمير.. مُداعب الشهوات؛

ولكونى ملكة بنت إله فلن يكفينى اعتذار قاضى الجن لى إلا بإعادتى إلى مسكنى مع الآدميين بنفسه..

قال الملك ميمون بهدوء: أيتها الملكة بنت ملكك الإله لقد استعنت مسبقًا بالملوك السُفلية ونصبوا خيامهم وجلبوا الشر ولولا سطوتنا عليهم هم وأعوانهم وعفاريتهم لاشتعلت الحروب وانتشر الفساد ثم كيف تطلبين أن يساعدك قاضى الجن وأنت تختطفين ابنته؟

أشاحت ذات المحاسن بوجهها قائلة: هذا ما أريد، ولعلك تُدرك أنى للآن لم أطلب معاونة أبى لى.. كما تُدرك أن قلعتى لا يستطيع أى كائن حى أن يقترب منها إلا بإذنى، و إذا حاول أحدهم أن يلج إلى هنا فهو من يريد الفتك به من حراس أبى الذين يحيطون بقلعتى وهوائها وأرضها..

الملك ميمون: أنا أعلم كل ذلك وأريد أن أذكرك بالعهود والمواثيق التى بيننا..

ضحكت ذات المحاسن وقد راودها شعور بالكبرياء : أخجلتم تواضعونا أيها الملك.. كم أشعر بالسعادة لزيارتك لنا..

نظر إليها الملك ميمون بُرهة من الوقت صامتًا ثم قال: نحن لا نريد إلحاق الأذى بك أو بكائناتك.. فأنت الآن مطرودة من عالم الجان لم اقترفتيه من أفعال، وستُلاحقك اللعنات التى ستُضعف قواك..

أشارت ذات المحاسن بيديها بغضب شديد تجاه الفراغ فانطلقت منهما كرة هائلة من النيران وقالت: لولا قوة أبى لكنتم انتقمتم منى وكنت أنا وأعوانى وخدامى مُسلسلين بأرضكم ولكانت قلعتى تحت سيطرتكم.. ثم أشاحت بوجهها ونظرت إلى ملكة الجمال وقالت: أيها الملك ميمون لقد سُررت بزيارتك لى ولكن هذه الملكة ستظل حبيستى هنا حتى تُلبى مطالبى البسيطة..

الملك ميمون: لقد اخترت الحل الأصعب، وستظل ملكة الجمال تحت حماية الملوك الستة وأنا، وسنساعدها دومًا ولتلحقك لعنات عالم الجن..

فى تلك اللحظة اختفى الملك ميمون، واتجهت ذات المحاسن إلى دُرّة وقالت بحنان ورقة وخنوع وهى تقترب من دائرتها الطلسمية النورانية: أنا لم أكن أعلم بقدرك وقدر أبيك عند الملوك السبعة.. أنت مثل ابنتى وأنا لم اختطفك بل اختطفك سفاح الجن المارق وماريا الفاشلة، ومنذ وجودك معنا هنا لم أحاول أذيتك أو إهانتك، وأنا لا أريد منك شيئًا فإن أردتى أن ترحلى من هنا فارحلى، هيا اطلقى هذه الدائرة التى تحوطك بعيدًا عنك ودعينا نتحدث كالشياطين العقلاء بدون أى خوف..

ابتسمت ملكة الجمال ابتسامة زادتها نورًا وقالت: أولًا: أنا لست شيطانة مثلك بل أنا جنية مسالمة.. ثانيًا: هل تريدين منى أن ءآمَن لك؟ أنك مخلوقة من الشر ولا أريد أن التقى معك أبدًا..

ذات المحاسن: اهدئى يا ابنتى أنا لست كما تظنين.. انضمى إلى وسنفعل ما لم يستطع الآخرون فعله.. تخيلى معى مفاجأة عالمنا باتحاد الجان مع الشياطين، وسعادتنا جميعًا بعموم السلام بيننا..

ملكة الجمال: أنت لا تحفظين عهدًا ولا تصونى ميثاقًا..

فى تلك اللحظة أحاطت بملكة الجمال جحافل من الكائنات خرجوا من تحت الأرض التى تُحيطها الدائرة النورانية المطلسمة وأحاطوا بها مشكلين حاجزًا هائلًا بين ملكة الجمال ودائرتها الطلسمية، وضحكت ذات المحاسن ضحكة عالية ساخرة قائلة لملكة الجمال: شئت أم أبيتي ستكونين لى..

من يحيطون بك الآن هم طائفة صغيرة من عفاريتى الغواصين فى أعماق الصخور، وهذه أرضهم التى دخلوا إليك منها والآن سيخرجونك من دائرتك الطلسمية..

هلعت دُرّة مما حدث وحاولت دفع هذه الكائنات بعيدًا عنها، وخفت وهج الدائرة الطلسمية رويدًا رويدًا، وتجمعت الكائنات المتواجدة بالقلعة حول الملكة ذات المحاسن منتظرة اختفاء الدائرة النورانية للانقضاض على ملكة الجمال ومع انتشار ضباب أصفر أحاط بالملكة ذات المحاسن تراجع كافة الكائنات التى تُحيط بالملكة إلى بعيد وانحنت الملكة مرة أخرى وقالت: مرحبًا بك أيها الملك برقان.. لا أستطيع تصديق ما يحدث!!

فى نفس اليوم يقوم بزيارتى ملكان عظيمان..

نظر لها الملك برقان ولم يُعرها أى اهتمام ثم نظر إلى ملكة الجمال وشاهد معاناتها مع تلك الكائنات التى تُحيط بها وأشار بيديه نحو الدائرة فخرج منها دوائر صغيرة فسفورية..

كل دائرة أحاطت بكائن من الكائنات التى تُحيط بملكة الجمال، وأصبح كل عفريت وكائن حبيس تلك الدوائر يُحاول حثيثًا أن يخرج منها ثم رفع يديه لأعلى فخرج منهما شُعاع فسفورى اتجه إلى الأعلى ثم عاد بين يديه مكونًا كرة صفراء فسفورية ضخمة شبيهة بفقاعة الماء، وألقى بها نحو ملكة الجمال لتختفى الدائرة الطلسمية النورانية ويحل محلها الفقاعة الصفراء وبداخلها ملكة الجمال التى انحنت فى تلك اللحظة وقالت للملك برقان: أشكرك أيها الملك.. أنا لا أعلم ماذا كنت سأفعل لولا تدخلك ومساعدتى؟

الملك برقان: لقد عاهدنا أباك أن نحفظك ونساعدك ونصونك.. ثم نظر إلى ذات المحاسن واستطرد: لن يستطيع أى مخلوق أن يمس بنت قاضى الجن..

ملكة الجمال: فلتخرجنى من هنا.. أنا أريد الرجوع لأبى..

الملك برقان: يا ابنتى لا تتعجلين.. ستخُرجين من هنا ولن يمسك أى سوء.. لكن جنود أبليس حول المكان، ولن نستطيع أخذك الآن.. فبيننا وبينهم عهود ومواثيق..

ملكة الجمال: لكنك حضرت إلى هنا وساعدتنى، وحضر قبلك الملك ميمون.. معنى ذلك أنكم تستطيعون الولوج إلى هنا ومساعدتى فى الرجوع إلى أبى..

الملك برقان: صدقت أيتها الملكة.. نحن نستطيع أن نلج إلى قلعة الملكة ذات المحاسن وذلك بعلمها، وكونها نقضت العهود والمواثيق التى بيننا وبينها فبإمكاننا فعل ما نُريده بداخل هذه القلعة.. لكن يا ابنتى الحراس فى الخارج لم ينقضوا عهودًا أو مواثيق، واعلمى أنك الوحيدة التى تستطيعين الخروج من تلك الفقاعة النورانية ولا تخافى فلن يستطيع أى كائن حى من الولوج اليك..

آسفة على مقاطعتكما هى الجملة التى قالتها ذات المحاسن بطريقة تمثيلية وأضافت: حضورك أيها الملك مُرحب به الآن وغدًا وفى كل زمن، وصدقنى أنا لم أعرف بما فعله هؤلاء العفاريت الغواصون إلا عندما رأيتهم، ولقد تفاجأت مثلكم تمامًا ومن الجيد أيها الملك أنك حضرت فى التوقيت المناسب لأنى لم أكن لأساعدها وهى بداخل هذه الدائرة..

الملك برقان: طالما كنت ستُساعدينها إذن دعيها ترحل بسلام..

ذات المحاسن ضاحكة: أنا لا أريد منها شيئًا.. ولكنها السبيل الوحيد الذى سيُجبر قاضى الجن على رد اعتبارى بعالمى وعودتى إلى حياتى ومسكنى لأعيش كيفما أشاء، ولعل الملك ميمون أخبرك بما دار بيننا ولقد شرفنى حضورك أيها الملك برقان..

الملك برقان: إنك تتمسكين بأمل واهٍ لا أساس له، وسنلتقى قريبًا أيتها الملكة، ووقتها سيُحصد كُلً منا ما قام بزراعته..

اختفى الملك والضباب الأصفر ما زال منتشرًا حول الفقاعة الفسفورية التى بداخلها ملكة الجمال..

***

الحقيقة الغائبة تمرض القلب؛

وعند الوصول إليها.. يتعافى..

فتأبى النفس..

حتى تنتشى بالانتقام الذى يحولها إلى أشلاء..

عندما عادت أم بدر إلى منزلها بالبلد وفى أثناء شرود ذهنها وانقسام روحها ما بين فرحٍ بما آل إليها من إرث زوجها المتوفى ومن حُزنٍ عليه للفراق سمعت طرقات على باب الدار وعندما فتحته فوجئت بضُرتها تنظر إليها بابتسامة حزينة..

رحبت بها باقتضاب: أهلًا وسهلًا خطوة عزيزة.. اتفضلى يا حاجة أمال..

دخلت ضُرتها أمال قائلة: أنا قُلت أجى أسأل عليك..

ردت عليها أم بدر باقتضاب: أنت شرفتى وأنستى..

جلست أمال تتحدث معها عن أحوال البلد وحكايات أخرى متفرقة إلى أن قالت: متأخذنيش يا أختى أنا عايزة أكلمك فى حاجة يمكن ده مش أوانها..

- خير يا أختى؟
- أنت يا أختى لما جيتى لى وقلتى لى إنك عايزة ترجعى الحق لعيلة أخو جوزى أنا رحبت ووافقت، وقلت عشان الراجل يرتاح فى تُربته بس م ساعتها وأنا بسأل نفسى سؤال.. هو ورق حُجة الأرض وصلك إزاي؟

تلال من التوتر كبلت صوت أم بدر واحمر وجهها..

فقالت لها ضُرتها بحزم: أيه يا حاجة مبترديش عليَّ ليه؟

تصنعت أم بدر الغضب وردت بجفاء: أنا مش عارفة أنت قصدك أيه؟ الورق اللى رجع لأصحابه ده بتاع جوزى والأرض برضة بتاعته، وكان مسيرها لعيالنا.. يعنى أنا لو وحشة مكنتش قولتلك نرجع الحق لصحابه، ويا أختى لمى نفسك بقى وعيب الكلام ده..

نظرت لها أمال بصمت ثم قالت: يا حبيبتى أنا مش قصدى اللى أنت فهمتيه.. أنا بس خفت تكونى لقيتى الورق ده بالصدفة هنا ولا هنا فقلت لحسن يكون اتسرق من الحاج، وزى ما اتسرق يمكن أى ورق تانى يتسرق فجيتلك أسألك وطمن نفسى أن ورثى وورثك وورث عيالنا متسرقش منه حاجة..

أنبت أم بدر ضُرتها على سُوء ظنها وأكدت لها عدم إساءتها لزوجها أو لها فى يوم من الأيام ثم انصرفت أمال على وعد بلقاء آخر..

وبعد عدة أيام ذهبت أمال إلى أطراف القرية وحلت ضيفة على أهل أحد المنازل القديمة وتم الترحيب بها وقامت سيدة المنزل بتقديم فنجان من القهوة لها وقالت لها: اتفضلى..

تناولت أمال الفنجان، ورشفت منه رشفة فظهر على وجهها الامتعاض وهى وتقول: دية مُرة قوى أنا مش هاقدر أشربها وأنا كمان مبحبش القهوة..

ضحكت السيدة مُشجعة لها: لازم القهوة تكون سادة وبعدين ده هُما شفطتين ثلاثة.. اشربى كأنك بتخدى دوا، وخلى نَّفَسَكْ جوة الفنجان وحُطى على الفنجان أى فلوس تطلع منك..

أكملت أمال رشف ما تبقى بالفنجان ووضعته وعليه خمسة جنيهات..

تناولته السيدة الأخرى ورفعت الفنجان مقلوبًا على طبقه، وبدأت برجه مرة بعد أخرى ثم قامت بوضعه على المنضدة وقالت للضيفة: خمس دقائق كدة وهاقرالك الفنجان..

مر الوقت بطيئًا يخترقه الصمت إلى أن تناولت الفنجان قارئته وتفرست بداخله مليًا بإمعان وقالت: شوفى يا أختى فنجانك معظمه متكاثف..

قاطعتها أمال قائلة: معلش يا أم أدهم يعنى أيه متكاثف..

لم تنظر إليها أم أدهم وأكملت: الفنجان فيه أربع نواحى فوق وتحت ويمين وشمال، فيه نواحى بتبقى رايقة ونواحى متكاثفة يعنى تقيلة، وكل حاجة بتظهر فى ناحية بيكون لها معنى، ولو سمحتى متقطعنيش تانى وأنا هفهمك كل حاجة لما أخلص قراية ثم استطردت وكأنها تُحدث نفسها: الفنجان من فوق فيه فار وحوليه سحاب، وقعر الفنجان فيه عقرب ودققت نظرها بالفنجان وقالت: فيه حرف كمان بس مش باين قوى ممكن يكون د أو ب ثم وضعت الفنجان ونظرت لصاحبة الطالع قائلة لها: أنت حصل عندك سرقة، والحاجات اللى اتسرقت منك مش هتعرفى تلاقيها، وحواليك حقد مالى بيتك، وشايفة راجل شكله مفترى..

أمال: قوليلى هو أيه اللى اتسرق؟ ومين اللى سرقه؟ ومين الراجل ده؟!!!

أم أدهم: أنا مش عارفة أحدد ملامح الراجل ده، وبالنسبة للحاجات اللى اتسرقت من عندك أنا مقدرش أشوف مين اللى سرقها.. أبقى تعالى مرة تانية ونشوف فنجانك تانى يمكن يبان فيه المستخبى..

استأذنت صاحبة الطالع فى الرحيل، وقامت منصرفة على وعد بزيارة قارئة الفنجان مرة أخرى، وقابلت أُختها بالطريق ورحبت بها قائلة: دُنيا يا أُختى أزيك وازى جوزك وعيالك.. كويس إنى قابلتك.. أنا

عايزاك فى موضوع مهم وذهبا إلى منزل أمال وأعدت دُنيا الشاى لهما وتبادلتا أطراف الحديث وقصت أمال لأختها عن تجربتها مع قارئة الفنجان..

دُنيا باستنكار: أنت مصدقة قراية الفنجان..

- أنا ولا مصدقة ولا مكذبة.. بس الحاجة أم أدهم لما شافت لى الفنجان قالتلى على حاجات أنا حاسة أنها حقيقية وأنا مكدبش عليك من ساعة الحاج سعيد ما مات وأنا مش مصدقة موته.. الراجل كان زى الحصان وبعد ما زاره ابنه بدر وحالته اتدهورت ومرض وبعد كدة مات.. وأناعايزة اعرف أيه اللى حصل من ساعتها؟
- يعنى أنت شكة في أيه بالتحديد؟ جوزك مرض وراح المستشفى ومات أيه اللى غريب فى كدة؟!
- ما أنا حكيتلك موضوع الورق اللى رجعتوا أم بدر لعيلة اخو جوزى.. هوا الموضوع ده اللى خلانى شكة سعيد

الله يرحمه كان شايل أوراقه هنا فى البيت.. يبقى الورق ده وصلهم إزاي؟

- أنا هريحك يا أختى.. أنت عارفة فهيمة اللى دارها فى آخر البلد!!

أمال: بسمع عنها.. مالها؟

- أنت عارفة جوزى وبخُله عليّ وعلى عياله وعيشتى اللى بقت تتطهق.. رُحت لها وهى خلتهولى زى الخاتم فى

صباعى وباخد منه الفلوس اللى تكفينى وزيادة..

- وديه تقدر تعمل أيه؟
- ديه تعمل كتير قوى.. دية معاها ملك بيقول لها على كل حاجة وبيعمل لها كل اللى بتُطلبه منه..
- ياريت تخدينى عندها..

صاحبت أمال أختها دُنيا وتوجها إلى آخر البلدة لزيارة الحاجة فهيمة، ودلفا لداخل دار ريفية بسيطة متسعة ورحبت بهما صاحبة الدار: أهلًا وسهلًا.. اتفضلوا..

دُنيا: أزيك يا حاجة فهيمة عاملة أيه؟

فهيمة: جوزك عامل أيه معاك؟

دُنيا: من ساعتها وهو بقى إنسان تانى وبيعمل كل اللى أنا عايزاه..

نظرت فهيمة إلى أمال بثبات قائلة: وأنت يا أختى معرفتيش أيه اللى اتسرق منك؟

احتدت أمال على دُنيا قائلة: أنت مبيتبلش فى بُقك فولة.. مبتقدريش تخبى حاجة..

دُنيا باستعطاف: والله يا أختى ما قُلتلها حاجة..

قاطعتهما فهيمة موجهة حديثها لأمال: اطمنى.. أختك دُنيا مقالتليش أى حاجة.. أنا عارفة عنك كل حاجة..

تدخلت دُنيا فى الحديث قائلة لفهيمة: أنا يا أختى عايزة أحكيلك حاجة كدة بس والله أنا ما ليّ ذنب هىّ أختى اللى اتصرفت بمزاجها.. هى راحت عند واحدة اسمها أم أدهم وقالتلها على حاجات كدة بس أنا قلت لها متصدقهاش.

فهيمة: مش مشكلة يا دُنيا ما هى مكنتش عرفانى.. المهم احكيلى بقى حكاية أم أدهم دية..

دُنيا: صاحبة الشأن موجودة تحكيلك هى بقى براحتها..

وجهت فهيمة حديثها لأمال وشجعتها على الكلام قائلة: احكيلى يا أختى ومتخافيش وإن شاء الله أنا هقف جنبك وهتكون الأمور أحسن بكتير..

بدأت أمال بقص كل ما مرت به من وقت وفاة زوجها إلى وقتها هذا..

جلست فهيمة تسمع بإنصات لأمال وهى تقص على مسامعها كل ما مرت به حتى انتهت من حديثها فبادرتها فهيمة بالقول: أنا عايزة صورة لجوزك وابنه بدر وعايزة حاجة من أتر ضُرتك..

ثم قالت لهما بطريقة جافة: شرفتونا وأنستونا فقاما بالانصراف..

عادت أمال ودُنيا إلى منزل دُنيا، وظلت أمال مكفهرة الوجه شاردة الوجدان فقالت لها دُنيا: مالك يا أختى زعلانة ليه؟ ما أنت كنت كويسة وحياتك ماشية.. أنا مش عارفة أيه اللى خلاك تفكرى فى اللى حصل قبل كدة؟ ما هو اللى حصل حصل وأنت اللى حبة تقلبى المواجع..

تعصبت أمال واحتدت على أختها: عايزانى أقعد أتفرج وأناعارفة أن فيه ورق اتسرق من بيتى، ولا عايزانى أبقى زيك.. سلبية..

دُنيا بغضب: سلبية فى أيه؟ أنت هطلعى غُلبك عليَ ولا أيه؟

- أنا مش قصدى بس أعصابى تعبانة شوية.. ما إحنا كنا عايشين وكويسين وفجأة كدة الحياة كلها اتقلبت فى لحظة ولقيت نفسى لوحدى فى الدُنيا.. ده لولا بنتى أنا كنت ممكن أعمل فى نفسى حاجة..

وبعدين سنين عشرتى مع جوزى وعمرى اللى راح معاه بيجبرونىّ أنى أدور على حقى وحق بنتى، وبينى وبينك أنا مش هيهدالى بال إلا ما أعرف الحقيقة..

- يا أختى كل شيء نصيب.. افرضى يعنى فهيمة شافت أن كل حاجة كانت طبيعية هتعملى أيه ساعتها؟ هتفضلى تعيطى طول العمر.. أنت لازم تشوفى طلبات بيتك وبنتك وتحافظى على مالك وأرضك اللى ورثتيهم من جوزك..

- المسئولية كبيرة عليَّ، وقلبى مهموم وزى ما أنت قلتى لازم أَمْشَى المركب لوحدى..

- طب هتعملى أيه فى الحاجات اللى طلبتها منك الحاجة فهيمة؟

- أنا عندى صورة لسعيد الله يرحمه وبدر ابنه على الموبايل هروح لأى مصوراتى يطبعهالى بس المشكلة فى أنى أجيب أتر من عند أم بدر..

- ولا مشكلة ولا حاجة أنت تخرجى من عندى دلوقتي تروحى تزوريها وتسلمى عليها وهناك بقى تحاولى تخدى أى حاجة من هدومها حتى لو منديل إيديها..

- عندك حق أنا هروحلها دلوقتي وهابقى اتصل بيك اطمنك، وعشان نشوف هنروح إمتى عند الحاجة فهيمة

خرجت أمال من بيت أختها متجهة نحو منزل أم بدر لتنفيذ مخططها فى سرقة أى أتر لضُرتها واستقبلتها أم بدر بترحاب وود: اتفضلى يا أختى بيتك ومطرحك..

- أنا كنت فايتة من هنا قُلت أعدى عليك..

- أنت تشرفى فى أى وقت... تشربى أيه؟

- ممكن أشرب شاى بس ممكن أدخل الحمام..

- تعالى خُشى ومعلش الدنيا مكركبة أصلى كنت هبدأ غسيل بعد شوية..

دخلت أمال إلى الحمام ورأت حاجيات أم بدر داخل أحد أطباق الغسيل فاقتربت منها وتفحصتها إلى أن وقعت عيناها على قطعة ملابس داخلية خاصة بأم بدر.. فأخذتها وأخفتها بداخل ملابسها ثم غسلت يدها ووجهها بالماء وخرجت من الحمام وناولتها أم بدر منشفة لتجفف المياه من على وجهها وجلسا معًا يرتشفان الشاى ثم رحلت أمال عائدة إلى منزل أختها دُنيـا وقد ظفرت بأثر ضُرتها..

رحبت بها دُنيا قائلة: عملتى أيه؟ سبع ولا ضبع؟

- أنت عارفة أختك.. هو أنا صغيرة.. أنا جبت أتر أم بدر، وأخرجت قطعة الملابس الداخلية رافعة إياها بين يديها ضاحكة، ومش أى أتر.. ده أتر من الحتة الحساسة قوى..

بادلتها أختها الضحك وقالت لها: طب أنا هاقوم أغير هدومى عشان نروح عند الحاجة فهيمة..

خرجت دُنيا وأختها قاصدين منزل الحاجة فهيمة لإعطائها الأتر الخاص بأم بدر..

رحبت بهما الحاجة فهيمة: أهلًا وسهلًا أيه النور اللى هل علينا ده، اتفضلوا..

دلفا إلى داخل المنزل وجلسا فبادرتهما الحاجة فهيمة بالقول: أيه أخباركم أناعارفة أنكم كويسين؟ بس يا دُنيا أختك ميتخفش عليها.. يدوبك أنا طلبت منها أتر ضُرتها ومكَدّبتشِ خبر وجابته على طول، وضحكت ضحكة ماجنة قائلة: وأيه.. أتر جامد قوى..

تجمدت أمال ودُنيا مكانهما وحدثت أمال الحاجة فهيمة برعب: هو أنت عرفت منين إنى جبت الأتر ده؟

قالت فهيمة بلهجة جادة وبصوت عميق مؤثر وهى تنظر فى عينياها: مش عيب.. ده أنا الحاجة، وعمومًا أنا هأقولك عرفت منين: أنا يا أختى معاي ملك من المدينة المنورة بيورينى كل حاجة بتحصل، وبيخلينى أشوف كمان اللى هيحصل بكرة، وأوعى تفتكرى إنى ملبوسة أو عندى صرع.. ده حاجة ربانى

- متأخذنيش يا حاجة يعنى أنت مخاوية؟

الحاجة فهيمة: لأ.. أنا مش مخاوية.. الموضوع كله إنى أنا وأهلى كنا عايشين فى البلد وكان عندنا فرن بلدى ماما بتخبز فيه، وكان مكان الفرنة دية فى ركن الدار جنب الزريبة، وفى يوم قبل الفجرية كنت داخلة الحمام فسمعت صوت ناحية الفرن قربت من الفرن من بعيد فشفت فار كبير جرى نحيتى.. اتخضيت قوى ووقعت جوة الزريبة مُغمى عليّ، ومن ساعتها وأنا بشوف الملك ده ثم نظرت مبتسمة إلى أمال وقالت: اطمنتى..

أمال بحرج: لأ أنا مش قصدى بس هو فضول..

تدخلت دُنيا فى الكلام موجهة حديثها لأمال: طلعى الأتر أديه للحاجة عشان نشوف الدنيا فيها أيه؟

أخرجت أمال الأثر وأعطته للحاجة.. ونظرت فيه الحاجة مطولًا ثم ركنته على طرف الكنبة التى يجلسون عليها وقامت بإحضار مفتاحًا نحاسيًا من مفاتيح دواليب الملابس القديمة يزيد طوله عن

العشرين سنيتمتر ويُشبه مفتاح النيل الفرعونى ثم أحضرت مُصحفًا وربطته من وسطه بالطول والعرض بأستك ملابس، وربطت طرف هذا الأستك بأسفل المفتاح التى أحضرته ووضعت المُصحف مربوطًا بالمفتاح على منضدة قريبة، ورفعت المفتاح من أعلاه من مكان مسكه، وطلبت من أمال أن تسند بإصبع السبابة طرف أعلى المفتاح معها فأصبح المفتاح مرفوعًا من ناحية بأصبع أمال ومن الناحية الأخرى بأصبع الحاجة فهيمة ليصبح المصحف حرًا فى الهواء متدليًا بهذا الأستك المربوط فى المفتاح ثم تمتمت الحاجة فهيمة بتمتمات غير مفهومة إلى أن قالت: لو أم بدر ضُرةِ أمال سرقت حاجة من بيت أمال لف ناحية اليمين وإذا كانت مسرقتش لف ناحية الشمال فلف المصحف ناحية الشمال فقالت مرة أخرى: لو فيه حد سرق حاجة من بيت أمال لف ناحية اليمين و إذا متسرقش حاجة لف ناحية الشمال فلف المصحف ناحية اليمين فطلبت من أمال وضع المصحف برفق على المنضدة..

تنهدت فهيمة بعمق وتنفست الصعداء وقالت لأمال: ضُرتك مسرقتش حاجة من بيتك.. بس حصل عندك سرقة فقاطعتها دُنيا قائلة بعفوية: كدة تمام يبقى كلام أم أدهم صح..

رمقتها الحاجة فهيمة بحدة وقالت بغضب: ما دام أم أدهم كلامها صح جيتولى أنا ليه؟ يلا اتفضلوا روحولها وخلوها تجيبلكم السارق..

حاولت أمال تصحيح فعل أختها: متزعليش يا حاجة من دُنيا أنت عرفاها مدب، واللى فى قلبها على لسانها.. دية هىّ اللى خلتنى أجيلك.. أنت متعرفيش هى بتشْكر فيك إزاي؟ ده أنت الخير والبركة..

ردت فهيمة باقتضاب: ما أنا عارفة.. المهم دلوقت أنا عايزة أجى معاكم عند الست دية اللى اسمها أم أدهم عشان أشوف مين اللى عليها وأشوف إذا كان ينفع نشتغل أنا وهى مع بعض ولا لأ.. فشوفوا أتنو هتروحوا إمتى وقولولى قبلها، وبخصوص السرقة اللى حصلت عندك يا أمال متشليش هم.. أنا هقولك مين اللى سرقك؟ وهجيبهولك لحد عندك زاحف على رُكُبه..

استأذنت دُنيا وأختها وانصرفا على وعد بمقابلة الحاجة فهيمة عند أم أدهم فى أقرب فرصة.

دبت الحماسة فى نفس دُنيا لتلهفها لرؤية لقاء الحاجة فهيمة مع أم أدهم وكان شُغلها الشاغل كلما زارت أختها أمال هو الحديث عن علم الحاجة فهيمة بالخفايا وأسرار النفوس، وحضورها الطاغى الذى تتمتع به فيتأثر به كل من يجلس معها، وكانت أمال تسمعها مشغولة الخاطر غافلة عما حولها وبكت عندما تذكرت سنوات عمرها التى عاشتها مع زوجها، وكيف كانت أهداب عينيها ترقُص لرؤية وجهه كل يوم، وكيف كانا يسيران معًا فى الحياة جنبًا إلى جنب يساند كل منهما الآخر..

وازداد نَحيبها عندما شعرت بأن الحياة أخذتها على حين غُرة فخبا مدادها بفراقه..

إنه لم يكن لها مجرد رجل بل كان سماءها التى تستظل بظلها، وحينها بكت دُنيا متأثرة بوجل لرؤيتها أختها مهمومة حزينة وحاولت أن تواسيها.. ولكن هيهات.. لقد اختنق صوت أختها وأصبحت تتنفس بصعوبة فهرولت دُنيا لعمل كوب ماء بالسكر وظلت تُدلك صدر أختها حتى استافقت وهدأت نفسها.. فعاتبتها دُنيا على ما تفعله بنفسها قائلة: يا أختى ده لو كل واحدة جوزها مات عملت زيك كانت الحياة انتهت.. أنت بتعملى فى نفسك كدة ليه؟ وأنت لما يحصلك حاجة بنتك دية هتعمل أيه من غيرك؟ حرام عليك نفسك..

تكلمت أمال بصوت ذلك العذاب الذى أوهنها: غصب عنى يا أختى أنا مكنليش غيره.. ده ساعات بأسمع صوته بينادينى..

- وحدى الله ومتقوليش كدة ربنا استرد وديعته، وربنا إن شاء الله هيكرمه ويدخله الجنة..
- ونعم بالله بس أنا مش هرتاح إلا ما أعرف أيه اللى حصل هنا فى بيتى؟ والسرقة اللى قالتلى عليها أم أدهم دية حصلت إزاي؟ ده مفيش باب ولا شباك اتكسر يبقى اتسرقنا إزاي..
- متستعجليش كلها كام ساعة وأدينا هنروح النهاردة ناخد الحاجة فهيمة ونعرفها بأم أدهم، وأكيد هما الاثنين هيقولولنا أيه اللى حصل؟

مرت الساعات طويلة إلى أن سمعت الأختان آذان المغرب فاستعدا لمغادرة المنزل للذهاب إلى منزل الحاجة فهيمة واصطحابها معهما إلى منزل أم أدهم، والتى قابلتهم بالترحاب..

ام أدهم: شرفتونا وأنستونا يا ترى أعمل قهوة ولا تشربوا أيه؟

ردت دُنيا وهى مبتسمة: أنا وأختى هنشرب أى حاجة غير القهوة والحاجة فهيمة هتشرب فنجان القهوة بتاعك اللى هتقريهولها..

قدمت أم أدهم لكل ضيفة مشروبها التى قامت بإعداده وطلبت من الحاجة فهيمة أن تشربه بنية خالصة وإن تجعل تنفسها داخل الفنجان، وأن ترتشفه رشفة تلو الأخرى بهدوء فلبت الحاجة فهيمة طلبها ثم أعطتها الفنجان بعد انتهائها من رشفة..

قلبت أم أدهم الفنجان على طبقه ورفعته ورجته وتركته قليلًا ثم أمسكت به مرة أخرى ورفعته لمستوى عينيها ونظرت بداخله وعقدت حاجبيها فى دهشة ونظرت إلى الحاجة فهيمة وقالت: مش معقولة!!

قالت الأختان دُنيا وأمال فى نفس واحد وبفضولٍ قاتل: شايفة أيه؟

- أول مرة فى حياتى حد يشرب عندى فنجان بن، والبن ميبقاش على جوانب الفنجان.. البن كله راكد فى القعر والفنجان نظيف كأن اللى كان فيه شاى ثم نظرت بتوجس إلى الحاجة فهيمة قائلة لها: أنا مش مرتاحة من ساعة ما جيتى عندى أنت أيه؟ وأيه اللى جابك عندى؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

ابتسمت الحاجة فهيمة ابتسامة المنتصر فى المعركة وقالت: أنت بتقوليلى أنا .. أنت ايه؟

بس عندك حق.. أنا اللى معرفتكيش بنفسى، وقامت بمسك كوب الماء وسكبته على بلاط الغرفة وقامت برش قليلًا من بودرة بيضاء كانت تحملها على الماء فاشتعل الماء نارًا..

تراجعت دُنيا وأمال إلى الوراء ممسكتان ببعضهما البعض، ووقفت أم أدهم مبهوتة فاتحة الفاه مما تشاهده فقالت لها الحاجة فهيمة: أيه.. أنت مش ست قادرة وبتعرفى تقرى الفنجان وطالع الناس، وليك فى المواضيع دية.. طب ما تطفى النار، ولا أقولك قولى للى معاك أيه اللى حصل دلوقتي؟

- أنت جاية فى بيتى عشان تهزئينى؟ وأيه حكاية اللى معايا دية؟ ثم نظرت إلى دُنيا وأمال قائلة لهما بحدة: أنتوا حكيتولها عنى أيه بالضَّبط؟

تكلمت الحاجة فهيمة قاطعة الصمت الذى ران على جميع الحضور: أناعارفة يا أم أدهم كل حاجة عنك ومتسألنيش عرفت منين عشان أنا مينفعش اتسأل؟

وعارفة زى ما أنت عارفة أنك حاولتى تسيطرى على عقلى لما جيت عندك.. بس مقدرتيش عارفة ليه؟

عشان أنا اللى معايا ملك، واللى معاك قرين.. وأنا هقضيلك عليه عشان متفكريش تشتغلى فى البلد اللى أنا فيها تانى إلا لما تستأذنى منى ثم وجهت حديثها إلى دُنيا وأمال قائلة: متخفوش.. أم أدهم دية ست طيبة بس كل الحكاية أن معاها قرين خايب حبتين يدوبك يعرفها مين اللى جى عندها وظروفه أيه وهىّ عليها الباقى ثم قامت واتجهت إلى باب الشقة قائلة لهما: يلا بينا بقى كفاية كدة هنروح عندى، وأنا هريحكم وأقولكم على كل حاجة أنا عارفة أنكم قلقانين..

ونظرت إلى أم أدهم قائلة بتهكم: النار اللى أنت شفتيها دية مش سحر ولا حاجة.. اصلك مش حمل سحر.. ده حاجة اسمها صوديوم لما بييجى على المية بيولع.. ثم ضحكت وانصرفت هى ودًنيا وأمال..

وجلسا بمنزل الحاجة فهيمة والتى بادرتهم بالقول: أنا عارفة أنكم خايفين من اللى حصل بس أنا كان لازم أعمل كدة وده عشانكم أنتوا وغيركم لأن أم أدهم دية واللى زيها هتبوظ سمعتنا وعشان أطمنكم الست دية كل اللى معاها قرين بس اضعف من الملك اللى معايا واللى قدر يسيطر عليه ويحبسه.. عشان كدة هىّ مقدرتش تتكلم..

دُنيا: بس هىّ قالتلى قبل كدة حاجات حصلتلى، وأنا مكنتش حكياها لحد، وقالت لأختى أنها اتسرقت وانت يا حاجة اكدتى الموضوع ده..

ضحكت فهيمة وقالت: أنا هفهمك الحكاية كلها.. أم أدهم دية اتعلمت قراية الفنجان من أمها.. بس هى مش فاهمة فيه حاجة لأنه علم كبير.. المهم.. القرين هو اللى كان بيقولها تفاصيل عن اللى بيجى يزورها، وهىّ كانت بتسمع القرين ده بيقولها أيه وتاخد الكلام ده وتشوفه هيمشى على شكل أيه فى الفنجان.. يعنى القرين جالها قالها أن فى سرقة حصلت فى بيتك فهى تشوف السرقة دية بيترمز لها بأيه فى الفنجان وتقولك اللى يمشى مع السرقة.. وهى طبعًا قالتلك إنها شايفة فار..

رددت أمال بانبهار وبتصديق تام: فعلًا يا حاجة كلامك صح قالتلى إنها شايفة فار..

وأكملت دُنيا: وشافت عقرب كمان..

ضحكت الحاجة فهيمة بثقة قائلة: عقرب ده بالتحديد يؤكد أنها كدابة لأن العقرب يُعبر عن الحقد والعداوة وأى حد مننا ممكن يكون حواليه ناس حاقدة وحسودة ومش كويسة فنظرت دُنيا وأمال إلى بعضهما البعض ولسان حالهما يُنبىء بعدم التصديق، فِاِسْتَطْرَدَت الحاجة فهيمة فى القول.. حكاية أم أدهم متفرقش كتير عن قراية الكوتشينة والكف وأى ست عرافة بتضرب الودع والرمل..

الناس دية يا حبايبى أذكياء جدًا وبيملكوا فراسة جامدة قوى.. والعرافة من دول تُبص فى وشك وتحاول معرفة حالك منه.. فمثلًا: الست اللى بتحب بيبان عليها.. وإحنا ستات وفاهمين الكلام ده كويس.. والست اللى جوزها مطهقها فى عيشتها بتبقى حزينة على حالها وبرضه بيبان عليها البؤس.. وهنا بقى العرافة تقولك الكلام اللى على هواك واللى أنت نفسك تسمعيه أو ممكن تقولك كلام يمشى مع كل الناس..

مثلًا: أنت واحدة طيبة وقلبك أبيض وبتحبى الخير لكل الناس وحواليك ناس بيحقدوا عليك وبيتمنولك الشر أو تقولك أنت عندك حد غايب عنك المهم أنها بتحاول تجيب الفكر اللى فى ضميرك.. وتقولك أنت هتنولى غرضك ومرادك وهتنتصرى على العوازل..

يا جماعة أنا مش زى أم أدهم اللى بتاخد فلوس من الناس.. أنا باخدم الناس عشان الملك اللى معايا قايللى أنى لازم أساعدهم وأنتوا جيتوا قصدتونى وأنا مش هخذلكم..

قاطعتها دُنيا: معلش يا حاجة.. أختى أمال تعبانة قوى ومبتنمش الليل وحالتها بقت صعبة، وأنا خايفة عليها

فهيمة: طول ما أنا جنبها متقلقيش عليها.. وأنا يا ستى هريحهالك دلوقت..

قامت فهيمة بإحضار طبق كبير من النحاس وإناء به مادة حمراء..

ثم أحضرت ريشة دُجاجة ووضعتها بالمادة الحمراء ورسمت على قاع الطبق مثلثًا وكتبت على أطرافه بعض الرموز والحروف والأرقام وأحضرت بيضة وفصلت بياضها عن صفارها ووضعت البياض بالطبق وقالت: أجيبونى وتوكلوا يا خدام هذه الأسماء وأتونى بالسرقة التى سُرقت من بيت أمال بنت فريدة، ثم بخرت الطبق ببخور كثيف ذي رائحة نفاذة وقامت بتغطية الطبق بقماشة بيضاء وأمسكته بين يديها مرددة تمتمات خافتة لا تُسمع وأغمضت عينياها وظلت ممسكة بالطبق لفترة طويلة..

رفرف الصمت بجناحى الخوف والترقب فوق أمال وأختها فحولهما إلى طفلتين جائعتين ينتظران إطعام أمهما لهما وفى هذه الأثناء اهتز الطبق الذى تُمسك به الحاجة فهيمة اهتزازًا عظيمًا مُخيفًا، وسمع الجميع صوت أجراس هادئة فتركته الحاجة فهيمة وقالت: اسكت أيها المولود واجلب حاجة المسروق ثم أحضرت ثلاث ورقات ووضعت بكل ورقة ثلاث فلفلات وثلاث ملحات وأحرقتهم وقالت: اخضع.. اخضع.. اخضع.. ثم رشت رماد الورق المحروق على قطعة القماش التى تُغطى الطبق النحاسى، و أشارت إلى أمال قائلة بثبات: ارفعى القماش..

نظرت أمال لدُنيا ولم تتحرك وكأنها تحولت لصنم..

قالت لها فهيمة بصوت عميق وهى تضغط على حروف كلماتها: ارفعى القماشة من على الطبق وإلا هتأذينا كلنا وبيد مُرتعشة خائفة رفعت أمال القماشة من على الطبق.. فظهر ورق مطوي داخل كيس بلاستيكى..

قالت فهيمة لأمال بغضب: مدى أيدك وخدى الورق وافتحيه..

أخرجت أمال الورق من الطبق النحاسى وأزالت عنه الكيس البلاستيكى فاتسعت حدقة عينياها وفتحت فاهها..

قالت لها دُنيا: أيه ده يا أختى؟

ردت عليها فهيمة: ده اللى اتسرق من بيتها..

دُنيا: ده شوية ورق أنا كنت فاكرة أن اللى اتسرق دهب ولا فلوس..

أمال: الورق ده أغلى من الفلوس.. ده ورق الأرض اللى جاتلى ضُرتى عشان تخلينى أوافق أن إحنا نرجعه لولاد أخو جوزى وأنا وافقت وقلت نرجعهُلهم عشان الراجل يرتاح فى تُربته بس ما دام الورق ده كان مسروق من بيتى يبقى هما اللى سرقوه، وما دام سرقوه يبقى مش هيشوفوه تانى ولا هما ولا غيرهم..

تنهدت دُنيا قائلة: الحمد لله.. كدة الحق رجع لصحابه.. ثم نظرت إلى الحاجة فهيمة وقالت: بس أنتى يا حاجة سرك باتع قُلت هتجيبى السرقة وجبتيها.. إحنا متشكرين قوى.. شوفى بقى طلباتك أيه؟

فهيمة: كدة أنا أزعل منك أنا مش عايزة أى فلوس ده أنتوا أخواتى أنا عايزة حاجة واحدة..

ردت أمال وأختها فى نفس واحد.. أُؤمُــرى..

فهيمة: أنا كدة عملت معاكو جميلة أنا عايزاكو تُردوهالى أما أنا أطلبها..

همت أمال بالرحيل وقالت: فى أى وقت محتاجة رد الجميلة دية إحنا هنكون جاهزين، و أشارت إلى دُنيا قائلة: يلا بينا ده إحنا طَولنا قوى عند الحاجة.. قاطعتها الحاجة مبتسمة: هو أنتو مش عايزين تعرفوا مين اللى سرق الورق ده؟

تسمرت الأختان مكانهما وجلسا مرة أخرى، وقالت أمال: أيوة يا حاجة عندك حق ده أنا كنت ناسية خالص.. إحنا لازم نعرف مين اللى سرق الورق ده، وسرقه إزاي وليه؟؟!!

قامت فهيمة بإعداد مشروب لثلاثتهما ووضعته على المنضدة ثم قامت بجلب بعض الأبخرة وجلست مع الأختين ترتشف مشروبها بتلذذ وأطلقت بخورًا ذات رائحة عطرة، وقالت لهما: أنتو تقعدوا ساكتين ومتخفوش من أى حاجة و إذا شفتونى باعمل أى حركة محدش يجى جنبى مهما حصل عشان أنا هخلى الملك اللى معاي يجى عشان يعرفنى مين اللى سرق بيتك وأحضرت ورقة بيضاء رسمت عليها مربع بالحروف والأرقام وكتبت داخله بحروف مفرقة سارق متاع أمال بنت فريدة وقامت بإحضار حفنة من الملح ووضعتها فوق الورقة و أشارت إلى جوانب الغرفة وهى تُحرك شفتيها بكلام غير

مسموع فارتفعت حفنة الملح فى الهواء لفترة وجيزة ثم هبط الملح على الورقة مُشكلًا اسم أحد الأشخاص ثم سكن كل شيء فقالت فهيمة: تعالى يا أمال شوفى مين اللى سرقك؟

نظرت أمال إلى الاسم وقالت: أنا مش قُلتلك يا دُنيا.. أدى شكى طلع فى محله..

دُنيا: مين يا أختى؟

أمال: بدر ابن جوزى من مراته الأولانية.. بس إزاي دخل الدار وسرقنا؟

فهيمة: مش مهم يا أمال سرقك إزاي.. أديك عرفت وخلاص..

أمال: بس أنا طالبة منك طلب.. أنا عايزاك تجيبهولى تحت رجلى مذلول طالب الرحمة منى..

فهيمة مبتسمة: بسيطة.. بس مش هينفع أعمل كدة وأنتوا موجودين لأن الموضوع محتاج شوية وقت بس أوعدك إنى أنا أخليه يجيلك يطلب منك السماح، وقامت أمال ودُنيا بالاستئذان وانصرفا..

بعد انصراف الأختين قامت الحاجة فهيمة بإحضار بعض البخور ووضعته بالمبخرة وقالت: اذهب إلى بدر ابن سعيد، وظلت تُرددها كثيرًا إلى أن سمعت صوت خبطة على الأرض فلم تعرها اهتمامًا وقالت: أقسمت عليكم يا خدام هذه الحروف الشريفة بأن تتوكلوا بإرسال خدامكم وأعوانكم فى صورة وهيئة وصفة أمال بنت فريدة إلى بدر بن سعيد واضربوه وعذبوه واقلقوه فلا ينام ولا يرتاح إلا بوقوفه أمامها ذليلًا مُطيعًا يطلب رضاها ويقضى حقها ثم أحضرت بعض التراب ومزجته بالماء وشكلته بشكل ثعبان وكتبت عليه اسم بدر وانتظرت إلى أن سمعت خبطة أقوى من الأولى فقالت: أقسمت عليك أيها الملك الثعبان أن تهتف إلى بدر بن سعيد بالنار والشرار وأن تأتيه عند النور والظلام.. أسرع وعجل ولا تُمهل ثم أشعلت شمعة ووضعتها على الثعبان الذى شكلته بالتراب..

* * *

مرت الأيام ثقيلة على بدر فقد خسر كل شيء وعاد مرة أخرى إلى نفس نقطة عودته من بلده إلى القاهرة وعاد مرة أخرى إلى سكنه باللوكاندة وإلى عمله القديم، وفى أثناء عودته من عمله ذهب إلى الكهف الذى فُتح به الكنز سابقًا، وأشعل شمعة كانت معه وقرب الخاتم الذى بحوزته من نارها وتمنى بأن ينفتح الكنز ولم يرضخ الكنز لرغبته فجلس داخل الكهف على أحد الصخور يائسًا حزينًا نادبًا لحظه العاثر فلفت نظره زجاجة مياه بلاستيكية فارغة مُلقاة على الأرض وبقايا من الخبز الجاف وكيس ملح فارغ وبعض زجاجات زيت الزيتون الفارغة وبقايا أكثر من شمعة منصهرة، وسأل نفسه: هل أصبح هذا الكهف مأوى لأحد المتسولين؟

هب فزعًا وهو ينفث دخان سيجارته فى الهواء فقد رأى شخصًا واقفًا بمدخل الكهف حاملًا كيسًا متوسطًا من القماش ينظر له، وقال له هذا الشخص بمدخل الكهف: أنت مين؟

- أنت مين أيه؟ هو أنا قاعد فى بيتكم..

توجه له هذا الشخص منفعلًا وقال: ما تتكلم كويس.. أنت بتتكلم كدة ليه ثم وقف حائلًا بينه وبين باب الكهف قائلًا له: أنت هتقولى أنت مين وأيه اللى جابك هنا؟ ولا أدفنك مكانك..

ضحك بدر وهو يشير إليه بأصبع السبابة أنت تدفنى أنا .. أنت لولا راجل كبير أنا كنت عرفتك مقامك..

بادله هذا الرجل الضحك ثم صمت فجأة وأشار بيديه نحوه فشعر بدر بشلل كافة أطرافه ولم يستطع التحرك..

قال له الشخص: ما تعرفنى مقامى.. سكت ليه؟ ثم جلس بهدوء على إحدى الصخور وأشعل سيجارة، وعندما انتهى منها أشار إليه مرة أخرى فعاد طبيعيًا كما كان.. ووقف بدر صامتًا خائفًا..

الشخص لبدر: احكى لى بقى حكايتك..

- أنا معنديش حكاية ولا حاجة أنا كنت معدى من هنا وكنت مخنوق شوية فقلت أخش هنا..

ضحك هذا الشخص متهكمًا وقال: أنا بقى هأقولك أنا هنا ليه؟ أنا هنا عشان دية خلوتى وده كهفى.. وأنا هسألك للمرة الأخيرة وبعد كدة متلومش إلا نفسك.. أنت هنا ليه؟

رد عليه بدر منتبهًا: خلوتك.. يعنى أيه خلوتك؟

- ما أنا عشان أحكيلك وأديلك الأمان.. أدينى أنت كمان الأمان واحكى لى..

- طيب أنا لما احكيلك هستفيد أيه؟

- يمكن نبقى أصحاب والناس لبعضيها زى ما أنت عارف..

نظر إليه بدر صامتًا سارحًا مُحدثًا نفسه فيها أيه لما أحكيله؟ هو هيعمل أيه يعنى؟ ما دام هو موجود فى المكان ده ممكن يكون عنده فكرة عن الكنز ويمكن هو اللى خده أو يمكن يقدر يساعدنى فأشعل سيجارته وقال له: أنا هقولك وأحكيلك..

وحكى له بدر باختصار عن كل شيء مر به من ساعة نزوحه من بلده إلى القاهرة، وهذا الشخص يستمع منتبهًا له بكامل حواسه، وعندما انتهى من قص مُجمل الأحداث التى مرت به قال له الشخص: ده أنت زُمل بقى..

بدر مندهشًا: زُمل.. في أيه؟

- أنا اسمى عنتر والمكان ده أنا كنت عامل فيه خُلوة.. بس اللى محيرنى أنك مش عارف الخلوة مع أنك معانا فى الصنعة، واستطرد قائلًا: المهم.. أنا من الآخر كدة دكتور فى صنعتى ومش هاحكى ليك تفاصيل مش هتفيدك بحاجة بس أنا هساعدك وأشوف الكنز ده مش عايز يتفتح ليه بس أنا لي نُصُه ثم قام بفتح الكيس القماش الذى يحمله، وأخرج شيئًا منه يُشبه الحجر الصغير وقام بإشعاله فانتشرت بالمكان رائحة كريهة جدًا وقال: بحق العفريت الملك دهموش وطاعته للملك الطاووس ارفع هذه الصخرة المغلقة للكنز.. بحق شماط ساكن النيران.. أفلقوا الصخور وعذبوا خُدامها واطردوا أعوانهم، وافتحوا كل قفل غليق..

أُقسم عليكم بالأقسام السريانية أن تُسخروا لى خُدام هذه الأسماء وتقضوا حاجتى، وتناول بعض التراب من الأرض وألقاه فى الهواء فتشكل هذا التراب على هيئة كلب أسود فتكلم معه عنتر بكلام غير مفهوم فتحول هذا الكلب إلى كائن بشع الخُلقة وحمل صخرة ضخمة جدًا وتوجه نحو أحد جدران الكهف ثم تحول إلى كائن هُلامى وقذف الصخرة باتجاه الجدار وارتدت له الصخرة مرة أخرى..

كرر هذا الكائن الأمر مراتٍ ومرات، ولم تنفلق الصخور فتوجه إلى عنتر مرة أخرى وتكلما كلامًا غير مفهوم ثم اختفى مرة أخرى..

سأل عنتر بدر: هو أنت قُلت لى اسم البنت اللى كنت مصاحبها أيه؟

- ماريا

ارتج الكهف بقوة وتوجه عنتر بسرعة نحو بدر ممسكًا بيده مهرولًا به نحو مخرج الكهف وخرجا لاهثين نحو الطريق هاربان من انهيار بعض الصخور، والتى أغلقت مدخل الكهف بانهيارها وعندها استأذن بدر لكى يرحل ولكن عنتر أصر على دعوته لبيته وتوجها معًا إلى مكان مُكتظ بالمقابر المنتشرة حول جبل ضخم ذي نتوءات بارزة أسفله منحوتة بداخلها بعض من هذه المقابر وسارا داخل طُرقات تلك المقابر..

- هو إحنا أيه اللى جايبنا التُرب؟

أشار عنتر إلى إحدى المقابر المنحوتة فى الجبل وأمسك بيد بدر ودخلا إلى هذه المقبرة وقال: ما هو ده بيتى هو فيه أحلى من كدة.. هدوء وراحة وخصوصية.. ومحدش يقولك مين اللى جيلك؟ ولا الدوشة دية ليه؟ يعنى بمعنى أدق عايش ملك، وكمان لو احتجت أى حاجة من أى تُربة بعرف أجيبها بسهولة.. اتفضل عقبال ما أعمل الشاى..

جلس بدر متفحصًا المكان.. مقبرة متسعة بها بعض الأثاث الخشبى القديم.. حيوانات محنطة موضوعة هنا وهناك.. مكان غامض مخيف ذي رائحة غير محببة للنفس..

عاد عنتر ووضع كوبين من الشاى على منضدة جانبية مصنوعة من الطوب شبيهة بالحجر الكبير وقال: اشرب الشاى كدة ومخمخ، واحكيلى حكايتك من ساعة ما رُحت سكنت مع صحبك..

بدأ بدر بقص الأحداث بتُؤدة وتَأَنٍ مع إخفاء كثير من التفاصيل ثم استأذن فى الرحيل..

- أنت رايح فين؟
- رايح على اللوكاندة عشان أشوف حالى وأروح على شُغلى بعد كدة، وكمان أنا عندى كلية الصبح..
- لأ أنت هتروح على اللوكاندة وهتجيب هدومك وترجع على هنا عشان تقعد معاي..
- مش هينفع.. أنا عندى شغل وكلية.. وكمان مش هاقدر أقعد هنا وبعدين أنت عايزنى أقعد معاك ليه؟ ما أنا هابقى أعدى عليك من وقت للتانى يمكن تلاقيلنا طريقة نفتح بيها الكنز..
- أنت مش قُلتلى أنك ورثت فلوس من أمك.. يعنى مش هتحتاج الشغل فى حاجة، وكدة كدة بعد ما تتخرج وتاخد شهادتك من الكلية مش هتعمل بيها حاجة.. خلاص تعال عيش معايا، وأنا معايا فلوس كتير وفى نفس الوقت نشوف طريقة نفتح بيها الكنز بتاعك، ويمكن تتعلم منى حاجة تنفعك بعد كدة..

لم يُبد بدر أى اعتراض وقال: يمكن أكون تقيل عليك..

- متقولش كدة أنت تآنس وتنور..

رحل بدر واحضر حاجياته من اللوكاندة وعاد مرة أخرى إلى المقابر للسكن مع عنتر الذى رحب به وأخبره بأن عليهم البدء فى تفسير كل ما حدث له..

عنتر: ورينى التمثال اللى كان ذهب وبقى حجر..

أخرج بدر التمثال من شنطة ملابسه وناوله لعنتر..

تفحصه عنتر جيدًا قائلًا: اخلع بقى الخاتم اللى فى أيديك ده عشان أشوفه.. فخلعه وناوله إياه ووضع عنتر التمثال والخاتم داخل أنية فخارية ثم كتب حروفًا وأرقامًا على يد بدر ثم تناول علبة خشبية مكتوب عليها صندل وأخذ منه القليل ووضعه على الفحم المشتعل بالمبخرة التى بجانبه وتمتم تمتمات غريبة.. ثم تناول الخاتم من الآنية الفخارية وقام بلحسه وأعاده مرة أخرى إلى الآنية الفخارية مرة أخرى، مع إطلاق البخور بكثافة وظل يُتمتم حتى انصرع بدر ووقع على الأرض فتحرك عنتر إلى جانب المقبرة التى يعيش بها، وأزاح ستارة فظهر تحتها سلم باطن المقبرة فنزل إلى الأسفل وأشعل الشموع وأطلق البخور ثم قال: أقسمت عليكم يا أهل المعاصى والفجور أقسمت عليكم يا جماعة العفاريت والأبالسة المتمردين بحق سيدروش وسلكموش.. أجيبوا بحق هذه الأسماء وطاعتها عليكم وإلا تكونوا لآدم من الطائعين الساجدين ثم خرج من المقبرة صاعدًا إلى أعلى، وتمتم مرة أخرى فاستفاق بدر فقام عنتر بإحضار إناء واسع وصب بداخله مياه وقال: انزل يا خادم هذا اليوم فاهتز الإناء وتلاطم الماء داخله وأصبح يغلى ويفور، وطلب من بدر النظر داخل الإناء وأخبره بما يراه..

نظر بدر إلى الإناء ثم أخبر عنتر بما يراه فقال: الزجاجة أصبحت مظلمة جدًا، وأرى بداخلها خيالًا واقفًا يُشبه الثعبان، وهب محاولًا الابتعاد عن الإناء وسقط على الأرض وفى أثناء سقوطه اصطدمت يده بالإناء فوقع مكسورًا واندفع نحوه عنتر وساعده على الوقوف قائلًا له: أيه اللى حصل؟

رد عليه بدر بوجل حاد وبصوت مرتجف: لقد حاول الثعبان الخروج من الإناء والانقضاض علىّ.. فخفت ووقعت كما رأيتنى..

- الموضوع أكبر بكتير مما توقعت.. اهدى كدة وريح وأنا نازل تحت أعمل حاجة وطالع تانى..
- تحت فين؟!

عنتر بابتسامة هادئة: متقلقشى وأنا جنبك..

نزل عنتر إلى باطن مقبرته مرة أخرى وأحضر ملحًا ورشه وقال: بحق إبليس خذوا قلب الثعبان الذى ظهر فى قصرى وزلزلوا الأماكن وشققوا السقوف والحيطان وأخرجوا عمالقة الشياطين ليحضروا هذا الثعبان أمامى أقسمت عليك يا عامل وأنت يا قاهل وأنت يا راهل.. جلبتكم وسحرتكم وزجرتكم أن تأتونى طائعين خاضعين ذليلين ثم صعد مرة أخرى إلى بدر وقال له: أنا خارج أجيب طفل من أطفال سكان القبور ولا أريدك أن تتفوه بأى كلام وأن تسكت عما ستراه ثم انصرف إلى الخارج..

عاد عنتر ومعه أحد الصبية الصغار، وأجلس الصبى على الأرض ثم أحضر قلمًا ومرآة وكتب خلفها طقطقوش مهرقوش وقال: اظهروا يا ملوك الكشف.. وطلب من الصبى النظر فى المرآة وعدم التكلم إلا بعد انعدم رؤيتة للأشياء الظاهرة فى المرآة، وبعد لحظات قال الغلام: لقد رأيت شخصًا لونه أزرق ولحيته تميل إلى الحمرة وشخصًا آخر أبيض ذا لحية بيضاء يمسكان بقوة ثعبانا ضخمًا ثم اختفى كل شيء، وعادت المرآة كما كانت..

أعطى عنتر الصبى بعض النقود وأمره بالانصراف ثم وجه كلامه إلى بدر قائلًا: تقريبًا أنا عملت حاجات كتير عشان أتأكد من اللى أنت حكيتهولى، وبالرغم أنى مشفتش حاجة بس أنا حاسس أن كلامك صحيح بس الغريب أنى مش قادر أشوف البنت دية اللى أنت حكيتلى عنها.. حتى لما اتكلمت مع قرينك معرفتش أوصل لحاجة عشان كدة فيه هنا مكان فى الجبل محدش يعرفه غيرى.. أنا هروح أقعد فيه عشان أعمل خلوة معينة بعدها هقدر أشوف كل حاجة..

بدر: أنت هتسيبنى قاعد هنا لوحدى.. طب خليتنى أسيب اللوكاندة ليه، وأجى أقعد معاك ؟

عنتر: متقلقشى هو يدوبك أسبوع وهرجعلك وهنا فيه كل حاجة ممكن تحتاجها الأكل والشرب، وأنا هخلى التربى اللى هنا يشقر عليك من وقت للتانى عشان لو احتجت حاجة، ثم ناوله أحد الكتب الخاصة بالسحر خد الكتاب ده هيسليك ومتلعبش فى حاجتى اللى هنا.. ثم تركه وانصرف..

***

مرت الأيام على بدر وهو يجلس وحيدًا فى مقبرة عنتر يُنعى حظه ويلوم نفسه على تفريطه فى ماريا وكنزها، وفى أثناء جلوسه دخل عليه عنتر أشعث الشعر نتن الرائحة ففزع بدر منه وقال له: أيه اللى حصل وعمل فيك كدة؟

- ما أنت عارف أنا كنت فى خلوة بس أول مرة أعمل خلوة ونتيجتها تكون كدة..

- يعنى أيه؟ أنا مش فاهم حاجة..

- أنا مش أول مرة أعمل خلوة، وأنا أصلًا لي أعوانى وخدامى بس الغريب أنى فشلت فى الخلوة دية وكل حاجة عملتها أو حاولت أعملها منفعتش..

- متزعلشى.. جرب مرة تانية..

عنتر غاضبًا ومتعصبًا على بدر: أنا حاسس أن أنت السبب.. أنا من ساعة ما شفتك وأنا مش مرتاح.. قرينك مش عارف عنك أى حاجة كأنك لسه مولود، وحكايتك اللى أنت حكتهالى مش لاقيلها أى تفسير..

- خلاص يا عم عنتر متزعلش نفسك كدة وما دام وجودى معاك لخبطلك حياتك أنا همشى..

عنتر بجفاء: تمشى.. بعد كل ده.. لأ.. أنا مش هسيبك تمشى.. لازم أعرف أنت وراك أيه؟ أنت وراك موضوع كبير قوى..

- أنت مكبر الموضوع كدة ليه؟ إحنا عارفين بعض من فترة صغيرة.. يا عم شيل ده من ده يرتاح ده عن ده

وفى هذه الأثناء ارتج المكان وأظلم ظلامًا شديدًا فهب بدر واقفًا وصرخ قائلًا: أيه اللى بيحصل؟ فظهر فى المكان الذى هبط إليه عنتر وهو يؤدى طقوس خلوته ضوء خافت فى جوف القبر واختفى مرة أخرى ثم سمعا صوتًا ينادى من الخارج.. بدر.. بدر..

تشبث بدر بعنتر بشدة وقال وهو مرتجف: فى حد بينادى من برة.. أنت سامع؟

تخلص منه عنتر بتأفف قائلًا: أوعى يا أخى لما أشوف الحكاية ايه؟ واشعل شمعة ونأولها لبدر واشعل الاخرى ممسكًا بها ثم خرج من باب المقبرة وبدر خرج خلفه مباشرة، ثم اقترب من مصدر الصوت الذى ينادى فرأى فتاتين جميلتين تقفان أمام باب المقبرة.. فبادرهم عنتر بالقول: أيوة عايزين مين؟

ردت إحدى الفتيات: عايزين بدر.. فأطل بدر برأسه من خلف عنتر وظهرت عليه ملامح السرور وهو يرحب بمن يناديه: ماريا.. عاملة أيه؟ أنت عرفتى مكانى هنا إزاي؟ ثم وجه الكلام لعنتر: شفت!! أهى هى دية ماريا اللى حكيتلك عنها.. صدقتنى دلوقتي..

قاطعه عنتر وهو ينظر إلى الفتاتين بتوجس وخيفة قائلًا لهم: وأنتو بقى عرفتوا المكان هنا إزاي؟

نظرت له ماريا بعمق قائلة: أنت مش هتقولنا اتفضلوا ولا ايه؟

افسح لهما عنتر الطريق المؤدى لداخل المقبرة وقال بترحاب مشوب بالحذر: اتفضلوا..

دخلت الفتاتان إلى داخل المقبرة، وأشعل عنتر بعض الشموع الأخرى وقال لهما تشربوا أيه؟

تجاهلته ماريا وقالت لبدر: أيه يا بدر أنت مشيت من الحارة ونسيتنا ولا هو البعيد عن العين بعيد عن القلب..

بدر: لا أبدًا أنت عارفة الظروف اللى حصلت بس قوليلى أنتِ عرفت مكانى هنا إزاي؟ ومين اللى معاك دية؟

تجاهلت ماريا الرد وانحنت بطريقة تمثيلية وقالت مُداعبة: أقدم لكم عاينة بنت خالتى.. وطبعًا هتستغربوا أن اسمها كدة وده عشان هى كانت مع خالتى وجوز خالتى فى بلد عربى وطول عمرها عايشة هناك، وأخيرًا رجعت بلدها تانى عشان تعيش معانا على طول، وذهبت إلى عاينة واحتضنتها قائلة: وحشتينا يا عسل ونظرت فجأة إلى عنتر فرأته ناظرًا إليها مبهوتًا فقالت له: أنا عارفة أنك متفاجىء من جَراءتى.. وحسة أنك نفسك تقوللى حاجة!!

نظر عنتر إلى عاينة قائلًا: متهيألى أنا عدى عليّ الاسم ده قبل كدة..

عاينة: أنا متأكدة أن الاسم ده معداش عليك قبل كدة.. عشان هى عاينة واحدة بس و أشارت إلى نفسها..

قاطع بدر الحدث الذى يراه ووجه كلامه لماريا باستنكار: أنا عايز أتكلم معاك فى حاجة ممكن نخرج شوية..

- ونخرج ليه اتكلم براحتك و أشارت إلى عاينة قائلة: عاينة دية بنت خالتى وأختى، وأنا بحكيلها على كل حاجة ولو أنت مش عايز تتكلم قدام الأستاذ، وحكت أصابعها برأسها محاولة تذكرة اسمه..

- اسمه عم عنتر.. وهو برضه زى أبوي، وأنا مابخبيش عليه حاجة، والحقيقة أنا حكيتله عن كل حاجة فعلًا..

ماريا: خلاص.. عاينة أختى، وعنتر أبوك.. يعنى زيتنا فى دقيقنا.. اتكلم بقى براحتك..

تكلم بدر بضيق غاضب: التمثال الذهب اللى أنا عرضت نفسى للموت بسببه فى الكهف فجأة لقيته حجر ممكن تفسريلى ده حصل إزاي؟

نظرت له ماريا باندهاش وقالت متهكمة: يا راجل.. أنت بقى مش عارف ده حصل إزاي؟ فاكر لما طمعت ورحت الكهف من ورايا أنا وماما، وكنت عايز تسرق الكنز وتاخده لوحدك بإمارة لما كنت جى من البلد وحطيت هدومك فى اللوكاندة وخدت الشنطة فاضية ورحت على الكهف، ولما الكنز متفتحش جيتلى على الشقة اللى بنتقابل فيها ومعاك الشنطة وسألتنى هو الكنز مبيفتحش ليه بالرغم من أنك حطيت الخاتم اللى بيفتح الكنز فى النار.. أهو من ساعتها ماما زعلت قوى، وعكست العزيمة وأمرت الخدام بأنهم يحولوا الكنز ده لحجر ثم نظرت له بحدة قائلة: ده ماما بهدلتنى بسببك وبسبب صحبك زياد..

استهجن بدر لهجتها: متشكرين يا ستى على سترك لي قدام الناس.. بس أيه دخل صحبى زياد فى الموضوع وأيه اللى خلاه يتعرض لأمك؟

- صحبك زياد جاب واحد عطار بيقول عليه صاحب أبوه ومتربى معاه، وسلطه على ماما فبلغ عليها الشرطة وجت فتشت البيت ولقيت حاجات فى الشقة قالوا عليها دية بيتعمل بيها دجل وشعوذة وقبضوا عليها بس المحامى بتاعنا طمنى عليها وقال إنها هتطلع.. المهم رفعوا علينا قضية إخلاء للشقة، وطردونا وأنا دلوقتِي قاعدة عند خالتى لحد ماما ما تطلع من الحبس..

تدخل عنتر فى الحديث قائلًا: يا جماعة بالراحة شوية أنا مش عارف أكمل موضوع على بعضه.. الموضوع الأولانى باين أنه موضوع الكنز وواضح أنه موضوع حقيقى، والثانى بتتكلموا فيه عن أمك.. حد يفهمنى..

ردت ماريا وهى تمسك بيد عاينة خارجة من المكان: إحنا كدة اتأخرنا.. مش بدر قال إنه قالك على كل حاجة بتسأل ليه بقى؟ إذا كان فيه حاجة ناقصة عندك مش فاهمها يبقى بدر يكملهالك..

قام بدر معهم حتى باب المقبرة وعرض عليهما توصيلهما إلى خارج المقابر فردت ماريا: متخافش علينا إحنا عارفين السكة كويس..

عاد بدر إلى عنتر سعيدًا جدًا فقد أثبت لعنتر صحة حديثه عن الكنز وعن ماريا، وفى نفس اللحظة عاد التيار الكهربائى إلى المكان فقال عنتر لبدر: أنا اللى مجننى إنى مش عارف أشوف قرين أى حد فيكم.. أيه أنتوا عفاريت ولا أيه؟ وتعال قولى هنا أيه حكاية صحبك والعطار؟ ومين أمها دية اللى اتهموها بالدجل والشعوذة؟

رد عليه بدر وهو يُعد كوبين من الشاى: ما أنا قُلتلك وحكيتلك عن زياد ابن عمى اللى كنت قاعد عنده فى شقته وماريا وأمها كانوا جيران بس الغريب أن زياد فهمنى أنه عمره ما شاف ماريا دية أبدًا.. بس شاف أمها ومكنش طايقها.. أمها دية يا عم عنتر كان اسمها الحاجة محاسن.. قاطعه عنتر بفزع: بتقول مين..

- مالك فيه أيه؟ بقولك كان اسمها محاسن..
- أوصفلى صحبك زياد ده ساكن فين بالضبط؟

وصف بدر له عنوان سكنه القديم مع ابن عمه زياد بالتفصيل فهب عنتر واقفًا صائحًا: مش معقول أنا مش مصدق نفسى دية نفس الست اللى اتعاملت معاها زمان.. ده كان جوزها جابنى وأنا صغير عشان اطلع من الشقة دية روح كانت ساكنة فيها، وأنا اللى علمت الست دية الصنعة بس اللى أنا عارفه أن هىّ مكنش عندها عيال.. أمال ماريا دية جت منين؟ ثم نظر لبدر قائلًا: ومين بقى العطار ده اللى ماريا متغاظة منه اللى كان السبب فى طرد أمها من الشقة..

- أنا معرفوش..

عنتر شاردًا يكلم نفسه: فيه حاجة غلط!! أنا عرفت أن محاسن ماتت والشرطة جت وملقيتش جثتها.. أيوة أيوة أنا افتكرت العطار ده.. ده راجل كان تلميذ لمحاسن.. بس ده ساب الشقة دية من زمان.. يا ترى أيه اللى لمه على زياد ابن عمك؟

- أيه يا عم عنتر هو البنات لما جم هنا لحسوا عقلك ولا أيه؟
- عندك حق.. البنات جم هنا إزأى؟ والقبر ده منحوت فى الجبل وكمان الدنيا كانت ضلمة.. طب مشيوا إزاي وسط الترب؟ وعرفوا يحددوا المكان ده إزاي؟ وبعدين اسم بنت خالة ماريا عاينة ده اسم غريب..
- والأسامى كمان فيها مشكلة؟
- أيوة.. ده أنا قديم قوى فى الصنعة دية.. الأسامى كلها اللى اتقالت متقالتش كدة وخلاص.. أنا عندى علم كبير بالسحر.. يعنى مثلًا محاسن دية احتمال تكون الملكة ذات المحاسن بنت أبليس، وماريا ممكن تكون الملكة ماريا بنت الملك شمردل السُفْلى، وعاينة ممكن تكون الملكة عاينة بنت

الملك الأحمر.. أيوة كدة صح، وأطلق ضحكة مدوية مخيفة تردد صداها فى المكان بصورة مفزعة فانقطع التيار الكهربى مرة أخرى وهبت رياح عاتية ذات صوت مُرعب قلبت أثاث المكان رأسًا على عقب وارتج المكان وظهر من الفراغ كرة هائلة من النار واتجهت نحوهما بسرعة هائلة حتى كادت أن تصطدم بهما فأشار إليها عنتر بيده فانحرفت وذابت فى الهواء وظل عنتر يتمتم بصوت خافت إلى أن عاد التيار الكهربائى مرة أخرى..

قال بدر لاهثًا مفزوعا: أيه اللى حصل؟!

ظل عنتر صامتًا لفترة وجيزة إلى أن قال: فعلًا أنا صح.. أنا خدمتهم كتير ولسه بخدمهم لحد دلوقتي وكان فاضلى حاجة واحدة واخد الدرجة النهائية للخدمة.. بس أنا هكملها، وأخذ يجمع بعض المواد والأشياء من المحتويات المبعثرة فى المكان فبادره بدر بالقول: أنا مش فاهم حاجة..

لم يعُرِه عنتر أى انتباه وترك الأشياء التى جمعها جانبًا وخرج من المقبرة وجلس بدر وحيدًا يضرب أخماسًا فى أسداس لا يدرى ماذا يفعل؟ أيهرب من هذا المكان أم يُمكث به؟ فربما استفاد من عنتر بأية كيفية إلى أن رأى عنتر عائدًا من الخارج حاملًا بيديه كلبًا صغيرًا نزل به إلى باطن المقبرة، وصعد مرة أخرى خارجًا من المقبرة وعاد ومعه قطة صغيرة، وبطة ثم جمع أشياءه ومواده التى تركها بأحد جوانب المقبرة وقال لبدر وهو ينزل على درجات المقبرة: مش عايزك تسأل فى أى حاجة ومش عايزك تتكلم من أساسه، ومهما حصل أوعى تفكر تنزل تحت.. أقعد كدة روق المكان ونظفه والأكل والشرب عندك لحد ما أرجعلك ومهما طولت تحت متقلقشى..

تركه عنتر مع ذهوله ونزل إلى باطن القبر وقام بدر بترتيب المكان من أثر الرياح التى هبت به وأطاحت بكل شيء وجلس يقرأ كتابًا عن عالم السحر إلى أن شعر بفضول لأن يرى ما يفعله عنتر..

فقال لنفسه: يعنى أيه اللى هيحصل لما أنزل وأشوفه؟ مش هيحصل أى حاجة هو هيضايق شوية وخلاص وقام بالتسلل بخفة وهبط سلم القبر المؤدى لمكان وضع جثث الموتى بالتراب ووقف مندهشًا فقد رأى باطن القبر تكسُوه الرمال ولا أثر لعنتر!!

جال بنظره على أضواء بعض الشموع الموقدة بباطن القبر ولم يشاهد أى شىء إلى أن أنتبه لوجود ظل فى الصخر المقابل لمكان وقوفه فسار نحوه مباشرة بدون تفكير يستكشفه فوجد سلمًا صخريًا آخر أشد عمقًا من السلم الذى نزل عليه منذ قليل إلى باطن القبر فتوجس خيفة وتردد فى أن ينزل هذا السلم، واتخذ القرار ونزل بخفة وهو يلعن فضوله إلى أن وصل إلى أسفل هذا السلم ووقف على أرضية صخرية..

مسح حبات العرق التى انسالت على عينيه من شدة حرارة المكان ثم تحرك بهدوء على ضوء الشموع الخافت، وظل يحدق بالمكان..

إنه مكان صخرى متسع شبيه بكهف الكنز الذى يعرفه جيدًا تنتشر بجميع أرجائه الشموع فتُضفى عليه رعُبًا تنخلع له القلوب، وتوارى خلف نتوء صخرى مرتفع عن الأرض عندما رأى عنتر جالسًا على الأرضية الصخرية وهو عارٍ تمامًا وأمامه إناء كبير متسع ويمسك بيده سكين عظيمة ويمسك بيده الأخرى الكلب الصغير وقام بذبحه وتصفية دمائه فى الإناء ثم أمسك بالقطة وفعل بها ما فعله بالكلب وكرر نفس الأمر مع البطة ثم أخذ بعض الدماء وصبها على رأسه، وقام بوضع بعض البخور فانتشر بالمكان رائحة قميئة كريهة وأحضر قطعة من الجلد كانت موجودة بالمكان وقام بكتابة بعض الرموز والحروف والأرقام والرسوم عليها ثم قام بسكب بعض الدماء من الإناء حول نجمة سُداسية مرسومة على الأرض بالرمال البارزة وحولها بعض الشموع وقام بالانحناء أكثر من مرة إلى أن سجد طويلًا ثم قام من سجوده وبنفس السكين التى ذبح بها الحيوانات قام بجرح ذراعه جرحًا كبيرًا فسال منه دماء غزيرة تركها تسيل داخل نفس إناء الدم ثم ترك الدم ينزل بنقط صغيرة على القطعة الجلدية ووضع إصبعه فى الدماء وكتب بها شيئًا على قطعة الجلد وجرح يده الأخرى بالسكين وأحضر كوبًا بلاستيكيًا صغيرًا ووضعه تحت ذراعه إلى أن امتلأ رُبعها بالدماء فقام بُشرب ما بداخل الكوب من دماء وقام بالسجود مرة أخرى..

حاول بدر رؤية ما يسجد له عنتر فلم يشاهد شيئًا ثم لاح له فى تلك اللحظة ظل أسود يقف أمامه ففزع وهرول صاعدًا مرة أخرى إلى أعلى ليجلس منتظرًا عنتر كما قال له..

طال انتظار بدر إلى أن غلبه النعاس ونام إلى أن شعر بيد توقظه: قوم أنت منمتش بقالك سنة..

فتح عينه ليجد عنتر وهو يوقظه ففزع.. ضحك عنتر وقال له: أيه أنت شفت عفريت ولا أيه؟

بدر متكاسلًا: لا أبدًا هى الساعة كام؟

- أيه وراك الديوان ونظر إلى ساعته وقال: الساعة الثالثة والنصف عصرًا..
- ياه أنا نمت كل ده...
- قوم يلا نأكل لقمة عشان أنا مبسوط قوى.. أنت لازم تباركلى عشان أنا خدت الدرجة النهائية ونجحت..

شاركه بدر الفرحة وابتسم فى تصنُع: ليه هو حصل أيه؟ أنا مش فاهم حاجة..

عشان أنت حبيبى أنا هفهمك: أنا يا بدر يا بنى فى أول حياتى كنت داخل فى موضوع السحر ده عشان كنت عايز ألم فلوس وخلاص.. بمعنى أصح كنت دجال عارف حاجة من هنا على حاجة من هناك لحد ما رحت بلد ريفى عشان أفتح كنز بمنزل أحد سكان البلد دية فقابلت واحد هناك الناس كانت بتقول ليه كرامات، والراجل ده طلع ساحر عُقر.. قعدت معاه فترة واتلمذت على أيده وادانى كام كتاب من الكتب القديمة قعدت أذاكرها لحد ما ابتديت أعمل حاجات من الكتاب ده وأجربها لوحدى لحد ما بقيت حريف..

بعد كدة سيبت البلد دية ورجعت لمصر تانى وعملت أول رياضة ليه، والرياضة دية يا بدر عبارة عن خلوة يعنى تقعد فى مكان نائى بعيد وتأكل عيش ناشف وشعير وتفضل نجس وتقرا عزيمة معينة آلاف المرات، وقعدت فى الخلوة دية اربعة عشر شهرًا وكانت نتيجة الخلوة دية أن بقى معايا أرواح كتير قوى تقدر تقول قبيلة وكانوا بيساعدونى فى كل حاجة خاصة بالسحر، وأنا مكدبش عليك عملت الكبائر كلها إرضاءً للأرواح دية.. ما أنت عارف مفيش حاجة ببلاش وأنت شفت بعينك لما النار دية كانت هتحرقنا من شوية أنا قدرت أبعدها عننا بمساعدة الأرواح دية ثم ضحك وقال: المرحلة دية بالنسبة لى كنت لسه تلميذ بس ابتديت آخد الدكتوراة فى الكهف اللى قابلتك فيه أول مرة، وإمبارح بس كملت الدكتوراة بتاعتى ونجحت بامتياز..

- دكتوراة أيه؟ يا عم عنتر صدقنى أنا مش فاهم حاجة خالص..
- أنا مقدرش أقولك حاجة تانية بس اللى أقدر أقولهولك إنى مش هخلى نفسك فى حاجة والكنز اللى كلمتنى عليه أنا هفتحهولك و إذا مكنش فيه كنز أنا هخدك أوديك لمكان فيه كنوز كتير تختار منها اللى أنت عاوزه..
- أمال كرة النار اللى كانت هتقتلنا دية كانت أيه؟ واشمعنى ظهرت لما قُلت الأسماء اللى أنت قُلتها أنا مش قادر أستوعب أى حاجة من اللى بتحصل..
- أنا هفهمك كل حاجة بس عايز اسألك عن البنتين اللى جم هنا..
- أنا معرفش إلا ماريا بس والثانية دية معرفهاش وزى ما أنت سمعت طلعت قريبتها ومن عيلة أمها..
- كويس إنك فكرتنى.. ممكن توصفلى أمها دية بدقة يعنى شكلها أيه؟ كلامها كان إزاي؟ أكلها كان أيه؟
- تصدق أنى عمرى ما شفتها بتاكل ولا هى ولا ماريا..
- طب قوم هات التمثال اللى كان معاك وقلت لى إنك خدته من الكنز..

قام بدر بإحضار التمثال وناوله لعنتر الذى نظر إليه مطولًا ثم تركه جانبًا وقال لبدر: أنت تقريبًا وصلتنى للنهاية بس أنت مش الاس نمرة واحد، واللى اتعمل معاك مش بسببك ولا عشان خاطر عيونك.. الموضوع أكبر من كدة بكتير، وبعدين يا سى بدر أنت قلتلى أنك تعرف ماريا بس.. هسألك سؤال وجاوبنى بصراحة: أنت حصل بينك وبينها حاجة؟

- أيوة.. فقام عنتر بوضع يده على رأس بدر فترة وجيزة ثم قال له: أنت فيك حاجة مش مظبوطة..
- ملبوس يعنى..
- وليه لأ..
- أنا مش معاك.. فلتت منك دية لأنى فى قمة إدراكى العقلى يعنى محدش لعب فى دماغى..
- يا بنى أنت ممكن متكنش ملبوس بس ممكن يكون معاك تابع وأنت مش عارف، وده موضوع بسيط أنا كدة كدة هعرفه بس أنا مسافر كام يوم عشان فيه حاجات لازم أعملها عشان أرد الجميل للناس اللى أدونى الدكتوراة وعايزك متفكرش فى حاجة أبدًا ومتشلش هم أى حاجة، وأنا لما هارجع هخليك زى الفل..
- وأنت هتسافر إمتى؟
- النهاردة الفجر.. قوم ننام شوية، وعايزك تعيش حياتك زى ما أنت عايز وأخرج نقودًا دسها بيد بدر قائلًا: دية مصاريف خليها معاك واصرف زى ما أنت عايز ثم تركه وتمدد لينام..

تحرك بدر هو الآخر واستلقى وهو يفكر فى عنتر ذلك الرجل الغامض الخطير، وفى ظل الغياب الطويل لعنتر مارس بدر حياته، وأصبح تارة يقرأ كثيرًا بكتب السحر الموجودة بمقبرة عنتر وتارة أخرى يجلس أمام المقبرة يشاهد شواهد القبور وزوارها، وفى ذات ليلة عندما تهاوت قوته ونام رأى كابوسًا مخيفًا مؤلمًا، فقد رأى كائنًا أسود ضخمًا غزير الشعر يشبه الجاموسة ذا ذيل طويل ليست له ملامح يستطيع تمييزها قد جثم على صدره وشُل جسده بالكامل كما كانت هناك كائنات تشبهه تُكبل كل أطراف جسده وتبادل كل هذه الكائنات ضربه فى جميع أنحاء جسده ولم يستطع التألم فقد شعر بأنه لا يستطيع التنفس ولا يستطع النطق، وفى الصباح استيقظ من سباته ليشعر بألم بكافة أنحاء جسده، وقد فسر هذا الأمر لنفسه بأنه كابوس ربما مر به نظرًا لقراءته الكثيرة بكتب السحر ومارس طقوس يومه الرتيب كالمعتاد إلى أن نام وشعر بنفس الكابوس مرة أخرى إلا أنه رأى أمال زوجة أبيه بكامل هيئتها وهى تشارك هذه الكائنات فى ضربه وإيذائه، ولمح بطرف عينيه ماريا وهى تنظر لما يحدث له إلى أن استفاق على من يوقظه ففتح عينيه وهو فى غاية البؤس والشقاء والألم لما عاناه فى هذه الليلة من عذاب، وتنفس بدر الصعداء وقال: عم عنتر حمد لله على السلامة أيه الغيبة الطويلة

دية؟ أنت كنت فين كل المدة دية؟ فلم يرد عليه عنتر وإنما أمسك بيده اليمنى ورأى عليها جرحًا حديثًا لم يلتئم ثم أمسك يده اليسرى ووجد نفس الجرح عليها.. كان هناك تشابه غير منطقى بين الجرحين كأنما نُحتا على رسغي بدر بيد جراح هندسى فقال لبدر: أنت أيه اللى عورك كدة؟ ورمقه بدهشة واستطرد وهو ينظر له: أنت مكنتش بتنام ولا أيه؟!

- اسكت يا عم عنتر أنا بيحصللى حاجة غريبة قوى اليومين دول..
- خير احكيلى بالتفصيل..

قص بدر لعنتر عن كل ما رأه فى نومه، وعن شعوره بالألم إلى أن توقف عن السرد عندما رأى طفلًا صغيرًا يجلس فى أطراف المقبرة يلهو ببعض الأحجار فقال لعنتر: ابن مين ده؟

- ده ابن أختى.. أنا هاخده وأنزل تحت وأنت قوم اغسل وشك وافطر لحد ما افوقلك وشوف أنت بيحصل معاك أيه قام عنتر مداعبًا للطفل وأخذه هابطًا إلى باطن المقبرة، وقام بدر بالاغتسال وأكل ثم جلس ينعى حظه وحاله فقد كان يشعر بآلام حادة، وحاول مواساة نفسه والشد من أزرها إلى أن صعد عنتر بمفرده وعلى يديه وملابسه دماء غزيرة طازجة فنظر له بدر بفزع وقال: أيه الدم ده؟ هو أيه اللى حصل؟ ثم نظر حوله قائلًا: هو الواد اللى كان معاك فين؟

ضحك عنتر قائلًا بهدوء: أنت مالك خايف كدة ليه؟ الواد ده واد ابن حرام وأنا خلصت عليه عشان لما يكبر محدش يعايره بأمه، وفى هذه اللحظة نظر له بدر ببلاهة غير مستوعب لما يسمعه إلى أن قال له عنتر: أنا هانزل تحت و إذا اتأخرت متشغلش بالك ولو عايز تخرج شوية أخرج بس إذا خرجت أو قعدت مش عايزك تقلق عليّ ثم أخذ عنتر بعض الحاجيات وهبط مرة أخرى إلى باطن القبرة، ووضع بدر رأسه بين يديه مذهولًا مما حدث وعندما رفع رأسه تعجب مما رأه.. فلم يكن هناك أى أثر للسلم المؤدى إلى باطن المقبرة بل كانت المقبرة عبارة عن قطعة حجرية واحدة.. فرك بدر عينيه فقد شعر بأنه يحلم ونظر مرة أخرى إلى نفس المكان الذى نزل منه عنتر فلم يجد له أى أثر..

ساوره الشعور بالخوف ثم قال لنفسه مُشجعًا لها: أنت هتنتظر أيه من واحد ساحر.. على الأقل الساحر ده واقف جنبك ومعملش زى أمك.. ثم ضحك متهكمًا وقال لنفسه: أبوي.. أه لو تعرف أنا بكرهك قد أيه ياللى اسمك أبوي ده أنت لو عايش كنت قتلتك مرة تانية.. ده الشيطان عنده رحمة عنك ثم تنهد تنهيدة قوية حادة وأضاف: فعلًا ده يستاهل ده كان خبيث زى الحرامية.. ما هو اللى خلانى أعمل فيه كدة؟ هو اللى راح اتجوز على أمى ورمانى أنا وهى.. هو اللى جاب شريكة لأمى فيه.. أنا كنت تعبان قوى وكنت على استعداد أنى أبيع نفسى للشيطان عشان ينتقملى منه هو

ومراته ده لو كان إبليس جانى عشان أعاهده وأديله نفسى مكنتش حُشتها عنه ما دام كان هيخلصنى من اللى أنا فيه ما أنا عشت طول عمرى من غير أب.. فيها أيه لو كان إبليس أبوي...

أخرجه من حالته صوت يقول: أزيك يا بدر.. التفت فزعًا إلى مصدر هذا الصوت وقال: هو أنا ناقص ثم استعاد رباطة جأشه وانتزع نفسه من صراعها معه وقال: أنا آسف يا ماريا بس أنا كنت سرحان وأنت فزعتينى..

- ولا يهمك.. أنا آسفة أنى جيت فجأة كدة بس أنا كنت فايتة من هنا قلت لما أعدى وأشوفك..
- فيك الخير.. ثم نظر لها مليًا إلى أن قالت: أنت بتبصلى كدة ليه؟
- لا أبدًا أصلى حلمت بيكى النهاردة..

ضحكت ماريا وقالت وهى تغمز له بعينها: شوفتنى إزاي فى الحلم ده؟

- لا ده مش حلم من اللى جه فى دماغك.. ده كان كابوس..

ماريا باندهاش وشفقة: كابوس.. إزاي يعنى؟

- كان فيه حاجات شكلها مش حلو.. وكانت عمالة تضرب فيّ، وكنت واقفة بتتفرجى عليّ..

ماريا ضاحكة: وأنت بقى زعلان عشان مخَشِتش معاك فى الحلم..

- بطلى هزار.. دا أنا كلت حتة علقة، وعشان كدة أنا هاطلب منك طلب.. الأول قوليلى وطمنينى هىّ ماما خرجت من القضية اللى كانت عليها، وأخبارها أيه؟
- ماما طلعت من بدرى وإحنا قاعدين عند خالتى زى ما قولتلك.. أنت كنت عايز منها حاجة؟
- أيوة أنا كنت محتاج أمك قوى عشان تقوللى أيه اللى بيحصلى؟
- بقى عايز تسأل ماما وأنت قاعد عند الوحش.. صحيح هو عم عنتر فين؟
- مش عارف.. ده كان هنا من شوية بس معرفش راح فين ثم أضاف: أنت مقولتليش هى بنت خالتك عاينة مجتش معاك ليه؟
- عادى يعنى أصل أنت وحشتنى وكنت عايزة أقعد معاك لوحدنا.. أنا موحشتكش ولا أيه؟
- أنا فى أيه ولا فى أيه.. ده أنت دماغك فاضية صحيح..
- أنا جيت عشان اتطمن عليك وأدينى اتطمنت.. أنا همشى وهابقى أعدى عليك وقت تانى ثم قامت بالانصرف ورحلت تاركة بدر وحيدًا متذمرًا يائسًا إلى أن تسلل إليه النوم مرة أخرى وحاول مقاومته خوفًا من زيارة كابوسه المعتادة له، ولكن الهدوء المحيط به والجو الرتيب جعل مقاومته تنهار وتتركه

وحيدًا ليفترسه طائر النوم مرة أخرى ويطرق أبواب روحه بلا حراس ليخترقها هذا الكائن الغامض وأعوانه ويبرحونه ضربًا وركلًا ورأى أمال زوجة أبيه مرة أخرى، وهى نصف آدمية ونصف أفعى ورأى أيضًا ماريا التى شعر باقترابها منه، فنظر لها نظرة المستغيث فأشارت إلى الكائن فنزل من على صدر بدر وأحاط هو والكائنات الأخرى ببدر.. فقالت ماريا لبدر: أنت عايز منى حاجة؟

- لو تقدرى تنقذينى منهم أنقذينى.. أنا بتقطع كل ليلة.. أنا مستعد أعمل أى حاجة..
- أنا هحوش عنك بس لازم تسمع كلامى.. يعنى لما أطلب منك حاجة تعملها.. حتى لو قُلتلك اقتل..
- أنا هعمل أى حاجة.. بس مشَّيِهُمَ من علىَّ..
- متقلقشى أنا هكون معاك هنا كل ليلة، ومش هيعملولك أى حاجة طول ما أنا موجودة..

انتشر فى هذه الأثناء ضباب بعالم أحلام بدر وغط فى نومٍ عميق بدون أن يشعر بما حوله، وصرخت ماريا بعصبية على إثر صفعة عنيفة على وجهها، وتحولت لأفعى ضخمة ذات أنياب طويلة حادة واندفعت تجاه أفعى أخرى لتتصارعا صراعًا رهيبًا وكلٌ منهما تغرس أنيابها فى جسد الأخرى إلى أن تلقت الاثنتان لضربات من كائن آخر بشع المنظر أطاح بهما ليعودا إلى شكلهما الآدمى وقال لهما هذا الكائن: جميل ما تفعلانه.. الملكة عاينة تصارع الملكة ماريا، وأضاف بتهكم: ما أجملكما!!

قالت ماريا بغضب: هى من بدأت بالغدر..

تحدثت عاينة بهدوء وهى تنظر لماريا: ألم تنبهك مولاتى بألا تتخذي أى قرار بخصوص أى أمر إلا بإمرتى..

- يعنى أيه؟ هو أنا صغيرة.. أنا زيى زيك وأحسن منك كمان.. قاطعهما الكائن البشع موجهًا حديثه إلى الملكة عاينة قائلًا: ماذا حدث أيتها الملكة.. تكلمى..
- يا بنت الإله لقد كنت أراقبها بدون أن تشعر كما أمرتينى كى لا تُقدم على عملٍ أحمق كعادتها، وقد كان حُلفاؤنا العفاريت يهتفون بهذا الآدمى المسمى بدر ويؤذونه تنفيذًا لأوامر شيطان مريد سلطته عليه زوجة أبيه، وقد عاونته ماريا وحجبته عنهم بدون أن تأمريها بذلك..

قاطعتها ماريا بغضب: لى مطلق الحرية فيما أفعل وقد فعلت ذلك لعلى أصُلح ما أفسدته سابقًا وأعاون هذا الآدمى كى يأتمر بأمرى ويفعل ما أريد..

الملكة محاسن: أنا لم آذن لك يا ماريا بذلك، ولم أطلب منك الإقدام على أى فعل بدون إمرتى..

أنت لا شىء، ولا تنسى من أنت ومن أنا؟

أنا الملكة ذات المحاسن بنت إلهك إبليس..

أنا فقط من يُقرر ماذا يحدث؟

أنا فقط من يتحكم بالزمان والمكان.. ولكونِك عصيت أمرى فسيلزم تأديبك..

أشاحت ماريا بوجهها غاضبة.. فقالت لها الملكة ذات المحاسن: ستُقيدين فى قلعتى ذليلة حتى يُحررك غرورك وفى نفس اللحظة أنقض على الملكة ماريا كائنات ذوات أجنحة تُشبه الخفافيش وكبلت ماريا وأخذتها طائرة بها بعيدًا إلى قلعة ذات المحاسن التى قالت للملكة عاينة: اطلبى من العفاريت الهواتف إكمال عملهم وألا تأخذهم بهذا الآدمى أى شفقة..

اختفت الملكة ذات المحاسن مرة أخرى ثم اختفت الملكة عاينة وقد أوصت أصدقاءها العفاريت بالآدمى بدر لتعاوده كوابيسه المُريعة وتدفنه فى عالم من الألم..

***

البر لا يبلى؛

والذنب لا ينسى؛

والديان لا يموت؛

اعمل ما شِئت.. كما تدين تدان.. - حِكْمَةُ -

سارت حياة الحاج رضوان العطار طبيعية لا تخلو من الأحداث التى تمر بها كل أسرة فهو يفتح حانوت العطارة صباحًا، ويمارس عمله حتى نهاية اليوم ثم يذهب إلى منزله كعادة أى رجل، وعند عودته للمنزل فى هذا اليوم رحبت به زوجته وابنته إيمان بحرارة، وعلى غير المعتاد.. فابتسم لهما وقال: أيه يا حاجة أم إيمان مش عوايدك أنت وبنتك الترحيب ده كله.. أكيد عايزين حاجة..

- عايزينك بخير وسلامة يا أخويا.. أحضر لك العشا وأجى عشان أتكلم معاك..
- لأ أنا مليش نفس اعمليلى شاى بس..
- أنت عايزنى أغير جو صح..

ابتسم الحاج: أيوة عايزك تغيرى جو.. بس أنت تحبى تغيرى جو فين؟

- أهو أنت اللى عايزنى أغير جو وعايزنى أغير جو فى البلد..

الحاج مندهشًا: البلد.. ماشى بس أنهو بلد؟

- فكر كدة وقولى مين كلمنى النهاردة فى التليفون وكلم بنتك إيمان..

نظر العطار إلى ابنته إيمان فوجدها مبتسمة متوردة الوجه فقال: بما إنك مبسوطة قوى كدة يبقى فيه حد عزيز عليك كلمك وعزمك على البلد، وبما إنك طايرة من الفرح يبقى أكيد أختك إسراء كلمتك وعزمتك على البلد..

قامت إيمان باحتضان أبيها وقالت لأمها: مش قُلتلك إنه أول ماهيشوفنا هيعرف ثم رجت أباها قائلة بحنان واستعطاف: بابا أنا نفسى أروح البلد عشان إسراء وحشتنى قوى، وأنت عمرك ما رفضتلى طلب.. قاطعتها أمها قائلة لزوجها: الحاجة أم إسراء قلتلى أن سيد ابنها جى يقعد عند زياد أخوه يومين تلاتة، وقبل ما يسافروا البلد تانى هيعدوا عليك عشان يعزموك تقعد كام يوم فى البلد معاهم عشان تعمل حسابك على قفل الدكان كام يوم..

- يا حاجة هتروحى عند الناس وتكلفيهم، وتقعدى عندهم كام يوم كمان.. ما كفاية تُقعدى يومين وتيجى ومفيش داعى أروح أنا كمان..
- يا حاج الناس عزمونا خلاص ولازم نروحلهم وكمان عشان يحسوا أن ليهم أهل بيقفوا جنبيهم ثم قالت لإيمان: قومى اعملى شاى لأبوكى فتحركت إيمان متجهة إلى المطبخ، وبعد انصراف الابنة قالت الزوجة لزوجها بصوت خفيض وبابتسامة جميلة: إحنا يا حاج لازم نروح نلبى الدعوة.. إحنا

مش هنلاقى لإيمان عريس أحسن من زياد، دول ناس غلابة زينا والواد عنده أصل ومبيفوتشى فرض وأمه بتحب إيمان زى بنتها، وأخته إسراء بتموت فى بنتك إيمان.. يعنى هنطمن على بنتنا الوحيدة..

فى هذه الأثناء عادت إيمان حاملة كوبًا من الشاى قدمته لأبيها قائلة بدلع: أحلى كوباية شاى لأحلى أب فى الدنيا فبادلها أبوها الابتسام وقال: أعمل أيه يا ربى ما هى الكترة بتغلب الشجاعة.. هما اتنين وأنا واحد.. خلاص هما يكسبوا فهبت إيمان واقفة مصفقة قائلة: هيه.. أنا بكرة هانزل أشترى هدية لإسراء.. وقالت الأم للأب: وإحنا يا حاج هنُخشلهم بأيه؟ أنزل أشترى جلباب لأم إسراء ولا أيه رأيك؟

- ماشى انزلى بكرة أنت وإيمان اشتروا اللى أنتوا عايزينُه..
- وأنت يا حاج هتخُش بأيه لما الشباب تيجى تعزمك وتخدك على البلد..
- أنا هاخد شوية عطارة من عندى من الحاجات الكويسة وهاخش بيها.. أنت بس متشليش هم.. ثم استطرد فى الحديث قائلًا: وأنتوا ناويين تروحوا البلد إمتى؟
- بعد بُكرة إن شاء الله، وفى هذه الأثناء رن جرس موبايل إيمان فاستأذنت وهى سعيدة أباها وأمها للرد على إسراء
- أنا يا حاج شفت النهاردة حلمًا غريبًا عايزه أحكيلك عليه..
- شُفت أيه؟

بدأت زوجة العطار فى رواية ما رأته فى الحلم وقالت: أنا شفت خير اللهم اجعله خير حاجات واقفة حوالين البيت شكلها وحش وليها قرون، وكمان واقفين برة باب الشقة وعايزين يخشوا وأنت واقف ورا الباب مش عايز تدخلهم وإحنا جوا الشقة أنا وإيمان بنعيط وخايفين منهم..

طمأنها الحاج وقال: متخافيش.. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.. أنا هابقى أشوف تفسير الحلم ده أيه وهقولك..

الزوجة: أنا خايفة ليكون الموضوع اللى دخلت فيه مع زياد هيسيب لنا أثر أو يتعبنا فى حياتنا..

العطار متعصبًا: موضوع أيه اللى دخلتِ فيه مع زياد.. قلتلك متخافيش.. قومى دلوقت صلى ركعتين ونامى.. وخليها على الله سبحانه وتعالى..

***

سافر سيد إلى القاهرة لزيارة أخيه زياد وذهب إلى منزلهم بالقاهرة ودخل إلى الشقة ووجدها خالية.. فقام بتحضير بعض الأطعمة التى قامت والدته بأعدادها، وجلس مُنتظرًا إلى أن دخل عليه زياد قادمًا من الخارج والذى تفاجأ بزيارته ورحب به قائلًا: يا أخى مش كنت تقول إنك جى النهاردة عشان أفرشلك الأرض رمل..

- مبخُدش منك إلا الهزار.. بدل ما تشكرنى إنى جبتلك أكل من عند أمك بقالك كتير مكلتوش..

ضحك زياد ناظرًا إلى الأطعمة التى يراها أمامه: وكمان حضرتلنا الأكل.. ده كتير قوى عليّ.. عمومًا يا سيدى متشكرين بس قولى الأول أنت مبتجيش هنا إلا لما يكون وراك حاجة فى مصر..

- لا أبدًا مفيش حاجة جى أعملها بس أمك عزمت الحاج رضوان العطار وأسرته، وأمك قالتلى أجى أقعد معاك هنا يومين تلاتة ونروح نعزم الحاج، ونخده معانا وإحنا راجعين البلد واليوم اللى هنروحله فيه هيبعت مراته وبنته يقعدوا هناك لحد ما ناخد الحاج ونروحلهم..

- ده أنتم متفقين على كل حاجة.. ماشى يا عم النهاردة بعد العشا نروح نعزم الحاج عشان أمكم ترتاح..

جلس زياد وأخوه يتناولان الطعام ثم شربا الشاى، وتبادلا أطراف الحديث عن أمهما وعن البلد وعن مصر وعن مواضيع أخرى كثيرة.. وبعد تناولهما الطعام خرجا للذهاب إلى العطار بدكانه لدعوته إلى قضاء بعض الأيام بالبلد وإعلامه بالمرور عليه بعد ثلاثة أيام حتى يكون قد استعد للسفر، وبعد انصرافهما من الدكان ونهاية يوم العمل بالنسبة للعطار ذهب إلى منزله وأخبر زوجته وابنته بالاستعداد للسفر فى صبيحة اليوم التالى..

قام الحاج رضوان العطار بتوصيل زوجته وابنته إلى محطة القطار على أمل أن يلحق بهما بعد يومين تلاتة وطلب منهما الاتصال به عند وصولهم إلى البلدة عند أم زياد..

وصلت زوجة العطار وابنتها إلى البلدة وكانت أم زياد وإسراء فى انتظارهما بمحطة القطار فرحبا بقدومهما واحتضنت كل منهما الأخرى.. الأم والابنتان.. ثم قامت زوجة العطار بالاتصال بزوجها لطمأنته على وصولهما بالسلامة ثم تحرك الجمع إلى منزل أم زياد، وعند وصولهما تم إعداد الطعام والشراب ثم قالت إسراء لإيمان: تعالى نطلع على السطح عشان أوريك منظر الخُضرة جميل إزاي ونقعد نتكلم مع بعض شوية ثم صعدت كلٌ منهما إلى سطح الدار..

استنشقت إيمان عبير جو الريف ونظرت منبهرة إلى المنظر الأخضر الجميل وتجولت بأنحاء سطح الدار تستطلع ما حولها فرأت طريقًا تُرابيًا صغيرًا أمام الدار وبجوار باب الدار شجرة عتيقة ضخمة وارفة الأغصان وخلف الدار تمتد الحقول الخضراء فجلست للتحدث مع إسراء قائلة: متتصوريش أنا فرحانة قد أيه أنى جيت هنا وشفتك.. أنت وحشانى قوى..

إسراء: أنت كمان وحشتينى قوى..

إيمان: المكان هنا جميل قوى وبيريح الأعصاب.. أنا معرفش أن الريف جميل كدة..

ضحكت إسراء وقالت: أنت لسه شُفتى حاجة.. إن شاء الله أخدك بكرة ونلف فى البلد عشان تشوفى الريف بحق وحقيق وبعد نزولهما من سطح الدار نام الجميع..

فى صبيحة اليوم التالى وبعد تناول وجبة الإفطار استأذنت إسراء أمها فى أخذ إيمان بجولة بأنحاء البلدة وسارت إسراء وإيمان فى طرقات البلدة وقامت إسراء بأداء دور المرشد السياحى فكانت تقوم بشرح معالم كل مكان يمران به إلى أن طلبت إيمان من إسراء أن تتركها لتستمتع برؤية كل شيء بهدوء و إذا أرادت معرفة شيء ستطلب منها..

سارت الفتاتان وقد خيم عليهما الصمت.. كانت إيمان تنظر بعمقٍ شديد إلى كل ما تقع عيناها عليه كأنها تحفر تلك المناظر بذاكرتها فكانت ترى البيوت الريفية المبنية بالطين وسط الزراعات وجوانبها التى يُحيط بها النخيل ثم وقفت مطولًا أمام إحدى جوانب ترعة محاطة بالزراعات وشاهدت إحدى الفلاحات بعربةٍ صغيرة تجرها الدواب محملة بأحد المحاصيل وساورها شعور شديد بالطمأنينة والراحة النفسية وهى تنظر إلى أبراج الحمام المنتشرة هنا وهناك إلى أن مرا بجانب مكان به ساقيتان ترفعان المياه بصوتٍ خلاب مع سماعهما لأصوات الطيور المغردة ذات الأصوات العذبة فقطعت إسراء حالة الشرود والسرحان التى تمر بها إيمان قائلة لها: أيه يا إيمان أنت أول مرة تشوفى الريف ولا أيه؟

إيمان: أنا شفت الريف فى الصور بس.. بس مكنتش عارفة أنه بالجمال ده.. متتصوريش مصر وزحمتها عاملة فيّ أيه أنا دلوقتي عرفت أن اللى يجى يسكن فى الريف ميقدرش يعيش فى مصر.. العيشة هنا حاجة تانية خالص..

إسراء: أديك يا ستى هتقعدى معانا كام يوم هيخلوك تغيرى جو مصر خالص ثم استطردت بخبث: ومين عالم الواحدة مننا هتكمل بقية حياتها فين؟ فى الريف ولا فى المدينة؟

فهمت إيمان مغزى كلامها وقالت: إحنا اتأخرنا يلا بينا عشان ميقلقوش علينا فى البيت.. وهما بالعودة مسرعتين إلى المنزل..

مرت الأيام إلى أن حضر زياد وسيد ومعهما الحاج رضوان العطار الذى رحبت به أم زياد وإسراء ترحيبًا شديدًا وشكرهما الحاج رضوان قائلًا: إحنا بس مكناش عايزين نتقل عليكم..

أم زياد: البيت بيتك وأنتوا نورتونا وأنستونا، وأديك شايف الدار واسعة وبرحة.. ثم أشارت إلى إسراء قائلة لها: مش تخدى أختك إيمان وتحضرولنا الغدا فقامت إيمان وإسراء لتحضير الغداء واستأذنوا أم زياد لتقوم بمساعدتهما والتى دعت بدورها زوجة العطار لتتعاون كافة نساء المنزل فى إحضار وتجهيز الطعام..

تبادل العطار وزياد وسيد الكلام إلى أن سألهما العطار: أنتوا عملتم أيه فى موضوع الأرض وعملتوا الإجراءات اللازمة ولا لسه؟ ويا ترى الناس عرفوا أن الأرض رجعتلكم؟

زياد نظر لسيد قائلًا: والله يا عمى أنا مش عارف.. حضرتك عارف إنى قاعد فى مصر عشان ظروف الدراسة..

سيد: للأسف إحنا معملناش أى حاجة.. بس أنا شقرت على الأرض من بعيد لبعيد..

العطار: حاول وا تخلصوا الموضوع ده عشان تشوفوا حالكم، وفى هذه الأثناء دعتهم أم زياد لتناول طعام الغداء وفى أثناء تناولهم للطعام قال سيد لأمه: ماما أنا عايزك بعد الأكل تدينى ورق الأرض وكويس أن عمى رضوان هو وزياد هنا عشان نروح الصبح للعمدة ونستلم أرضنا ودى، وبعد تناول الطعام طلبت أم زياد من إسراء أن تحضر أوراق الأرض فقامت إسراء لجلب الأوراق وعادت سائلة لأمها: هو أنت خدت الورق من درج المكتب بتاعى..

الأم: لا يا إسراء ... ليه؟

إسراء: أنا مش لاقياه.. أنا هاخش أدور تانى..

عادت إسراء بعد وقت طويل وأخبرتها بعدم عثورها لأوراق الأرض.. فاحتد عليها سيد قائلًا: أنت حتى مش عارفة تشيلى شوية ورق.. قومى يا اما ندور معاها..

وبعد مرور بعض الوقت عاد الجميع وقد ظهر عليهم ملامح القلق واليأس فسألهم زياد: أيه الأخبار؟

سيد: الورق فص ملح وداب.. قلبنا البيت كله حتة حتة والورق ملوش أثر.. من الآخر كدة شكله اتسرق..

صرخت أم زياد: يا لهوى.. هو إحنا لحقنا.. بس يا بنى اتسرق إزاي ده محدش بيخش عندنا؟

سيد: أومال راح فين؟

فى تلك اللحظة تدخل العطار فى الحديث: يا جماعة متشغلوش بالكم.. بكرة أنا هروح أزور ناس معارف لي هنا فى البلد وأنتوا افتكروا كدة شيلتوا الورق فين ويمكن تلاقوه..

قام الجميع للنوم وفى الصباح وبعد الإفطار خرج العطار وقام الجميع بالبحث مرة أخرى عن أوراق الأرض وبعد البحث الدقيق والمتأنى لم يعثروا على أى أثر لهذه الأوراق فخيم الصمت الحزين على أرجاء المنزل إلى أن عاد العطار إلى المنزل مرة أخرى وأخبروه بأن الأوراق الخاصة بالأرض لم يتم العثور عليها..

العطار لأم زياد: الورق كدة مش فى البيت.. طب مين كان يعرف مكانه؟

أم زياد: مفيش حد عارف أى حاجة وبكت قائلة: الأرض راحت تانى..

العطار: إحنا مَقُدمناش إلا طريقة واحدة عشان نتأكد أن الورق اتسرق أو ضاع..

سيد: طريقة أيه؟ هتبلغ المركز!! لما أمى بتقول أن مفيش حد دخل هنا.. يبقى فيه عفريت جه وسرقه!!

العطار: فعلًا.. ممكن يكون فيه عفريت جه وسرقه..

أم زياد: إزاي يا خويا؟ ده كلام حد يصدقه!!

العطار: أنا عايز أعمل حاجة كدة بس مش عايز حد فيكم يتدخل ولا يقول حاجة إلا لما أطلب منكم.. موافقين ولا أيه؟

نظرت أم زياد إلى أولادها وتبادلوا جميعًا النظرات وقالت: أيه رأيكم يا ولاد؟

سيد: ما دمنا هنعرف أيه اللى حصل إحنا موافقين.. ولا أيه يا زياد أنت وإسراء؟

هز زياد وإسراء رأسيهما بالموافقة..

سيد: خلاص يا عمى شوف أنت هتعمل أيه..

العطار: لو سمحت يا حاجة أم زياد ممكن تقوليلى مين اللى كان شايل الورق..

أم زياد: إسراء كانت شايلاه فى درج مكتبها..

العطار: بعد إذنكم يا جماعة.. أنا وإسراء هنساعد بعض فى حاجة ومش عايز أى حد منكم يتكلم أو يعلق على أى حاجة هيسمعها أو هيشوفها إلا لما أطلب منكم.. ودلوقتي يا حاجة أم زياد ممكن تجيبلى مراية كبيرة ومقص وورق أبيض وقلم وأنت يا سيد قوم ولع شوية فحم فى طبق ثم قال لزوجته: هاتى شنطتى..

أحضرت أم زياد المرآة الكبيرة والمقص والورق الأبيض والقلم وبعد قليل أحضر زياد طبقًا به فحمًا مشتعل إلى أن جاءت زوجة الحاج رضوان وأعطته شنطته التى طلبها فأخرج منها بعضًا من البخور ووضعه على الفحم ليشم الجميع رائحة بخور عطرة زكية طيبة وقال العطار موجهًا كلامه إلى إسراء: أنت هتعملى معايا تجربة.. أنا عارف أنها ممكن تكون صعبة عليك.. بس عايزك تستحملى معايا عشان نعرف أيه اللى حصل؟ و إذا كان فيه سرقة هنعرف نرجعها إن شاء الله، وفى هذه اللحظة تدخلت أم زياد فى الكلام مشجعة لابنتها: معلش يا إسراء أيش اقدرك عالمر إلا اللى أمر منه..

سيد: يعنى هى هتبنى السد العالى..

العطار: بعد إذنكم يا جماعة ممكن نبتدى ثم قال لإسراء: جاهزة..

ردت إسراء بخوف وبصوت خفيض: أيوة..

قام العطار بإحضار المرآة الكبيرة أمام إسراء وقام بقص ورقة من الأوراق البيضاء على هيئة كف، وكتب عليه بعض الرموز والحروف ثم وضعها على جبهتها وقام بإحضار طبق الفحم ووضع به مزيدًا من البخور الطيب الرائحة، وظل يتلو تلاوات بصوت خفيض خاشع مدة طويلة إلى أن أشارت إسراء إلى المرآة بخوف قائلة: فيه حد ظهر فى المراية بس مش شايفة ملامحه كويس..

فقال لها العطار: قولى للشيء الذى ترينه أمامك فى المرآة: احضر لى خادم هذا اليوم..

نظرت إسراء إلى المرآة وقالت: احضر لى خادم هذا اليوم..

فى تلك اللحظة وبعد قولها مباشرة اختفى كل شيء من المرآة..

إسراء: يا عمو أنا مش شايفة حاجة خالص.. كل حاجة اختفت..

العطار: اصبرى شوية هو جى تانى..

لف الصمت المكان إلى أن قالت إسراء: أنا شايفة اثنين شكلهم غريب قوى.. بس مش قادرة أحدد ملامحهم..

العطار: قولى لهما السلام عليكم.. اطلب منكم إحضار سارق الورق من بيتنا بصفته وهيئته.. فكررت إسراء الكلمات التى قالها العطار، وظلت ناظرة إلى المرآة بدون أن تتكلم أية كلمة فهزها العطار قائلًا لها: أيه يا بنتى شايفة أيه؟

قالت إسراء: أنا شايفة الاثنين اللى شكلهم غريب ماسكين اثنين ستات من أيديهم..

العطار: أوصفيلى أنت شايفة أيه بالتفصيل..

إسراء: فيه اثنين فى المراية كل واحد فيهم ماسك ست من إيديها الاثنين وفيه قدامهم طبق وفيه ست بتدى لست تانية لفة بلاستيك..

طلب العطار من زياد وأخيه وأمهما النظر فى المرآة.. فتفرسوا فى المرآة بتركيز شديد..

العطار: يا ترى أنتوا عارفين حد من اللى شايفينهم فى المراية..

أم إسراء: أيوة يا حاج رضوان.. دية الحاجة أمال مرات الحاج سعيد الثانية.. والست الثانية دية أنا معرفهاش

سيد: بس أنا أعرفها.. دية فهيمة يا اما اللى ساكنة جنب بابور الطحين..

أم إسراء: يا لهوى.. يا بنى متجبش سيرتها هنا زمانها عرفت أن إحنا جايبين سيرتها..

العطار مستنكرًا: مين فهيمة دية؟

سيد: أنا هقولك..

بإنصات شديد استمع الحاج رضوان العطار لحديث سيد عن فهيمة، وصيتها المنتشر بالبلدة عن كراماتها وعن مؤاخاتها للجن وعن قدرتها الخارقة فى هذه الأمور.. ولم يُبد أى ردات فعل عندما تدخلت والدة سيد فى الحديث ورددت ما يقوله الناس عن فهيمة من خلال تجاربهم معها وعن خوفها من أن تعرف فهيمة بحديثهم الآن فهى تعلم كل شيء، وأنهت حديثها بيأس قائلة: ما دام فهيمة دخلت فى الموضوع ده يبقى الأرض راحت..

قاطعتها فى هذه اللحظة زوجة العطار قائلة: مش أنت قلت يا حاجة أنك اتفاهمت مع أم بدر وضُرتها بخصوص الأرض وأنهم وافقوا أن الحق يرجع لأصحابه.. أمال أيه اللى حصل وخلاهم يرجعوا فى كلامهم ويأخدوا الورق بالطريقة دية؟

العطار: يا جماعة اعتبروا أن مفيش حاجة حصلت.. أنا هجيبلكم ورق الأرض تانى..

أم زياد: إزاي بس يا حاج ده ست فهيمة قادرة؟

العطار: متشغليش بالك.. أنا هسافر على مصر عشان عندى ارتباطات مع زباين ليهم عندى بضاعة وإن شاء الله بُكرة هتلاقوا ورقكم عندكم ومش هيضيع منكو تانى.. ثم أشار إلى زوجته وقال لها: أنا هسافر وأنتوا كملوا فسحتكم براحتكم وقبل ما تيجوا على مصر اتصلى بي عشان استناكم فى محطة القطر، وفى تلك اللحظة قال زياد بصوت خجل خفيض: لو سمحتلى يا عمى أنا كمان هسافر بعد كام يوم عشان ارجع كليتى وممكن أوصلهم وأنا راجع..

العطار: على خيرة الله ثم هم بالانصراف وذهب معه سيد لتوصيله إلى محطة القطار..

بعد انصراف العطار وسيد قامت أم زياد بإحضار الدقيق والتجهيز لإعداد بعض الفطائر وصعد زياد إلى سطح الدار ليجلس متأملًا جو الريف المحيط به الذى يشتاق له منذ سفره إلى القاهرة، وجلست إسراء وإيمان تتجاذبان أطراف الحديث نظرًا لانشغال أمهاتهما بإعداد الفطائر إلى أن قالت أم زياد لإسراء: خُدى أختك إيمان واطلعوا فوق السطح اتفرجوا على البلد بدل ما أنتم حابسين نفسكم هنا فصعدت الفتاتان إلى سطح الدار واستهلت إسراء رؤيتها لأخيها فوق سطح الدار بقولها: قُلنا نيجى نسليك شوية بدل ما أنت قاعد لوحدك..

ازداد احمرار وجه إيمان وتحاشت النظر إلى زياد وألقت بنظرها نحو الأراضى الخضراء المتسعة أمامها، وأيضًا لم يحاول زياد النظر لها بل قال لإسراء: الجو جميل قوى متتصوريش البلد هنا وحشتنى قد أيه.. حاسس أن بقالى ميت سنة مجتش هنا ثم وجه حديثه لإيمان: وأنت أيه رأيك فى بلدنا؟

ردت إيمان بصوت خفيض دون أن تنظر إليه: الريف بيريح الأعصاب وجوه غير جو القاهرة خالص.. الصراحة المكان هنا جميل.. ده كفاية صوت العصافير..

زياد: الحياة هنا مختلفة عن القاهرة تمامًا.. مفيش زحمة.. الهوا نظيف، وريحة الخضرا محببة إلى النفس.. عيشة بسيطة هادية تخلى أعصابك مرتاحة وتخليك تقدرى تفكرى فى أى مواضيع بهدوء بخلاف الأكل بقى.. كله طبيعى وصحى..

تركتهم إسراء وهى تهم بالنزول من سطح الدار قائلة: أنا هانزل أعمل شاى لينا كلنا..

وجه زياد حديثه لإيمان قائلًا: أخبار الدراسة أيه؟

إيمان: الحمد لله ماشية تمام..

زياد: يا ترى أنت مبسوطة بإسراء زى ما هى مبسوطة بيكى؟

إيمان ضاحكة: أكيد.. ده أنا ما صدقت أن بقالى أخت..

زياد: وأنا كمان مبسوط بالحاج رضوان قوى.. وحاسس إنه عوضنى عن والدى.. برضه الأب لما بيكون موجود بيبقى مصدر أمان.. وبينى وبينك أنا برضه مبسوط عشان إسراء طول عمرها كان نفسها يبقى ليها أخت وربنا عوضها.. وأنا إن شاء الله هاخلص كُليتى وأرجع البلد تانى عشان أعيش وسط أمى وأخواتى وبرضه أكون جنب سيد عشان زراعة الأرض مش هينة وعايزة أيدينا تكون فيها على طول ثم ضغط على الحروف وقال برفق وهو ينظر بعينى إيمان: وساعتها أقدر أشوف بنت الحلال اللى هاكمل معاها المشوار..

زاد احمرار وجنة إيمان وقالت: ربنا يوفقك..

فى هذه الأثناء سمع زياد نداء أخته إسراء لحثهما على النزول لشرب الشاى بالأسفل فقد انتهت الأمهات من إعداد الفطائر فقال زياد لإيمان: اتفضلى انزلى أنت وأنا هانزل بعد شوية..

بعد نزول زياد بمدة قصيرة من على سطح الدار توجه إلى أمه وقال لها: أيه يا حاجة مش هتعمليلنا حاجة حلوة من أيديك؟ يلا قومى وأنا هادخل معاك المطبخ أساعدك فى اللى هتعمليه.. فقامت الأم مع ابنها زياد وتوجها إلى المطبخ وقالت له الأم: حاجة حلوة أيه اللى عايز تعمله.. أنت ابنى وأنا عرفاك.. أنت عايز تقوللى حاجة.

تردد زياد قليلًا ثم قال: ماما أنا عايزك تتكلمى على إيمان.. أنا مرتاحلها قوى.. وأنت وإسراء بتحبوها، وإن شاء الله أهلها مش هيمانعوا إنها تيجى تعيش معانا فى البلد..

الأم: يا بنى مينفعش أفاتح أمها فى الكلام ده وهما عندنا.. اصبر لما يروحوا وأنا هابقى أزورهم وأطلبها منهم..

زياد: يا ماما مفهاش حاجة ده ربط كلام بس..

ضحكت الأم وربتت عليه بعد أخذه بحُضنها وقالت: يا حبيبى متستعجلش هما هيلاقوا واحد زيك فين؟ أنت أى واحدة تتمناك.. وأنا عشان خاطرك هلمحلهم وربنا يقدم اللى فيه الخير..

قام زياد بتقبيل أمه مسرورًا سعيدًا قائلًا: أنت أحلى أم فى الدُنيا..

قالت له أمه أيه بقى الحاجة الحلوة اللى هنقدمها للضيوف.. قام زياد مسرعًا وأحضر كثيرًا من عيدان النعناع الأخضر وقال لأمه اغسليهم واقطفيهم عقبال ما أعصر أنا الليمون ده ثم وضع أوراق النعناع بالليمون بالسكر ومعهم كثير من اللبن بالخلاط وأحضرت أمه الأكواب وقام بتقديم المشروب لضيوفهم وتضاحك الجميع إلى أن خرج زياد لمقابلة أصدقائه وجلست إسراء مع إيمان على سطح الدار وأصبحت أم إسراء وحيدة مع أم إيمان فقالت أم إسراء: بصى يا أختى كويس أن العيال خرجوا أنا عايزاك فى موضوع كدة.. أنتوا يا حاجة ناس كُمل وكويسين وأنا يا حبيبتى عايزة بنتك إيمان لأبنى زياد، وأنا يا أختى عارفة فى الأصول وطبعًا هجيلكم مصر أطلبها منكم قُلتى أيه؟

تصنعت أم إيمان الاندهاش وقالت: بصراحة يا أختى أنت فاجئتينى بالطلب ده.. وإحنا يا أختى مش هنلاقى أحسن منكوا بس مش هينفع أفاتح الحاج فى حاجة زى كدة لا دماغه تروح كدة ولا كدة ويقول العيال قعدوا مع بعض ولا حصل حاجة.. إحنا هنأجل الموضوع ده لحد ما تيجى تزورينا فى مصر.. وإن شاء الله خير يا حبيبتى.

***

بعد مغادرة العطار للبلدة؛ ووصوله إلى القاهرة.. لم يذهب لفتح المحل بل توجه إلى منزله مباشرة وقام بأحضار المبخرة وبعض الأدوات والمواد وقام بإشعال بعض الشموع وإطلاق البخور وأحضر ورقتين كتب على الأولى اسم فهيمة وكتب على الثانية اسم أمال وقام بتعليقهما وقال: يا رصدة الشياطين أجيبوا دعوتى بحق العزائم العبرانية والأقسام الملكوتية المكتوبة على قلب النجوم وعجلوا بالظهور.. أجيبوا يا خدام هذه الأسماء واحضروا الرصد مكرمًا معظمًا بين يدى بحق ما لها عليه من الطاعة والأحكام فانشق الحائط وخرج منه كائن طوله كطول طفل عمره سبع سنوات وخاطب العطار قائلًا: اسأل عما تريد.. فقال له العطار: أجلب الأوراق التى سرقتها فهيمة وأعطتها لأمال ثم غطى العطار وجهه بقماشة سوداء إلى أن هب هواء رطب ألقى بالقماشة من على وجه العطار ورأى الأوراق وهى تسقط على الأرض أمامه فقام بإحضار إناء زجاجى وكتب بداخله بمدادٍ أحمر بعض الكتابات وغطاه بإناءٍ آخر وذهب للاستلقاء على الأرض حتى غلبه النعاس وعندما استيقظ أخذ الإناء ووضع به بعض الماء ومحى به الكتابات الحمراء ثم فتح ستارة شباك الغرفة التى يجلس بها وجلس ينظر إلى النجوم المنتثرة فى السماء ثم تناول الورقتين من على الأرض ورسم على كل ورقة منهما نجمة وخط خطوطًا كثيرة فوق كل ورقة ثم قال: أقسمت عليكم يا خُدام الأرض والقمر والنجوم والكواكب، عزمت عليكم أيها الأمراء الطيارون بين الأرض والسماء.. بحق هذه الأسماء والطلاسم.. اطووا لى الأرض كيفما أشاء واحملونى بسرعة إلى أى مكان أريده دون تأخير أو سؤال أقسمت عليكم يا أعوان الرياح بالأسماء العبرانية والطقوس النارية وبمنازل النجوم والكواكب أن تحضروا أمامى فى هذه الساعة وطوى الورقتين ووضعهما على حافة الشباك ووضع فوقهما حجرًا ثقيلًا ونام حتى الصباح، وعندما استيقظ وجد الورقتين معلقتين فى عُنقه ولم يجد أثرًا للحجر الذى كان قد وضعه فوقهما فقام بإحضار بعض البخور وأطلقها بالمكان ثم قال: يا صاحب الحجاب احجب روحى عن الناظرين إنسهم وجنهم.. احجب الشياطين المؤذيين عنى، وحصنى منهم ذكرهم وأنُثاهم بحق هذه الأسماء عليكم وطاعتها لديكم وبحق الدعوات الروحانية لا تقربوا لأهلى ولا ولدى ولا مالى ولا دارى فى ليلٍ أو نهار ومن أرادانى منهم بسوء أو كيد أوسحر يبقى ممنوعًا مزجورًا خاضعًا لى.. احملونى الآن إلى بيت زياد ابن زينب بسرعة البرق؛ وفى لحظة واحدة أصبح العطار بمنزل أم زياد ورأى زوجته وابنته جالستين مع إسراء وإيمان وهم لا يرونه فوضع أوراق الأرض على عتبة الدار ورحل فى هدوء كما جاء؛؛ وفى هذه الأثناء سمع الجميع طرقًا على باب الدار فقالت أم إسراء: قومى يا إسراء افتحى الباب قامت إسراء بتكاسل لفتح الباب، وعند سيرها لفتحه وجدت كيسًا بلاستيكيًا

أمامه فتناولته ثم قامت بفتح الباب بدون النظر للطارق وهرولت مسرعة إلى أمها بالكيس وأشارت لها قائلة: كيس أيه ده يا ماما؟

خطف منها الكيس وقال لها بغضب: مش لما تفتحى الباب تشوفى مين برة وبعدين تعملى اللى أنت عايزاه.. افرضى أنه مش أنا اللى جيت دلوقت وفيه حد غريب تسيبيله الباب مفتوح يشوف اللى قاعدين جوة..

ردت أمه فى هذه اللحظة: يا سيد مش وقته الكلام ده.. افتح الكيس ورينا جواه أيه؟

فتح سيد الكيس فوجد به أوراقًا مطوية وفتح تلك الأوراق وقرأها وانفرجت أساريره وقال لأمه: دية حُجة الأرض يا اما.. عمى الحاج رضوان صدق فى اللى قاله.. هو قال الورق هيكون معانا بكرة ووفى بوعده ثم قام ذاهبًا إلى غرفته وهو يقول سيبولى بقى أنا الورق ده أنا هشيله بمعرفتى..

***

سمعت فهيمة طرقات على باب الدار فقامت بفتح باب الدار ووجدت دُنيا وأمال تظهر عليهما ملامح الخوف والقلق فبادرتهما بالقول: أيه اللى حصل؟

أمال: معلش يا حاجة إحنا تعبينك معانا بس حصل حاجة غريبة.. إحنا بعد ما مشينا من عندك وروحت أنا وأختى قلت أطلع الورق من شنطتى عشان أشيله مع باقى ورقنا، وحطيته على الترابيزة وسيبته لتانى يوم، ولما صحيت رُحت عشان أشيله وعقبال ما فتحت سحارة الكنبة اللى شايلين فيها الورق المهم وبالتفت ملقتش الورق، واللى جننى إنى كنت لسه شايفاه فقلت يمكن وقع من على الترابيزة وقلبت عليه الدنيا وملقتوش..

فهيمة: يعنى أيه الكلام ده.. اتفضلوا الأول.. وأنا هشوف أيه اللى حصل؟؟

جلست فهيمة مغمضة العينين تتلو تلاوات خاصة خافتة بخشوع لفترة طويلة ثم قالت لهما: يا جماعة فيه حد من الجن خد الورق ده.. أنا متأسفة يا جماعة... الموضوع ده خارج عن إرادتى، وما دام الملك اللى معاي مقدرش يتصرف؟ يبقى الموضوع كبير وداخل فيه ملوك أكبر منه..

بكت أمال وحاولت دُنيا التخفيف عنها فقالت لها أمال : أنا مش زعلانة على ورق الأرض أنا كنت هرجعه لصحابه بس بعد ما كنت أعرفهم إنى عارفة كل حاجة وإنى أقدر عليهم وإنى مش ولية مكسورة الجناح.. بس أنا اللى قاهرنى إنى كنت عايزة أشفى غليلى من بدر هو وأمه..

ربتت فهيمة على كتفها قائلة: من جهة الموضوع ده أنا خلصته خلاص.. بدر مش هيهدى ولا يرتاح إلا لما يجيلك ويقعد تحت رجلك ويطلب منك السماح بس اعملى حسابك أن بدر ده هيفضل تعبان لحد ما تقوليله خلاص أنا مسمحاك..

دُنيا: هو أنت عملتيله أيه يا حاجة؟

فهيمة: أنا عملتله حاجة اسمها إرسال هاتف..

ضحكت أمال ودُنيا فى تلك اللحظة وقالت دُنيا: يعنى هيفضل يتكلم فى التليفون على طول..

نظرت فهيمة لهما بصمت وبثبات إلى أن توقفتا عن الضحك وقالت: لولا أنى عارفة أنكم كويسين كنت اتصرفت معاكم تصرف تانى.. يا ستات يا محترمة الحاجة اللى متعرفوش عنها حاجة متتريقوش عليها، واللى يشوفكم من شوية وأنتوا بتعيطوا ميشوفكمش دلوقتي وأنتوا بتضحكوا.. على العموم إرسال هاتف دية حاجة كبيرة قوى.. وهى عبارة عن أن أمال هتزور بدر فى المنام على هيئة ثُعبان

كبير هيفضل يعضه ويضرب فيه كل ليلة، ومش هيخليه يعرف يأكل ولا يشرب ولا ينام لحد ما يحضر قدام أمال وهو نفسه مكسورة متعذبة وساعتها أمال بقى تسامحه أوتسيبه يتعذب طول عمره..

دُنيا: وأنت يا أختى هتعملى معاه أيه لما تشوفيه؟

نظرت أمال باستغراب ودهشة إلى أختها وقالت: أنت عليك أسئلة غريبة.. لما يحصل وأشوفه مش عارفة أنا هاعمل أيه.. ساعتها يبقى يحلها حلال، وبعدين مش خلاص المفروض نمشى من عند الحاجة وكمان عشان أجيب بنتى من عندك..

فهيمة: متقوليش كدة ده البيت بيتك.. بس لما يحصل وتشوفى بدر عندك ابقى بلغينى..

أمال: طبعًا أنا هقولك على طول ثم وقفت وأمسكت يد أختها وانصرفا من بيت الحاجة فهيمة.

وبعد مرور بضعة أيام وفى أثناء زيارة دُنيا لأختها سألتها قائلة: أيه يا أختى مش المفروض نروح نزور الحاجة فهيمة.. من آخر مرة كنا عندها مسألناش عنها تانى.. لازم نزورها عشان متزعلش مننا.. دية ست مبروكة برضة..

- أنا عايزة أزورها من بدرى بس كنت مستنية فرصة..
- هىّ مش قالتلك يا أختى أنك تتطمنيها عليك..
- عندك حق.. أنا عايزة أزورها عشان أحكيلها على أحلام بقيت أشوفها كتير..
- احكيلى يا أختى حلمتى بأيه؟
- لأ أنا مش هحكيلك لحسن الحاجة تزعل منى.. إحنا نروح نزورها وهناك أبقى اعرفى كل حاجة.. أنا هقوم ألبس وكويس أن البنت فى المدرسة.. ثم قامت الأختان بالانصراف لزيارة الحاجة فهيمة...

رحبت بهما فهيمة وبادرتها أمال بالقول: أنا يا حاجة عايزة أحكيلك على حاجات بشوفها فى أحلامى..

فهيمة: استنى بس نشرب حاجة وبعدين أحكيلى براحتك.. ثم قامت بإعداد مشروب ما، وفى أثناء ارتشافهم لهذا المشروب قالت فهيمة لأمال: احكيلى بقى يا ستى..

أمال: أنا بقالى كام يوم بأشوف بدر ابن جوزى وحواليه حاجات سودة عمالة تضرب فيه.. وهو عمال يعيط لحد ما صعب علي من كتر اللى عملوه فيه..

دُنيا: إحنا هانحن ولا أيه؟ مش هو ده اللى سرقك.. خليك جامدة أمال..

فهيمة: أنا يا أمال يا أختى مش اتفقت معاك أن بدر ده هيجليك ذليل.. و'نى هخليك تروحيله فى صورة تعبان وتضربيه، وهو لازم يجيلك يعترفلك بكل اللى عمله وهيستنى أنك تسامحيه..

دُنيا: طب بعد ما يجى يا حاجة ويعتذر هتعملى معاه أيه..

فهيمة: ده بقى اللى هتشوفه وقتها أختك أمال.. عايزة تسيبه هاسيبه.. مش عايزة تسيبه ومش هتسامحه أنا هخليه يلف حوالين نفسه.. بس يا ريت تبعتولى مبلغ تحت الحساب عشان نكمل المشوار والفلوس دية مش هاخد منها ولا مليم، ده هشترى بيها حاجات ضرورية عشان أكمل بيها شغلنا..

أمال: اللى تشوفيه يا حاجة.. أنا هابعتلك مع أختى دُنيا مبلغ كويس، وإحنا هنستأذن دلوقتي ولما يجيلى بدر هبلغك..

بعد انصرافهما قامت فهيمة بالذهاب إلى حظيرة ملحقة بالمنزل وقامت بإحضار شاه صغيرة وذبحتها بدون أن تذكر اسم الله عليها ثم أخذت قلب تلك الشاه وأحضرت مجموعة من الإبر الطويلة التى تستخدم فى خياطة مراتب السرير وتلت كلمات مبهمة على كل إبرة منهم ثم قامت بغرس تلك الإبر بقلب الشاه واحدة تلو الأخرى وهى تقول امرضوا جسد بدر ابن سعيد بكل الأمراض المؤلمة.. وسلطوا عليه الحمى والسهر ثم أحضرت بعض الخل والنشادر وملأت بها خرقة سوداء ولفت بها قلب الشاه وقامت بدفنها فى أرضية الحظيرة ووضعت عليها بعضًا من بقايا دماء الحيض وهى تقول: ألقوا العداوة والقتال بين أمال بنت فريدة وبدر بن سعيد حتى لا يتحادثان ولا ينظران إلى بعضهما البعض إلا بالبغض والكراهية..

أعُزم عليكم أيتها الأرواح المسلطة على جسد بدر بن سعيد أن تجلبوه إلى أمال والنار من فوقه لتحته.. وأمروا أعوانكم وخدامكم وأتباعكم أن يكونوا عونًا لسيد الأرواح.. ثم عادت مرة أخرى إلى داخل دارها وأحضرت المبخرة ووضعت بها بعض الأبخرة ذات الرائحة البغيضة المنفرة وقالت: يا أبا مُرة أجيبونى بحق النار وما تعبدون عزمت عليكم بحق الشياطين والمردة أصحاب التعقيدات أن تحضروا لى من سرق ورق أرض أمال بنت فريدة أمامى بهيئته وصفته..

أجيبى أيتها اللعينة الملعونة بالذى خلق به أباك من نار السموم، وإلا كنت من المرجومين.. ثم تمتمت بكلمات كثيرة جلست تُكررها مدة زادت عن الخمس ساعات إلى أن سمعت صوتًا رهيبًا ورأت أمامها امرأة عوراء ثيابها رثة ورائحتها كريهة جدًا فسجدت لها فهيمة..

قالت هذه المرأة: ما تُريدينه يا فهيمة يا قبيحة لا أستطيع الأتيان به.. إنه شيطان أقوى منى.. يمكنك فتح المندل فربما تشاهدى من أخذ هذه الأوراق، واحذرى فإنه أقوى منك ويمكنه هلاكك، ولن يُمكنك إذا عرفتيه إلا أن تأخذيه بالمكر والاستدراج.. لأنه إذا علم باستعانتك بى لإحضاره سيقطع يديك وسيأمر بقتلك أوسيسلط عليك الوحوش والهوام.. إنه أشرس الجبابرة..

قامت فهيمة بالسجود لها مرة أخرى ثم ألقت ببعض الأبخرة الكريهة مرة أخرى واختفت هذه العفريتة..

جلست فهيمة تفكر متحيرة فى هذا الشخص الجبار الذى لم يستطع الشيطان إحضاره، وتمنت بقرارة نفسها أن تقابله وتسيطر عليه حتى يكون لها خاضعًا.

وتمنت لو أنها استطاعت فى أن تسلط عليه أنواع الشتات والحمى فلا يستطيع أن يكون مرتاحًا إلا بوجوده بجوارها وحدثت نفسها وقلبها مشغول بمن لا تعرفه فربما يكون شريكًا لها فى مشوار حياتها..

***

مرت أيام قليلة قضاها رضوان العطار فى مصر وقام بفتح محله ومارس طقوس حياته بصورة طبيعية، وبعد عودته لمنزله بعد قضاء يوم عمل شاق بمحل العطارة وبمجرد دخوله للشقة وقف ينظر لكافة جوانبها فقد شعر بإحساس الساحر بأن أحدهم جَاسُ شقته فى أثناء غيابه فاحمر وجهه وتوجه غاضبًا إلى غرفته وأحضر طاسة عميقة وسكب بها بعض الماء وأضاف إليه قليلًا من الزيت ووضع فوق الزيت بعض نقط الحبر الأزرق وقال: أقسمت عليكم أيها الجن والعُمّار أن تنصرفوا جميعًا من هذا المكان وأن لا تفسدوا عملى ولا كتاباتى واحفظوا قراءاتى ودوائرى.. بحق الملك طارش الحاكم عليكم اتركوا المساعدين لى على سجيتهم حتى يقضوا حاجتى..

بحق صاحب الاسم الكبير الذى يُمطر السماء فوقكم نارًا وشرارًا، وكتب كتابات ورموزًا وأرقامًا بماء دم الغزال و أذاب ما كتبه بطاسة الماء وقال "فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد"..

انزلوا حتى أراكم بعينى وأكلمكم بلسانى.. أأتونى من مشارق الأرض ومغاربها فلى عندكم حاجة ولكم عندنا كلمة فسمع من قال: حضر الخيال فى الطاسة فقال العطار للخيال: اكنس المكان ورشه وضع الكراسى وأحضر الخرفان واذبحها وأعد الطعام، ورأى كائنات كثيرة مهيبة تدخل عليه الغرفة وعلى رأسهم قائدهم الآمر لهم فقال له العطار: تفضل بالجلوس وأمر أعوانك بالأكل والشرب..

بعد مرور برهة من الوقت قال قائدهم للعطار: أعوانى وخدامى تحت أمرتك فانظر ماذا تريد؟

قال له العطار: أريد أن أرى من حاول دخول شقتى والتجسس على أحوالى..

فى تلك اللحظة دارت هذه الكائنات حول بعضها وشكلوا شكلًا لإنسان بلا ملامح خاطب العطار وقال له: هناك امرأة تسمى فهيمة طلبت من أحد الأعوان أن ترى من سرق ورق أرض أمال بنت فهيمة وأن يحضر أمامها بهيئته وصفته.. وها هى المرأة التى طلبت ذلك، وتشكل هذا الإنسان بشكل فهيمة.. فنظر إليها العطار مليًا فوجدها امرأة شابة حسناء اضطرب لرؤيتها قلبه ثم اتجه نحو الطاسة وأخذ يرش الماء فى أنحاء الغرفة وهو يقول: انصرفوا سلامًا عليكم بحق درميش الملك الموكل عليكم..

انصرفت كافة الكائنات وجلس العطار وحيدًا يفكر فيما جعل قلبه يضطرب عند رؤيته لفهيمة، ولما انعكست مشاعر الحب لديه لأحاسيس فارغة من الحب تجاه زوجته ومشاعر مليئة بالرغبة العميقة تجاه فهيمة؟

وكيف أطلقت له نفسه العنان ليشتهى امرأة أخرى بعد سنوات علاقته الدائمة الطويلة بزوجته؟

إنه يشعر باندفاع قاهر لذاته تجاه فهيمة لذا قرر زيارتها ورؤيتها وليكن ما يكون، وحدثته نفسه قائلة: ماذا ستفعل إذا كان قلب هذه الأنثى مشغولًا بآخر؟ فأجابها: من الجيد أنك ذكرتينى بهذا.. سأفعل الآن ما يجلبها لى وحدى وأن يطمس بقلبها حب أى كائن غيرى وقام بكتابة أسماء بكف يده اليمنى ووضع بخورًا طيبًا بالمبخرة ثم وضع كفه على دخان هذا البخور المنبعث من هذه المبخرة وجلس يتلو تلاوات خافتة، ووقف وهو يردد تلك التلاوات إلى أن اختفى وظهر مرة أخرى ولكن فى منزل فهيمة..

دار ببصره بأنحاء منزلها وقصد غرفة مغلقة فتحها ووجد فهيمة مستلقية تغط فى نومٍ عميق فاتجه نحوها ومس بكفه التى عليها الكتابة قدمها وقال: أجب يا معروف يا أبا المعارف، ويا زهر الخاطف، ويا طقطوش، ويا ميمون الخاطف واخطف عقل فهيمة وقلبها، وتوكل بها وقيد النار فى جسدها حتى لا تُطفىء إلا بقربها منى..

أقسمت عليك يا حارث يا إبليس يا ابن الطاغوت أن تعقد نوم فهيمة فلا تنام إلا بارتوائها منى..

فى تلك اللحظة تراجع بهدوء عندما رأى فهيمة تصحو من نومها وتجلس متربعة على سرير نومها وهى تنظر له مبتسمة وتقول: لم يصل أحد قبلك لغرفة نومى إلا ملكى الحبيب الذى يرافقنى الذى جعلنى آراك منذ وطئت قدمك لمنزلى ولقد تركتك تفعل ما تريد كما أمرنى والأن قل لى من أنت؟ وكيف حضرت إلى هنا؟ ولماذا؟

رد عليها العطار بتهكم: ما تخلى الملك اللى بتقولى عليه يجاوب على أسئلتك..

- أنا سألته بس لأول مرة ميجاوبنيش..

- أنت اللى دعتينى عندك..

فهيمة ضاحكة: شرفت وآنست بس أنا مش فاكرة إنى عملت حاجة زى كدة..

- مش أنت اللى دورتى عليّ وكنت هتموتى من الغيظ لما معرفتيش تشوفينى..

مرت فترة من الصمت وفهيمة تنظر للعطار بإمعان ثم ضحكت وقالت: أيوة أيوة أنت الراجل الجامد قوى اللى عرف يسرق ورق الأرض بتاع أمال، واللى الأعوان مقدروش عليه.. ده حتى خافوا يقولوا اسمك..

- عيب لما تقولى عليّ حرامى وإنى سرقت ورق من أمال.. فى الأصل الورق ده مش بتاعها وشوفى بقى مين اللى سرقه فى الأول..

- أنا لو كنت أعرف أن الورق ده يخصك كنت استأذنتك فى الأول بس أنت عارف لما حد يجى يقصدك فى شغلانة بتحاول تخلصها، وبينى وبينك الست غلبانة ومكسورة الجناح وكان لازم أساعدها بس ما دام أنت قلت الورق ده ميخصهاش يبقى كلامك نافذ وأنا مش هساعدها تانى، وحتى الهاتف اللى عملته لابن جوزها اللى اسمه بدر أنا هعكسه وكل حاجة ترجع زى ما كانت..

قاطعها العطار فى تلك اللحظة قائلًا: وأنت ليه عملتى هاتف لبدر؟

- أنا تلميذتك.. أنا عملت كدة عشان هو اللى سرق الورق من أبوه وأنا وعدت أمال يجيلها زاحف..
- أنا عايزك تفضلى ماشية فى موضوع الهاتف ده ولما يجى لأمال أنا عايز لأبقى موجود عشان بينى وبينه تار قديم ثم نظر إليها مبتسمًا وقال: إنما أنت مخوفتيش لما شوفتينى كأنك كنت مستنيانى..

ردت فهيمة مبتسمة بحنان: أنا منكرش إنى كنت عايزة أشوفك وكنت على أتم استعداد أنى أعمل أى حاجة عشان أشوف الراجل اللى مقدرتش عليه، ومن ناحية الخوف أنا هاخاف من أيه؟ أنا معاي ملك بيحمينى بالإضافة إنى لقيتك بتتكلم نفس لغتى..

العطار مندهشًا: نفس لغتك.. إزاي يعنى؟

فهيمة ضاحكة: وأنا نايمة أنت لمست رجلى وكنت بتقول حاجة تسمح تقولى كنت بتقول أيه؟

نظر العطار إلى الجهة الأخرى وأجاب وقد شعر بالإحراج: ابدأ أنا كنت عايز اعرف أنت مين..

ضحكت فهيمة بمجون: يا راجل قول كلام غير ده.. بقى أنت جى عندى هنا ومدخلتش من باب ولا شباك وقدرت تطوى الأرض عشان عايز تعرف أنا مين ونظرت بعينيه وقالت: أنا هاقولك: أنت حطيت إيدك على رجلى عشان تسلب عقلى وتاخد قلبى وتخلينى مقدرش أعيش إلا بيك وفى الآخر بتقول أنا كنت عايز أعرف أنت مين!!

العطار محاولا تجنب النظر بعينيها ناظرًا يمينًا ويسارًا قال: أنت عايشة هنا لوحدك؟

قامت فهيمة من السرير بملابس النوم الفضفاضة الجذابة واتجهت نحو العطار مباشرة، وداعبت خصلات شعره البيضاء وقالت بنبرة حزينة لا تخلو من الرقة: أنا عايشة هنا لوحدى، ومش معاي ولا جوز ولا عيال.. أصلى ملقتش الراجل اللى يملى عينى.. بس الغريب أن الراجل ده يجيلى لحد عندى هنا.. ده أنا صحيح محظوظة..

قام العطار بإزاحة يدها العابثة بخصلات شعره وأمسكها براحة يده وقام بتقبليها قائلًا: أنا مش عارف أيه اللى جرى لى لما شفتك.. أنا حاسس إنى اتهزيت مع أنى صعب أن فيه ست تهزنى..

- أنت متجوز؟

- وعندى بنت على وش جواز..

- اسمك أيه؟

- رضوان.

- أنا كمان لما حاولت أعرف مين اللى سرق الورق وحذرنى الخدام منك وكلمونى عنك وعن جبروتك حسيت أنى عايزة أشوفك، وأمسكت بيدها الأخرى يده الممسكة بيدها وسارت به نحو السرير وأجلسته وظلت هى واقفة وقالت بحنان عميق وبصوت أنثوى خلاب: أنا كمان حبيتك.. أنت الراجل الوحيد اللى هيفهمنى والراجل الوحيد اللى حاسة إنى هاكمل معاه مشوار حياتى..

وضع العطار رأسه بصدرها وقال: بس أنا متجوز ومش معقولة أنى بدل ما أجوز بنتى أروح أتجوز أنا..

- ومين جاب سيرة الجواز أنا عايزاك جنبى على طول وسيبك من الشكليات دية.. ده أنا ما صدقت أقابلك.. أنت متعرفش أنا كل يوم بنام فى وحدة إزاى، ولما بيكون الجو بارد مبلاقيش حد يدفينى.. حتى الناس اللى بتعامل معاهم حاسين إنى حجر معنديش إحساس.. كل همهم يخلصوا من مشاكلهم وهمومهم وعمر ما حد قالى أنت حاسة بأيه؟ ولا نفسك فى أيه؟ محدش فيهم حس إنى ست زى بقيت الستات عايزة أحب واتحب..

أجلسها بجواره على السرير وربت على صدرها قائلًا: أنت عارفة أن الناس اللى زينا متخلقوش عشان نفسهم.. إحنا اتخلقنا عشان نخدم الناس.. هو ده نصيبنا.. ومتزعليش نفسك.. أديك فى الآخر لقيت اللى بتدورى عليه

- بس أنت كُلك مش لي..

- حتى لو قابلتينى أوقات صغيرة مش مهم.. المهم هو إحساسنا ببعض.. وأنا هعلمك تطوى الأرض إزاي عشان لما تحبى تجيلى، وهعلمك كمان الإخفاء عشان لو مش حابة حد يشوفك ثم تنهد قائلًا: الدنيا دية غريبة يعنى فيها أيه لو كنت قابلتك من زمان مش يمكن كانت حاجات كتير اتغيرت..

فهيمة: أنا مش عارفة أواسيك ولا أواسى نفسى بس يمكن مكناش هنحب بعض زى دلوقتي..

فى هذه الأثناء تحول جليد القطبين إلى جحيم ملتهب، وتوقف الزمن بهما وقيدهما بالالتحام الجسدى داخل دائرة صراع الشهوة الحيوانى كمراهقين ينهلان لأول مرة فى حياتهما من بحر النشوة ليُشبعا رغبتهما الخبيثة التى تلاقت تحت ظلال السحر المُحرم..

أحاط كل منهما بعنق الآخر، وارتشفا معًا من بعضهما ما يُلبى نداء الغريزة بداخلهما.. وكلما ارتشفا ازدادا عطشًا..

لم ينم أي منهما حتى استهلكا كامل رصيد سنوات الحرمان من اللذة كعروسين فى ليلة زفافهما، وفى الصباح طلب العطار الاستئذان وهم بالانصراف للذهاب لزوجته على وعدٍ منه لعشيقته بالعودة فى أقرب وقت ممكن..

سار العطار بطرقات البلدة منتشيًا إلى أن وصل إلى منزل زياد وأسرته وطرق الباب واستقبله أهل الدار.. ورحبت به زوجته وأعدت له طعام الإفطار وقالت له مبتسمة: الحمد لله على وصولك بالسلامة..

العطار بتجهم: الله يسلمك..

الزوجة: مالك يا حاج أنت تعبان ولا حاجة؟ ولا يمكن أنت متضايق على قعدتنا هنا.. ثم نظرت له ضاحكة وهى تضغط على مخارج الحروف وقالت: ولا قعدتنا فى الشقة وحشتك..

- لا أبدًا.. أنا كويس.. بس دماغى مشغولة بموضوع كدة..

- خير يا حاج؟

- أنا فكرت كويس وقررت أنى أشترى أرض هنا فى البلد وابنى بيت وأفتح تحته دكان عطارة.. أصلى بينى وبينك زهقت من مصر وزحمتها..

- يا ريت يا حاج.. دية بشرة خير.. ده أنا حتى حبيت القعدة هنا..

- لأ.. إحنا مش هنسيب مصر خالص برضه إحنا هنكون هناك وهشوف دار كدة أقعد فيها لحد ما أشترى الأرض وأبنيها وأنت وإيمان تشغلوا المحل فى مصر..

انتاب زوجة العطار شعور بالضيق فقالت متأففة: أنت هتسيبنا نقعد لوحدنا فى مصر..

- هى دية أول مرة.. ما أنا ياما سافرت وسبيتكوا لوحدكو، وبعدين مفهاش حاجة لما نستحمل شوية لحد ما نبنى البيت ونفتح المحل.. ما هو كل حاجة هتبقى ليكوا..

- ربنا يديك الصحة يا حاج ويطول فى عمرك، وبالمناسبة دية ياحاج أنا عايزة أفاتحك فى موضوع الحاجة أم زياد طلبت إيمان بنتنا لزياد ابنها..

- وأنت رأيك أيه؟

- أنا شايفاهم ناس كويسين، وزياد ابن حلال ومؤدب ومش هنلاقى عريس أحسن منه لبنتنا..

- وإيمان رأيها أيه؟

- أنا مقولتلهاش أى حاجة.. قلت أشوف رأيك أيه فى الأول..

- خليهم يقعدوا مع بعض قدام عينك، وبعد كدة شوفى رأيها أيه؟ و إذا وافقت كان بها، و إذا موافقتيش خلاص، واعملى حسابك أنا هاطلع دلوقتي أدور على حتة أرض أوبيت مبنى يكون معروض للبيع وبعد كدة هسافر على مصر..

سارت الزوجة مع زوجها حتى باب الدار مودعة له وداعية له بالتوفيق ودخلت إلى أم زياد مكفهرة الوجه مشغولة الخاطر فبادرتها أم زياد قائلة: مالك يا حاجة؟ فيه حاجة حصلت بينك وبين الحاج؟

- لا أبدًا محصلش حاجة بس قلبى مقبوض مش عارفة ليه؟ حاسة أن الحاج متغير..

- وأيه اللى مخليك حاسة بكدة؟

- أنا فاتحته فى طلبك بنتى إيمان لأبنك زياد، ومهتمش وفجأة كدة لاقيته بيقولى عايز يشترى بيت هنا فى البلد ويفتح دكانه هنا بدل مصر..

تهللت أسارير أم زياد وقالت: ده يوم المُنى لما تقعدى جنبى هنا فى البلد، ولا أنت مش عايزة تقعدى معانا ؟

- أبدًا يا أختى أنت عارفة مَعَزّتْك عندى بس أنا مستغربة الحاج لأنى ياما قُلتله نيجى نقعد فى البلد ومكنش بيوافق مش عارفة أيه اللى حطها فى دماغه دلوقتي؟ أنا حاسة أن في حاجة حصلت خلت الحاج يغير رأيه..

- متقلقيش يا أختى تلاقى مواضيع الشغل شغلاه ولا حاجة.. بس أنت مقولتليش هو قالك أيه على موضوع زياد وإيمان؟ نقول مبروك ولا لسه؟

- ما أنا قُلتلك أنه مردش عليّ وقال نتكلم فى الموضوع ده لما نروح بيتنا، وساعتها أنا هاشوف دماغه فيها أيه؟

فى تلك الأثناء دخلت عليهما إسراء وقالت ضاحكة: أنتوا هتأكلونا أيه النهاردة؟

- يا بت لمى نفسك وخليك مؤدبة قدام الضيوف..

- ضيوف أيه يا ماما؟ ده مامة إيمان مامتى برضه..

- طب روحى حضرى الفطار..

- هاخد إيمان أختى حبيبتى وهنحضرلكم أحلى فطار ثم خرجت من الغرفة منادية على إيمان..

جاءت إيمان وطلبت منها إسراء مساعدتها فى إعداد طعام الإفطار، وقالت إسراء لإيمان: مش أنا عرفت من ماما أن زياد طلب أيدك.. عقبالى أنا كمان..

لم ترد إيمان فقالت لها إسراء: أنت مش فرحانة ولا أيه؟ ده أنا هطير من الفرحة عشان أنت مش هتقدرى تفارقينى..

- بلاش نتكلم فى المواضيع دية وخلى كل حاجة بأوانها..

- أنت هتعملى مكسوفة ولا أيه؟ ده أنا هأقرصك فى ركبتك عشان أحصلك فى جمعتك..

- لو سمحت يا إسراء بلاش الهزار ده.. أنا مبفكرش فى المواضيع دية.. وبعدين أنا لسه عندى دراسة ومصممة أكمل تعليمى..

- هو فيه حد قالك أننا هنقعدك فى البيت..

- للمرة الثانية يا إسراء متتكلميش معاي كأنى موافقة ومتزعلنيش منك..

مرت فترة وجيزة من الصمت إلى أن قالت إسراء وهى غاضبة: براحتك يا إيمان بس زياد أخوي مفهوش حاجة تتعيب وأى بنت تتمناه..

- متفهمنيش غلط يا إسراء.. أنا بس مفكرتش فى الموضوع ده..

- كل شىء قسمة ونصيب يا إيمان، وأنت هتفضلى أختى برضه..

احتضنت إيمان إسراء بحب وقالت: يا حبيبتى أنا مش عايزاكى تزعلى منى.. بس.. ولم تكمل كلامها فنظرت لها إسراء متسائلة: هو فيه حد فى حياتك يا إيمان؟

- مش للدرجة دى.. أنت فهمتينى غلط..

- لو أنا أختك بجد صارحينى أنت جواك أيه؟

- متزعليش منى يا إسراء.. الصراحة أنا زى ما حاسة أن أنت أختى برضه حاسة أن زياد أخوي.. أنا مش حاسة ناحيته بأى حاجة..

- ما أنت محاولتيش تقربيه منك، ومش بتديله ريق حلو..

- يا إسراء حسى بي.. زياد أخوي ومش قادرة أشوفه غير كدة، وأضافت بحدة: الجواز مش بالعافية يا إسراء

- براحتك يا إيمان، وعلى العموم أنا مش هاكلم ماما فى الحوار اللى حصل بينا يمكن تغيرى رأيك بس عشان الواحدة تقدر تحكم على حاجة زى دية لازم تدى نفسها فرصة تتعامل الأول وتشوف الشخص كويس وبعدين هى حرة فى رأيها ..

- أنا عارفة أن زياد بيحاول يتقرب منى، واللى أنت مش عرفاه أن ماما قلتلى أنه اتقدملى.. بس كل شىء قسمة ونصيب.. أنت عارفة أن الواحدة مننا لازم ترتبط بالإنسان اللى فى خيالها، وبصراحة زياد مش الراجل اللى فى خيالى..

- اديك قلتى.. خيالك.. يعنى مفيش حاجة على أرض الواقع ويمكن اللى فى خيالك ده متلقهوش أصلًا.. ساعتها هتقعدى بقى من غير جواز..

- يمكن الأيام تثبت أنى غلط بس لحد ما تثبت أنا مبفكرش فى المواضيع دية..

- دية آخر مرة هكلمك فيها فى الموضوع ده.. يلا نحضر الفطار..

انهمكت الفتاتان فى إحضار طعام الإفطار بلا أى حوار..

***

لم تقتصر الآلام التى تعرض لها بدر فى أحلامه على نومه فقط بل امتدت هذه الآلام لأوقات يقظته لتتحول حياته إلى جحيم من الضربات التى تنهال عليه نائمًا ويقظًا فرأى حياته سوداء قاتمة، ولاح له الأمل عندما شاهد عنتر أمامه فجأة فقال بأنين المظلوم: أنت فين يا عم عنتر؟

قال له عنتر بتوجس وهو ينظر إليه مليًا: مالك أنت مبتنمشى ولا أيه.. أيه اللى عمل فيك كدة؟؟

- من ساعة ما أنت نزلت تحت وأنا بشوف حاجات شكلها وحش عمالة تضرب فيّا ليل ونهار لحد ما فكرت أنتحر ثم قص عليه كل ما حدث له، وحكى له عن رؤيته لماريا وزوجة أبيه فى أحلامه..

وضع عنتر يده على جبهة بدر وتمتم ببعض التمتمات وانعقد حاجباه فقال له بدر خائفًا: فيه أيه؟

- إزأى ده يحصل فى بيت عنتر؟ أنا هاعرفهم أنا مين..
- يا عم عنتر طمنى فيه أيه؟

قال له عنتر بقوة وثبات: متخافشى طول ما أنا هنا.. أنت معمولك عمل وأنا هدمرلك اللى عملهولك.. أنا هانزل تحت شوية صغيرين وهجيلك على طول..

- تانى يا عم عنتر.. ده أنت بتنزل تحت وتغيب بالأيام.. عشان خاطرى متسبينيش تانى..
- متخافشى أنا مش هغيب عليك..

ترك عنتر بدر ونزل إلى باطن المقبرة مرة أخرى وأزاح بقدمه ما تبقى من جثة الطفل الذى ذبحه ثم وضع بعض المواد كريهة الرائحة بالمبخرة، وأحضر ضفدعة ميتة وسلخ جلدها وقام بجرح إصبعه وترك الدماء تسيل منه على هذا جلد الضفدعة ورسم مثلثًا على الأرض المخضبة بدماء الطفل المذبوح، ورسم نفس المثلث بصورة مصغرة على سكين كبير كانت معه وغرس جلد الضفدعة بالسكين وغرسها بوسط المثلث المرسوم على الأرض، وأخذ قطعة جلد من كلب كان قد ذبحه مسبقًا بباطن المقبرة ووضعها على الأرض ثم أحضر طبق معدنى وضعه على حجر كبير ووضع بداخله بعض الشمعات المشتعلة والتى انصهرت وأصبحت كالماء وأحضر ريشة دجاجة ورسم بها على جلد الكلب صورة لسيدة وكتب بالشمع المنصهر على رأسها مريخ عقرب، وعلى وجهها زهرة بيضاء، وعلى عُنقها قمر سرطان وعلى صدرها شمس أسد وعلى ظهرها مُشترى قوس وعلى بطنها جوزاء عطارد، وقام وهو يُحدث نفسه كأنه يُذكرها وتناول بعض أنواع البخور وقال: أدي صبر وأدى مُر وده حنتيت ثم ألقى بهم فى المبخرة فانطلقت منها تلك الرائحة الكريهة المنفرة وقال: يا أعوان ووزراء إبليس

أسألكم بالأرواح الروحانية أن تحضروا لى هدلياج العفريت ابن إبليس ابن الطاغوت.. وأحضروا أصحاب الجهات الأربعة المتوكلين بالفلك الدوار وبحركات الليل والنهار..

عزمت عليكم بأهيا شراهيا أدوناى أصباوت آل شداى.. أطيعوا عزيمتى وأجيبوا.. يا خدام هذه الأسماء والطلاسم أحضروا لى هذا العارض من الجن ومن الشياطين ومن الهوام الذى تجرأ على عبدكم؛ وأرسل على ضيفه بدر الهاتف، واربطوا قرين من فعل ذلك أمامى بالسلاسل.. وإلا سلطت عليكم العذاب وزجرتكم باللهب والنيران..

فى هذه اللحظة وعلى أضواء الشموع رأى عنتر خياله يتحرك ويتشكل على شكل عقرب أسود ضخم بشع المنظر مخيف فتوجه عنتر نحوه بثبات وسجد له ولم يرفع رأسه من سجوده إلا عندما شعر بهواء حار شديد يضرب المكان فرأى فتاة شابة طولها لا يتجاوز المتر شعرها أحمر ناعم جدًا يستكين على الأرض من طوله لها قرون صغيرة..

رمقها باحتقار وقال لها: أنت بقى اللى اتجرأت ودخلت بيتى وأهنتينى مع ضيفى..

ظلت الفتاة مُطأطأة الرأس وقالت: سيدى.. أنا لم أفعل أى شىء.. مولاتى هى من فعلت ذلك..

ملأت وجه عنتر تعابير الاندهاش وقال: مولاتك.. يعنى أيه مولاتك؟

الفتاة: مولاتى فهيمة خادمة الملك ميططرون..

فتح عنتر فاهه وظل ناظرًا إلى الفتاة وقال: أنا عايز أشوف مولاتك دلوقتي.. فتشكلت الفتاة فى شكل امرأة فاتنة نظر إليها عنتر مبهوتًا وقال لها: أنت مين؟

قالت المرأة: أنا فهيمة عبدة الملك ميططرون..

- أنت اللى بعتى الهاتف على بدر..
- أيوة.. ده كان طلب أمال مرات أبيه..
- وهو أذاها فى أيه؟
- سرق ورق أرض من أبيه واداه لولاد عمه..

عنتر بحدة وغضب: انصرفوا جميعًا أيتها الأرواح الشيطانية ثم مد يده وتناول زجاجة من على الأرض ونهض قائمًا على قدميه وهو مطرق الرأس ووضع يده على صدره ثم جلس جلوس العبيد وقال: أقسم على كل روح خُلق من نار السموم.. أقُسم عليكم يا معاشر الشياطين والخدام والأعوان

بحق إلهى إبليس بأن تذهبوا إلى فهيمة بنت حُسنة وإن كانت نائمة فأيقظوها وإن كانت مستيقظة فطيروها بألف جان عن يمينها وألف جان عن شمالها وألف وسواس داخل رأسها وكلوا لحمها واشربوا دمها ثم قيدوا العفريت الملك ميططرون الذى معها واسُجنوه فى هذه الزُجاجة حتى أراه بعينى وأسمعه بأُذناى ثم أحضر زجاجة فارغة وظل ينظر إليها حتى اسودت الزجاجة تمامًا فلف عليها جلد الكلب المرسوم عليه بالشمع وربط عنق الزجاجة بخيط قوى وصب عليه بعض الشمع المنصهر، وغطى قطعة الجلد الملفوفة على الزجاجة بهذا الشمع المنصهر حتى غطاها بالكامل بهذا الشمع المنصهر الذى تجمد عليها ثم كتب على الشمع المتجمد على الزجاجة بعض الرموز، ودفن الزجاجة بأرضية المقبرة المرتوية بالدماء وركع على ركبتيه وقال: يا هول يا شطيوش يا كيكاش بحق إبليس وطاعته عليكم أسلطكم على فهيمة حتى تأتى إلى عندما أناديها خاضعة ذليلة ذاهلة حيرانة.. أجيبوا بما وكلتكم وأمرتكم فظهرت كائنات تشبه الكلاب برؤوس آدمية فقال لهم: احرسوا مقبرتى وضيفى بالوساوسة والشياطين..

اهتز باطن المقبرة فى هذه الأثناء، وانتشر ضباب كثيف فشعر عنتر بحضور قوى لأحد الشياطين فابتسم مطمئنًا عندما رأى عاينة بنت خالة ماريا فقال لها: أنت نزلت هنا إزاي؟ أنا لما أطلع لبدر هعلمه إزاي ميقولش لحد على مكانى..

ابتسمت عاينة قائلة: بدر مين ده اللى يقولى أنت فين؟! أنا لما أحب أشوفك هشوفك فى الوقت اللى يعجبنى..

- أنا عارف من الأول أنك مش إنسية.. ودلوقتي أنت عايزة أيه؟
- أنت اللى عايزنى أساعدك...

ضحك عنتر ضحكة ارتجت لها جدران باطن القبر وقال: أنا عايزك تساعدينى أنا.. باين عليك مش عارفة أنا مين، وبرضة مش عارفة حاجة عن أعوانى وخدامى..

- أنا عارفة قدراتك كويس وأنت متوصى عليك من الملكة ذات المحاسن بنت الهنا إبليس..

انحنى عنتر بطريقة مسرحية وقال: المجد لآلهنا وأولاده.. شوفى أنت طلباتك أيه؟ وأنا كلى تحت أمرك..

- أنا مليش طلبات أنا جاية أساعدك فى اللى أنت بتعمله.. أنت خلاص بقيت واحد مننا..

- أنا كنت هنا بكمل طقوس عبادتى لإلهى أبليس ولما انتهيت منها طلعت لاقيت فيه واحدة اسمها فهيمة أرسلت على بدر هاتف.. الواد مكنش بينام ليل ولا نهار من كتر الضرب اللى اتعرض له.. أنا مهمنيش العارض اللى اتعرض ليه أنا كنت أقدر أخلصه منه فى ثانية واحدة بس المشكلة أن بدر ده ضيفى ومينفعش حد يتعرض له..

المهم أنا حبست الملك ميططرون اللى كان معاها فى الإزازة اللى قدامك دية وكدة كدة أنا هجيبها قدامى هنا بس مش وقته..

قالت عاينة بتهكم: أمال أمتى وقته؟ لما تروقلها.. بلاش تلعب عليّ.. أنت لما شفت قرينها اتشكل فى صورتها عجبتك..

- وليكن.. أيه المشكلة يعنى ما أنا عايش لوحدى وبرضه محتاج لست.. ودية مش ست عادية.. دية ست معانا فى دُنيتنا اللى عايشنها وهتبقى عارفة حياتنا وكمان هتساعدنى فى شغلى، وبعدين هى لو كانت عارفة أن بدر ده يخصنى مكنتش قربت منه..
- أنت متهيألك أنك هتعرف تجيبها بسهولة.. أنت صحيح قدرت تسجن الملك اللى معاها بس ده مش هيكون لفترة طويلة لأنها هتعرف ترجعه تانى..
- هى لو كانت جامدة زى ما بتقولى مكنتش خليتنى أعرف أشوفها أو أجيب قرينها هنا..
- المشكلة مش فيها هىّ.. المشكلة أن معاها آدمى اسمه رضوان.. عامل عقود ومواثيق قديمة قوى ومعاه ملوك وخدام وأعوان فى منتهى الخطورة، ولما تحكيله فهيمة عن اللى حصل مش بعيد يقدر يخلص عليك..

نظر لها عنتر باهتمام وتوجس ثم قال بتكبر: أنا مفيش حد يقدر عليّ وأنا هوريك بعنيك دلوقتي ثم تمتم قليلًا وسجد مرة أخرى ثم قام وقال: أيها الزوابعة اركبوا الرياح وأتونى بفهيمة بنت حُسنة بأسرع من البرق الخاطف..

أرتج المكان وهبت رياح عنيفة بصوت مخيف فنظر عنتر إلى عاينة مبتسمًا ابتسامة الواثق بنجاح طلبه، فبادلته عاينة الابتسام و أشارت له إلى الأرض فنظر عنتر ليجد أرضية باطن المقبرة وقد امتلأت بكائنات تُشبه الخنافس.

عاينة: شُفت بقى أن كلامى صح وإن أنت محتاج مساعدتى.. فهيمة دية حواليها حجاب عاملهولها رضوان عشيقها ومش بعيد بدل ما تجيب أنت فهيمة هنا يجيبك أنت رضوان هناك، واعمل حسابك لو قدر يخدك أو يجيلك هنا.. هتبقى دية نهايتك..

عنتر بتجبر: أنا مبخافشى.. بالإضافة لأن الأعوان والخدام اللى اتسخروا ليّ بيحمونى، وبعدين أنا ميهمنيش ولا رضوان ولا غيره ده أنا معاي سيدنا الحارث بنفسه..

- خلاص سيدنا الحارث يبقى يفاضل بينكم بس خلى بالك الراجل اللى اسمه رضوان ده قدم حاجات وخدمات لسيدنا الحارث، ومن الصعب إنه يختارك أنت..

راجع نفسك كويس أنت محمى فعلًا دلوقتي بس مش بسبب أعوانك وخدامك وإنما بسبب حماية الملكة ذات المحاسن ليك، لأن وقت رضوان ده ما يعرف اللى أنت عملته مع فهيمة مش هيرحمك.. وإحنا عملينلك حجاب بس مش هيطول كتير وهيقدر يكسره ويشوفك..

عنتر بحدة وغضب: يعنى أعمل أيه دلوقتي.. أنت محسسانى إن رضوان ده أبليس نفسه؟

تجاهلت عاينة ردة فعله وقالت: مفيش حل إلا أننا نقلب حياته ونشغله بيها.. مراته من ناحية، وفهيمة من ناحية وأنت من ناحية، وبنته من ناحية لحد ما يضعف تركيزه ونستغل إحنا ضعفه ده ونحاول نخلى حد من اللى حواليه يخلص عليه ولما يخلص عليه تبقى فهيمة بتاعتك وتعيش ساعتها زى ما أنت عايز..

- أنا عايز أفهم مصلحتك أيه فى مساعدتك ليّ؟
- بصراحة أنا ليا تار عند رضوان العطار..
- ياه.. جنية من عالم الشياطين ليها تار عند إنسان من ذرية آدم ومش عارفة تاخده.. ده باين الإنسى ده جامد قوى.. صحيح قبل ما أنسى هى قريبتك ماريا فين؟ مش باينة يعنى!!
- أنتوا يا آدميين تفكيركم غريب، المفروض إنك مشغول وبتفكر فى موضوع فهيمة وأنا شغلتك أكتر لما كلمتك عن رضوان اللى مع فهيمة وأنت بتسألنى عن ماريا.. بس أديك بتتكلم فى أى حاجة وخلاص.. يا سيدى أبقى دور عليها ولما تجيلك أبقى اسألها بنفسك ثم تأففت قائلة: حاجة غريبة.. أنت كان لازم تفكر معايا إزاي هنقلب الناس اللى حوالين رضوان عليه؟

عنتر بلا مبالاة: وأنا أفكر ليه أنا مليش أى مصلحة مع رضوان ده بس لو جه فى سكتى هافرمه..

ابتسمت عاينة بتهكم وقالت: هاتفرمه.. أنت فاكر نفسك فى خناقة..

فى تلك اللحظة تراجعت عاينة وعنتر إلى الوراء عندما انشق جدار باطن المقبرة ليخرج منه حية عظيمة هائلة بعيون مشقوقة بالطول وتشكلت فى هيئة سيدة..

انحنت أمامها عاينة وقالت: مولاتى الملكة ذات المحاسن أهلًا بك ثم نظرت إلى عنتر قائلة: أيها الآدمى اسجد لها.. فسجد بتلقائية ولم يرفع رأسه إلى أن قالت محاسن: انهض أيها الآدمى وقل لى: هل تعرفنى؟

- مولاتى بنت الإله إبليس المخلوق من نار السموم.. أنت أعظم من أن أتكلم بحضرتك..

ابتسمت الملكة ذات المحاسن وقالت: شُفتى بقى يا عاينة أن اختيارى لعنتر ده صح.. عشان كدة يا عنتر أنا هديك شياطين اد اللى معاك ألف مرة بس تسمع كلامى وتنفذ أوامرى..

- سمعًا وطاعة يا مولاتى..

الملكة ذات المحاسن: أنا هقولكم تبتدوا تخلصوا على رضوان ده إزاى، وعشانك أنت يا عنتر إحنا مش هنيجى جنب فهيمة وخليك حابس ميططرون عندك ولما فهيمة تجيلك لحد عندك أبقى أديلها ميططرون هدية ثم أشارت إلى سقف باطن المقبرة وقالت: أخرج أيها الروح الثعبان واجلب معك النار والشرار فنزل من سقف باطن المقبرة ثعبان ضخم مخيف وتشكل بصورة عبد أسود ضخم وقال: عبدك يا بنت الهنا.. لك السمع والطاعة..

الملكة ذات المحاسن: اجلب أولاد الحارث وبني دهمان ليتحدوا مع بني القماقم وسكان الجبال، واختاروا أقواكم ليكون من أعوان الملكة عاينة بنت الملك الاحمر وليأتمر بأمرها حتى تتحكم فى كل الادميين المُحيطين برضوان العطار وتعاملوا مع الخواتم السليمانية التى تُحيط به، وادخلوا جسده بين الجلد واللحم كالنمل واسكنوا مفاصله كأمواج البحر وعذبوا هذا الرهط من الشياطين القدام الذين يُحيطون به وبمساكنه، و إذا حضر الآدمى رضوان العطار لفهيمة بنت حُسنة اجعلوا لها عارض من ذُرية ميمون الخطاف لتخسر عقلها وتذهب صحتها وتنبح أمامه كالكلب وأكثروا عليها الدماء..

جلس العبد الأسود على ركبتيه وكسر عصا يحملها فى الهواء ليجتمع نصفى العصا مرة أخرى ويتشكلان على هيئة امرأة بيضاء فاتنة ذات حُسن وجمال يستر جسدها كله شعرها الأسود الفاحم الطويل وقال: تلك الجنية من بنات الملوك السبعة هى وصويحباتها من بنات الملوك سيكونون عونًا للملكة عاينة..

الملكة ذات المحاسن: انصرف الآن أيها الروح الثُعبان واتركنا مع الملكة شمس..

اختفى هذا العبد الأسود فى نفس اللحظة، ولاحظت الملكة ذات المحاسن أن الملكة عاينة لم تنزل نظرها عن الملكة شمس فقالت: يجب أن تعرفى أيتها الملكة عاينة أن الملكة التى أمامك ذات قُدرات

قوية جبارة وهى ستكون خير عون لك فى أداء مهامك وهى أفضل عشرات المرات من ماريا، ونظرت للملكة شمس وقالت: مرحبًا بك أيتها الملكة الجميلة فلتسمحى لى بأن أتكلم عنك حتى تتعرف عليك الملكة عاينة أكثر، و أشارت إلى عنتر وقالت باحتقار: وأيضًا هذا الآدمى التى شاءت الظروف أن يكون موجودًا أثناء حضورك أيتها البهية، ونظرت إلى عنتر ثم إلى الملكة عاينة وقالت: إنها الملكة شمس القواميد بنت الملك الأحمر وقد تمردت على أبيها وهربت منه، وهى جنية قوية تستطيع أن تفعل الكثير ولها من الصويحبات من يستطيع أن يعاونها فى كل الأوقات ولها من ملوك الجن من يستطيع جلب الأعوان والخدام لها فى كافة المواقف والحقيقة أنا مش عارفة مين أصحابها بالتحديد عشان أكلمكم عنهم..

بصوت حنون خلاب عميق قالت الملكة شمس: أصحابى كُثر لا أستطيع ذكرهم كلهم ولكنى سأخبرك أيتها الملكات بأقربهن إلى قلبى.. إنهن ميمونة وياقوتة وفاطمة السحابية وغيرهم، وأنا هنا معكم لأساعدكم بقدر المستطاع..

الملكة ذات المحاسن: سأنصرف الآن ولتأخذى أيتها الملكة عاينة الملكة شمس إلى قلعتى حتى تروا ماذا ستفعلون واختفت الملكة ذات المحاسن داخل جدار باطن المقبرة كما دخلت مسبقًا وأمسكت الملكة عاينة بيد الملكة شمس وطاروا إلى قلعة الملكة ذات المحاسن وهبطوا بداخلها لتقف الملكة شمس مبتسمة وهى تنظر لحوائط وأعمدة وأرضيات القلعة وقالت للملكة عاينة: يالها من قلعة شاهقة جميلة تنم عن ذوق راقٍ رفيع..

الملكة عاينة: إنها قلعة الملكة ذات المحاسن وقد استعانت بأبيها وأخوتها الذين سخروا لها كل الشياطين لكى تُبنى بتلك الطريقة وقد أحضروا أحجارها من باطن الأرض ومن أعماق البحار وكما ترين إنها قلعة ليس لها مداخل أومخارج ولا يستطيع الولوج داخلها إلا من تأذن له الملكة ذات المحاسن...

الملكة شمس جالت بنظرها فى الأنحاء إلى أن عقدت حاجبيها وقالت للملكة عاينة: أنا أرى أسيرتين واحدة مُكبلة ويحيط بها الحراس والأخرى داخل دائرة نورانية مطلسمة هل يمكن أن أسأل عنهما ولما هما هنا؟؟!!!

الملكة عاينة: صديقتى الملكة شمس يكن لى كل الشرف عندما أتكلم معك عن حياتنا هنا، فكم أتمنى أن أكون لك صديقة ولذلك أنت تسألين وأنا أجيب ثم أشارت إلى الملكة ماريا وقالت هذه الملكة ماريا بنت الملك شمردل السُّفْلى وهى من أعوان الملكة ذات المحاسن، وقد عصت أوامر ملكتنا فعاقبتها

بقيدها لبرهة من الوقت هنا حتى تتأدب لأنها تسببت فى حدوث أكثر من مشكلة فى الأمور التى كانت مكلفة بها، والأخرى التى بداخل الدائرة المطلسمة هى ملكة الجمال دُرّة بنت قاضى الجن ودية بقى حكايتها حكاية ثم ضحكت وقالت: دية ملكة كانت هتتجوز آدمى.. خلاص يعنى الجن خلصوا.. متفهميش الجنيات دلوقتي بتفكر إزاي؟

الملكة شمس: أنا برضه مش عارفة أيه علاقة جوازها من إنسى بأنها هنا قاعدة وحواليها الدائرة المطلسمة..

الملكة عاينة: لأ الموضوع مش جوازها من آدمى وخلاص.. ده الموضوع أكبر من كدة بكتير ويطول شرحه بس أنا هاختصرهولك.. الآدمى ده كان ساكن هو وناس قرايابه فى بيت قصاد بيت الملكة ذات المحاسن، والملكة دية وأبوها قاضى الجن ساعدوا الآدميين فعاقبتها الملكة ذات المحاسن وحبستها هنا، وهى قدرت تُحيط نفسها بالدائرة النوارنية الطلسمية دية بس هى هتروح فين هيجيلها وقت وهتستسلم.. دية حكاية اللى أنت شايفاهم باختصار..

الملكة شمس: دية حكاية غريبة قوى بس خلينا نقعد أنا وأنت ونشوف إحنا هنعمل أيه بس عايزاك تحكيلى بالتفصيل على كل حاجة عشان نشوف هنبتدى إزاي.. وبدأت الملكة عاينة فى قص كافة الأمور للملكة شمس.

***

شعرت فهيمة بوجود آخرين معها بالمنزل وكان هذا غريبًا لها فهى تعلم أن الملك الذى معها يمنع دخول أى روح إلى منزلها. حاولت أن تستدعيه فلم تتلق أى استجابة، لأول مرة تشعر بالخوف فقامت بإحضار إناء كبير عميق من النحاس وملأته بالماء ثم قامت بإحضار ورقة حمراء وقامت بقصها على شكل إنسان وكتبت على رأسه كسفيائيل وعلى صدره أرطيائيل، وعلى يده اليمين شرهيا، وعلى يده الشمال شرماده وعلى بطنه ادوناى، وعلى فخده اليمين اصباؤت، وعلى فخده الشمال آل شداى وأمسكت هذا الشكل مقلوبًا مع إطلاقها للبخور ثم قالت: عجلوا يا معاشر الأرواح الروحانية بالظهور باهياش ياهوش رهاطيل أجيبوا يا خدام هذه الأسماء وأحضروا الملك يوناس الحكيم صديق الملك ميططرون أجيبونى وافعلوا ما تؤمرون فاهتز الماء داخل الإناء النحاسى إلى أن أصبح كالأمواج الهادرة ثم هدأ الماء مرة أخرى، وظهر على وجه الماء طفل كأنه فى سن تسع سنين بديع المنظر حسن الصوت ملابسه تشبه ملابس الجنود، وقال بصوت رخيم ناعم: فلتأمر خادمة الملك ميططرون وتقول ما هو طلبها؟

قالت له فهيمة: مرحبًا أيها الملك يوناس الحكيم.. أناناديت على الملك ميططرون ومردش عليّ استنيته كتير ومجاش عشان كدة أنا دعيتك عشان تشوفهولى فين، وكمان أنا حاسة أن فيه حد معاي فى البيت..

- سمعًا وطاعة أيتها الآدمية، واختفى من على وجه الماء لبرهة من الوقت ثم اهتز الماء وظهر مرة أخرى وقال بصوت حزين: الملك ميططرون حبيس داخل زجاجة النار، ولم أستطع أن أتكلم معه..
- مين اللى حبسه وإزاى قدر يحبسه..
- حبسه أحد السحرة الثّقال ويُدعى عنتر وده خادم وعابد لشياطين كتير..

فهيمة بحزن: طب عنتر ده عمل كدة ليه وعايز منه أيه؟؟

- أنا لا أعلم ولم أستطع المكوث بمسكن الساحر عنتر أكثر من ذلك حتى لا يرانى أحد أعوانه..

فى هذه اللحظة أشارت فهيمة إلى الماء وقالت: طماطيش هوش طشوش.. انصرف يا سيدى يوناس الحكيم بحق ما حضرت لأجله ثم قالت وهى تُحدث نفسها: أنا محتاجك يا رضوان ياريت تيجيلى دلوقت..

فى تلك اللحظة قامت فهيمة فزعة بعدما شعرت بيد تُربت على كتفها وتراجعت إلى الوراء ثم تنفست الصعداء بعدما رأت صاحب تلك اليد واندفعت نحوه وغاصت رأسها بصدره وهى ترتجف..

هدأ من روعها وهو يُربت عليها وقال: أيه اللى حصل يا فهيمة مخليك خايفة كدة؟

فهيمة: البيت هنا بقى غريب وأنا حسيت أن فيه حاجة حصلت فاستدعيت الملك يوناس الحكيم وسألته عن ملكى وقالى أنه محبوس فى زجاجة النار وإن فيه واحد اسمه عنتر هو اللى حبسه ومعرفش يساعدنى أكتر من كدة..

سار رضوان بصحبتها باتجاه السرير وأجلسها عليه قائلًا: متقلقيش كل حاجة هترجع زى ما كانت وبالنسبة لعنتر ده هنشوف هو مين، وعايز أيه، وعمل كدة ليه؟؟

سار رضوان باتجاه مرآة معلقة على الحائط وأخرج طباشير من جيبه وكتب بعض الكلمات والحروف ورسم مربعًا وقسمه إلى خانات صغيرة وكتب داخل كل خانة حرفًا أو اسمًا أور قمًا ثم سار باتجاه المبخرة وأخرج قطعة صغيرة من البخور تُشبه الحجر ورماها بداخلها وقال بصوت عميق: ادعوكم يا معشر العفاريت والأعوان من جنود إبليس أدعوكم يا عُباد النار وأزجركم بالشياطين بأشد ما زجر به كل مخلوق من طين على مخلوق من نار السموم.. إلى كل المردة احضروا إلى مجلسى هذا..

فى تلك اللحظة اختفت المرآة تمامًا وحل محلها ضباب كثيف خرج منه كائنات يمسك كلً منهم بحربة من نار واصطفوا وراء بعضهم ثم ظهر من وسطهم كائن مهيب مخيف وقال: أنا يقططرون صاحب السجن العميق ومعى مزككيون الساكن فى الأفق ماذا تريد أيها الآدمى الفانى؟

انحنى لهم رضوان تحية لهم ثم اعتدل واقفًا وأشار إلى فهيمة وقال: هذه فهيمة خليلتى أريدكم أن تكشفوا عن بصرها وأعلمونا ما الذى غير حالها..

أشار الكائن إلى الأعوان المصطفين حوله فرفعوا حرابهم فى الهواء وكونوا كتلة عظيمة من النار ثم هدأت تلك النار وظهر مكانها باطن المقبرة التى يسكنها عنتر، ورأى رضوان وفهيمة كل ما قاله وفعله عنتر منذ أن استطاع جلب قرين فهيمة..

قال رضوان للكائن: حرروا الملك ميططرون..

الكائن: الملك ميططرون لا يستطيع أى إنسى أو جنى حبسه، وعندما يريد تحرير نفسه سيفعل ذلك.. قاطعته فهيمة فى تلك اللحظة وقالت: أرجوكم حرروه..

لم يلتفت إليها الكائن فقال رضوان العطار: انصرفوا يا معشر المردة بالنور الساطع والشهاب الثاقب بحق مهاكيل وبنى صخر.. انصرفوا أسرع من لمح البرق..

انقشع الضباب واختفت كافة الكائنات وعادت المرآة كما كانت وأصبحت الغرفة عادية جدًا كأنها لم يحدث بها أى شىء فنظر رضوان إلى فهيمة قائلًا: شفتى مش أنا قُلتلك متقلقيش وكل حاجة هترجع زى ما كانت..

- أنا كنت قلقانة جدًا خصوصًا بعد ما عرفت أن ملكى محبوس..

- أنا كنت مستغرب جدًا أن الملك ميططرون محبوس فى إزازة، وقلت لنفسى إزاي ملوك الجن ميساعدهوش بس المهم أنك اتطمنتى..

- بس أنا عايزة أعرف الملك ساب نفسه محبوس ليه؟

- مش دية المشكلة.. أكيد هو عارف بيعمل أيه، بس الغريب فى عنتر ده.. أيه اللى خلاه يحضر قرينك ويحبس الملك ميططرون؟ ثم نظر إليها نظرة ذات مغزى وغمز بعينه قائلًا: واللى زاد وغطى أن عينه منك ضحكت فهيمة بمجون وقالت: أنت غيران ولا أيه؟ أنا مفيش راجل يملا عينى غيرك أنت..

- أمّال أنت كنت زعلانة ليه على الملك ميططرون أنت فيه بينك وبينه حاجة؟

- لأ طبعًا بس الملك ده بقاله كتير معايا ويعتبر أيدى ورجلى فى شغلى وهو اللى بيدينى القوة، وعايزنى فجأة كدة أخسر شُغلى وسمعتى بين الناس.. ده عشرة عمر برضه..

- أنا عايزك تجهزى نفسك عشان أنا هاخدك ونروح لعنتر ده..

- عشان خاطرى بلاش أنت تروح.. أنت ودينى أنا بس وهعرفك كل اللى هيحصل.. خلينى أنا أعرف منه كل حاجة لأن أنت لو جيت ممكن تبقى مقابلة مش حلوة وتتخانقوا.. خلينى أنا أجيبهولك على الجاهز..

- زى ما تحبى بس أنت هتقدرى تواجهيه؟

- أنا مش هواجهه ولا حاجة أنا بس هاعرف أيه اللى خلاه يتصرف كدة؟

تراجع رضوان خطوة إلى الوراء ورفع يده عاليًا وتمتم تمتمات خافتة فخرجت عصا من الحائط متجهة إلى يده المرفوعة فأمسك بها وجلس على الأرض وخط بالعصاة بعض الخطوط على الأرض وكلما خط بالعصاة خطًا كلما حضرت ريح قوية مركزها هذا الخط لا تتخطاه إلى أن رسم دائرة بداخلها خطوط عديدة فأصبحت هذه الدائرة كالإعصار الشديد ثم هدأت مكونة لسحابة شفافة فأشار لفهيمة قائلًا: تعالى ادخلى جوة السحابة دية والمكان اللى عايزة تروحيه فكرى فيه بس، وهتلاقى نفسك هناك واعملى حسابك السحابة دية هتفضل حواليك عشان لما تفكرى فى دارك هنا هترجعى فى ساعتها، و إذا احتجتينى فى حاجة اندهى علي بس..

قامت فهيمة وخطت بقدميها داخل تلك السحابة فاختفت على الفور، ووجدت نفسها بمقبرة عنتر، وعندما وجدها بدر أمامه فزع بشدة وتراجع إلى الحائط متمنيًا أن يبتلعه وقال: أنت أيه؟

فى نفس اللحظة رأت عنتر صاعدًا من باطن المقبرة وهو يقول مبتسمًا: يا مرحب يا مرحب أهلًا بيكى فى بيتى المتواضع..

ابتسمت فهيمة وقالت: يا سيدى أن قُلت أجيلك بنفسى بدل ما تتعب نفسك وتحضر قرينى وتحبس ملكى ثم نظرت إلى بدر فجأة وقالت: أزيك يا بدر عامل أيه؟

لم يرد عليها بدر وظل واجمًا صامتًا إلى أن قال عنتر: بس أنت قادرة وجامدة قوى..

فهيمة مبتسمة: ده أنا تلميذتك..

- **إزاى بقى تلميذتى ده أنت جيتى بيتى فى لحظة والسحابة اللى حواليك هىّ اللى بتقول كدة وكمان عندك الجرأة أنك تكلمينى كأنك عرفانى من زمان..**
- **أنا مش جية أعاديك ولا حاجة ويا سيدى معلش إذا كنت دخلت بيتك كدة فجأة ثم نظرت له نظرة حانية وقالت: أنا بس جيت أشوف الراجل اللى كان عايز يشوفنى..**

نظر لها عنتر صامتًا ثم نظر لبدر وقال: أخرج يا بدر برة شوية شم الهوا وريح أعصابك وأنا شوية كدة وهندهلك

سار بدر باتجاه باب المقبرة وخرج منه ثم نظر عنتر إلى فهيمة قائلًا: أديك شفتى الراجل اللى كان عايز يشوفك بس خلى بالك الراجل ده زى ما أقدر يحبس العفريت بتاعك أكيد لو حب يحبسك أنت كمان هيحبسك ثم توجه فجأة باتجاه البوتجاز وقال: لما أنا بخيل صحيح ومقمتش بواجب الضيافة ووقف يُعد مشروب الشاى..

فى تلك اللحظة ساور فهيمة شعور بالفرح الشديد فقد رأت أمامها الملك ميططرون مما جعلها تشعر بقوة مضاعفة فقالت لعنتر وهى تبتسم بصوت عالٍ: وهو واجب الضيافة بيقول إنك تقول لضيوفك أنا أقدر أحبسكم.. ده اسمه كلام يا عنتر فين واجب الضيافة بقى؟

- **لأ ده أنا بس بعرفك أنا ممكن أعمل أيه أو قولى كدة أنى بعرفك عليّ..**
- **تصدق يا عنتر أنا كنت فكراك أقوى من كدة.. ده أنت آخرك تحبس قطة!!**

التفت إليها عنتر غاضبًا وقال: ليه كدة أنت شكلك كدة هتخلينى أعاملك بصورة تانية..

همست فهيمة برقة: أنا ممكن أطلب منك طلب..

- أنت ضيفتى.. قولى..
- أنا عايز أشوف ملكى وهو محبوس ده كان بيأمر وينهى فيّ.. ده أنا ما صدقت خلصت منه..

أشار عنتر بيديه إلى الأمام فطارت زجاجة ملفوفة بقطعة من الجلد فى الهواء وأمسكها بيده، وقال لها: ملكك هنا جوة..

- أيه يا عنتر أنت جايبلى إزازة ملفوفة بجلد وعليها شمع وبتقولى أن الملك بتاعى جوة.. يا راجل ده اسمه كلام
- أمّال أنت عايزة أيه؟ عايزة تشوفيه.. أنا معنديش أى مانع.. وقام بنزع الشمع والجلد من على الزجاجة ونظر إلى الزجاجة ثم نظر إلى فهيمة وقال عشان كدة أنت قولتيلى شيل الجلد.. عشان تعرفينى أنك فكيت حبسه على العموم برافو عليك.. ثم نظر إلى جسدها وقال: طب بالمناسبة دية مش هتيجى تنزلى معايا تحت عشان أفرجك على مكان شغلى وصدقينى محدش نزل فى المكان ده قبلك..

ضحكت فهيمة بمجون وقالت: مش وقته وعلى العموم أنا شفت المكان ده كويس ولو عايزنى أوصفهولك هوصفه بس أنا عايزة أعرف معرفتك بي جت إزاي وليه أنت حبست ملكى؟

- أنا من حظى السعيد أنى أتعرف بيك.. تصدقى أن دية أحسن حاجة حصلتلى فى حياتى..
- أنت مجوبتنيش على سؤالى.. على العموم براحتك وأشاحت بوجهها إلى الناحية الأخرى..
- أوعى تزعلى ما أنت عارفة أن شغلتنا دية زى الدكاترة بالضبط مينفعش نطلع أسرار المريض برة..
- ما تقول يا عنتر هو أنت مبسوط أنى بتحايل عليك.. خلاص أنا هاعرف بطريقتى..

قال عنتر وهو يقوم بصب مشروب الشاى للضيفة وله: ما أنت لو كنت قادرة تعرفى أنا عملت كدة ليه مكنتيش سألتينى وبعدين أنا عايز أسألك سؤال خاص لو جاوبتينى عليه أنا هجاوبك على سؤالك..

- حاجة قصاد حاجة يعنى.. ماشى.. أنا موافقة..
- أيه حكايتك أنت ورضوان العطار؟

نظرت له فهيمة بثبات قائلة: ده الراجل الوحيد اللى قابلته فى حياتى وهو اللى ملا عليا دُنيتى..

- أنتم متجوزين بقالكم كتير؟

نظرت له فهيمة ببرود وهى ما زالت تحافظ على نبرتها الهادئة: رضوان مش جوزى..

ضحك عنتر وهو يمرر أصابعه بشعره وقال: أه.. أنا كدة فهمت..

- أنا جاوبتك على سؤالك.. ولو عايز تسأل فى أى حاجة أنا تحت أمرك..

- أنا قابلت ناس كتير وقليل بس مشفتش حد زيك.. أنت فعلًا إنسانة رائعة.. وبما أنك مش مرتبطة بحد ما تدى نفسك فرصة تعرفى راجل تانى يمكن تفكيرك يختلف..

- الستات مش زى الرجالة يا عنتر.. الست بتحافظ على حبها وعلى راجلها فى غيابه وحضوره.. والراجل فى أول فرصة تيجيله للخيانة بيخون على طول..

لأ يا سى عنتر اللى فى دماغك ده مش هيحصل، وبعدين أنت مش واخد بالك أنى جاوبتك على سؤالك من بدرى وأنت مجاوبتنيش..

- أنا هجاوبك على الأسئلة اللى محيراك، وده عشان أنت ست جدعة وحلوة.. أنا اتعرفت على بدر فى ظروف غريبة وفى مكان غريب وده قصة شرحها يطول ومش هاتهمك وبالتالى مش هاحكيهالك وقعد معايا هنا بقاله فترة وهو فاكر إنه هيتعلم منى السحر وأنه هيكون أحد أعوانى بس بينى وبينك أنا هاخليه خادم لي أنت عارفة أنى كبرت وبعدين أنا كنت فى شغلانة كدة ولما رجعت لقيته تعبان وقاللى أن بيتضرب ليل ونهار وأنه شاف مرات أبوه فى الحلم.. المهم أنا وصلت للى عمل كدة اللى هو حضرتك لأن مينفعش يكون فيه حد قاعد عند عنتر وأى مخلوق يعمل معاه حاجة بدون إذنى..

وبينى وبينك أنا كنت ناوى لمرات أبوه وكنت ناوى أأذيك أنت كمان.. بس أنا مش فاضى للكلام ده دلوقتي ولو أنت عايزانى أسلملك بدر واللى جابوا هجيبهولك لحد عندك..

ومد يده فى تلك اللحظة محاولا جذب فهيمة نحوه، والتى استسلمت له..

***

بعد قيام إيمان وإسراء بإعداد طعام الإفطار، وجلوس الجميع لتناول طعام الإفطار وانصراف زياد وسيد للذهاب إلى الأرض قالت أم إسراء لها: مالك يا إسراء مش عوايدك تاكلى وأنت ساكتة.. أنت فيه حاجة مزعلاك؟؟

- **أبدًا يا ماما أنا بس تعبانة شوية.. قاطعتها إيمان قائلة بخجل: والله يا ماما أنا اللى زعلتها..**

أم إيمان بغضب: وأنت بتزعليها ليه؟ يعنى إحنا قاعدين فى بيتهم وتزعلى الناس مننا..

أم إسراء: متقوليش يا أختى الكلام ده.. ده أنتم أصحاب المكان، تلاقيهم اختلفوا فى حاجة وزعلوا من بعض أنت عارفة إسراء بنتى بتدب كلام وخلاص..

إسراء: لأ أنا مبدبش كلام وخلاص أنا يدوبك بفاتحها فى موضوع أخوي زياد وهى طلعت في وقالت: زياد زى أخوي..

قالت أم إيمان وقد شعرت بحرج بالغ: متزعليش يا إسراء من أختك إيمان هى بس مكسوفة..

وقتها قامت إيمان وإسراء برفع الأطباق والأوانى والذهاب بها إلى المطبخ وقالت أم إسراء لأم إيمان: متيجى نروح نجيب شوية طلبات من السوق عشان البنات يعملوا الغدا، وعند سيرهما بالسوق انشغلت أم إسراء مع الباعة وتفاجأت أم إيمان بسيدة تقول لها: خلى بالك من جوزك.. جوزك اتلم على الست فهيمة وبيروحلها البيت..

أُصيبت أم إيمان بصدمة هائلة وذرفت عينيها دموع الأسى ولم تشعر بما حولها للحظات إلى أن استفاقت من الحالة التى تمر بها عندما ربتت أم إسراء على كتفها وقالت: مالك يا أختى أنت تعبانة ولا أيه؟ فنظرت حولها لتُحدث السيدة التى أخبرتها عن زوجها فلم تراها، نظرت يمينًا ويسارًا تبحث عنها ولم تعثر لها على أى أثر فنظرت إلى أم إسراء وقالت: مفيش حاجة يا أختى هابقى أقولك فى البيت، وسارا فى السوق لشراء باقى مستلزمات البيت ثم عادا إلى المنزل، وبادرت أم إسراء أم إيمان بالقول: قوليلى بقى فيه أيه؟

- **فيه واحدة فى السوق قربت منى وقالتلى خلى بالك من جوزك ده بيروح عند فهيمة..**
- **إمتى الكلام ده؟ أنا كنت باشترى الخضار جنبك ومشفتش حد كلمك..**
- **يعنى أنا هاكدب عليك يا أختى ثم أجهشت بالبكاء..**
- **يا أختى إحنا بلدنا صغيرة ولو فيه حاجة زى كدة كانت الناس كلها عرفت.. ده مفيش حاجة بتستخبى فى بلدنا وفهيمة اللى بتقولك عليها دية بتاعة سحر، وعمرنا ما سمعنا عنها أن مشيها بطال..**

- أمُال أنت تفسرى بأيه اللى حصل ده؟ وحطى فى اعتبارك أن جوزى فجأة كدة قاللى إنه عايز يستقر هنا فى البلد ويصفى شُغله فى مصر.. أنا مبقتش عارفة أفكر.. على العموم متشغليش بالك أنا هاخد بنتى النهاردة وأنزل على مصر عشان أشوف حكايته أيه؟ وكمان إحنا طولنا هنا قوى..
- متقوليش الكلام ده.. ده أنت منورانا ..
- معلش يا أختى سبينى على راحتى ثم نادت على إيمان وقالت لها: يلا إحنا هانمشى النهاردة جهزى شُنطنا..

ابتسمت إيمان وقد شعرت بالسرور وسارت مهرولة لتجهيز شنط السفر، وقامت أسرة زياد بتوصيلهما لمحطة القطار الذى قفز بهما إلى محطة مصر، وعندما استقرا ببيتهما اتصلت أم إيمان بالحاج رضوان وأخبرته برجوعهما إلى المنزل ثم قالت لإيمان: أنا طالعة عند أم أحمد جارتنا هاقعد عندها شوية، وخرجت من الشقة وصعدت إلى الدور العلوى وطرقت باب الجارة أم أحمد التى رحبت بها وهى تُقبلها قائلة: الحمد لله على السلامة.. أيه الغيبة الطويلة دية؟ ده أنت وحشانى موت..

قالت أم إيمان بحزن: وأنت كمان يا أختى..

أم أحمد: مالك يا أختى أنت فيك حاجة؟

أم إيمان: مش عارفة يا أختى قلبى مقبوض وقصت لها كل ما حدث بالبلدة حتى رؤيتها لسيدة السوق التى أخبرتها عن زوجها..

ام أحمد: أنا هاقولك يا أختى على فكرة، و إذا وافقت نعملها بكرة بعد الظهر..

أم إيمان: خير يا أختى؟

ام أحمد: أنا عارفة راجل مبروك أنا كنت اتعاملت معاه قبل كدة.. ما أنت عارفة أن جوزى كان بتاع نسوان وأنا رُحتلُه وخلاهولى زى الخاتم فى صباعى..

- خلاص.. عدى علي بكرة وأنا هاجى معاك، ثم أضافت وهى تقوم بالسير فى اتجاه باب الشقة لتنزل إلى شقتها معلش يا أختى أنا تعباك معاي..
- أوعى تقولى كدة ده أنت أختى وبعدين ده حتى الجار للجار..

فى اليوم التالى ذهبت كلاهما إلى هذا الرجل المبروك وسارا بين طُرقات المقابر ونادت أم أحمد قائلة: يا سيدنا الشيخ.. يا مولانا ..

بعد لحظات خرج لهما رجل أشيب ملىء بالشباب وقال: أيوة.. عايزين أيه؟

أم أحمد: أيه يا سيدنا الشيخ أنت مش فاكرنى ولا أيه؟

الشيخ: أيوة فاكرك أنا بأقول عايزين أيه؟

- ديه أختى وإحنا قصدينك فى خدمة.. أنت شيخنا المبروك اللى بيحل لنا كل العقد..
- أنا مش فاضى اليومين دول سيبولى تليفون واحدة فيكم وهابقى أكلمها، والتفت إلى الوراء عندما رأى نظر المرأتان يتجه خلفه.. وقال بحزم للشخص الواقف وراه: فيه حاجة ولا أيه واقف كدة ليه؟
- ما تساعدهم عشان أتعلم منك أول درس..
- متكسفنيش يا شيخنا، وكل اللى هتطلبه هنعمله..

أشار لهما بالدخول وأجلسهما قائلًا: بسرعة كدة قولولى أنتوا عايزين أيه عشان وراي مشوار..

أشارت أم أحمد إلى أم إيمان قائلة: دية جارتى وجوزها لايف على واحدة تانية..

قاطعها هذا الشيخ وقال: سيبيها هى تحكى بنفسها وقال لأم إيمان: يلا أنا سامعك..

قصت أم إيمان للشيخ ما حدث بالسوق وعن شعورها بتغير حال زوجها فقال لها اطمنى دية حاجة بسيطة بس أنا مش فاضى دلوقتي عدوا علي وقت تانى..

أم إيمان: ارجوك أنا مش قادرة.. أنا أعصابى تعبت وأجهشت بالبكاء.. فتدخل الشخص الآخر الذى يقطُن مع هذا الشيخ ومال على أُذنيه وكلمه بصوت خافت وقال: ما تروح أنت مشوارك وخليهم قاعدين معاي لحد ما تيجى وما دام هى حاجة بسيطة حلها النهاردة وخلاص..

نظر إليه الشيخ وهو يقوم من مجلسه وقال: خلاص استنونى لحد ما أرجع، وقال للشخص قوم اعمل لهم شاى ومتغسلش الكوبيات عشان هاحتاجها فى الشغل ثم تركهم وخرج..

قام هذا الشخص بعمل الشاى ولاحظ وهو يقدم الشاى لإحدى السيدتين أنها تنظر له بإمعان فقال لها: فيه حاجة ولا أيه؟

ام إيمان: مش عارفة أنا حاسة إنى شفتك قبل كدة بس مش عارفة فين..

الشخص: وأنا كمان حاسس برضه إنى شفتك قبل كدة..

أشارت أم أحمد إليه وقالت لأم إيمان: بما إنه موجود مع سيدنا الشيخ هنا يبقى ممكن كان بيجيبلوا طلبات من المحل بتاعكوا أوتكونى شفت حد شبهه..

ام إيمان: أيوة افتكرت برافو عليك.. أنت مرة اشتريت من عندنا شمع.. وأنا كنت هتخانق معاك..

الشخص مندهشًا: محل أيه.. هو أنتوا ساكنين فين؟

ذكرته أم إيمان بمنطقة سكنها وبالمحل الذى اشترى منه الشمع.. فتهلل وجهه وقال: أيوة أيوة أنا افتكرت أزيك يا حاجة..

أم إيمان: أزيك يا بنى.. وفى تلك اللحظة تدخلت أم أحمد فى الكلام وقالت: وأنت بقى قريب سيدنا الشيخ.. أنا لما جيتله قبل كدة مشفتكش هنا.. أنت اسمك أيه؟

ابتسم الشخص وقال: أنا اسمى بدر ثم تقمص دور العارف ببواطن الأمور وقال لأم إيمان: هو جوزك عمل حاجة خلتك تُشكى فيه.. وأيه اللى خلاك تصدقى كلام الست اللى قابلتك فى السوق؟؟

ام إيمان: أنا حاسة بقالى فترة بتغيير فى معاملته معاي بس كنت بكدب نفسى بس اللى خلانى أتأكد أن إحنا كنا قاعدين عند ناس قرايبنا فى البلد وطولنا عندهم وهو سابنا نقعد براحتنا وديه مش عوايده، وكمان عايز يرجع البلد يسكن فيها..

مر وقت طويل والسيدتان وبدر يتبادلان أطراف الحديث إلى أن عاد الشيخ وقال لبدر: اعملى كوباية شاى ثم جلس وقال لأم إيمان تعالى اقعدى هنا جنبى وهاتى كوبيتك اللى شربت فيها الشاى..

نظرت أم إيمان إلى أم أحمد وقد احمر وجهها وتوترت فشجعتها أم أحمد قائلة: قومى متخفيش ده شيخنا تقى وكويس وبعدين ده قد أبوكى..

تشجعت أم إيمان وجلست بجوار الشيخ وناولته كوب الشأى فتناوله منها وأمسكه بكلتا يديه ثم انعقد حاجباه وقال لأم إيمان: معلش قومى اقعدى قدامى هنا ثم أضاف: معكيش حاجة من أتر جوزك..

فى تلك اللحظة ضحكت أم أحمد وقالت لأم إيمان: مش قلتلك اعملى حسابك وهاتى حاجة من أتره.. قاطعها الشيخ وقال لبدر: خد الحاجة واقعدوا برة لحد ما أخلص..

شعرت أم أحمد بالحرج وقام بدر باصطحابها إلى خارج المقبرة..

قالت أم إيمان للشيخ: أنا عايزة أسألك سؤال..

- أنت هتقولى أن مفيش قدامى مبخرة وإن لبسى عادى والكلام ده..

اندهشت أم إيمان وقالت: بركاتك يا شيخنا..

قام الشيخ بإحضار مبخرة وقال لها: ادينى جبت المبخرة بس مش علشان اقنعك لكن علشان أنا محتاجها فعلًا فى شغلى، وقام بإشعال الفحم ووضع به بعض الأبخرة ثم نظر إلى السيدة وقال: أنت جوزك اسمه أيه؟

- اسمه رضوان..
- معاك أيه من أتره؟

ناولته كوفية صغيرة وقالت: مش عارفة دية هتنفع ولا أيه؟

تناول الكوفية ممسكًا إياها مرفوعة فوق المبخرة تتخللها الأبخرة المتصاعدة ثم نظر إلى السيدة وقد انعقد حاجباه وقال: احكيلى كدة مرة تانية أيه اللى حصل من جوزك وبالتفصيل؟

قصت السيدة مرة أخرى على مسامع الشيخ إحساسها بتغير أحوال زوجها إلى ما حدث من سيدة السوق..

ازداد انعقاد حاجبي الشيخ وقال: قوليلى مرة تانية الست اللى قابلتك فى السوق قالتلك أيه بالتفصيل.. وأوصفيلى كدة شكلها..

السيدة: أنا مش فاكرة شكلها لأنى حسيت بصدمة كبيرة بس فاكرة كلامها اللى قالته.. قالتلى خللى بالك من جوزك ده بيروح عند فهيمة.. ده كل اللى حصل..

انتبه الرجل وهو ينظر إلى أم إيمان بتمعن وقال: أنت تعرفى فهيمة دية..

ام إيمان: شفتها مرة بس متعاملتش معاها..

الشيخ: أوصفيلى شكلها كدة..

وصفت أم إيمان ما تتذكره من شكل فهيمة.. إلى أن قال لها الشيخ.. جوزك ليه فى السحر؟

ران الصمت على المكان وقد راود أم إيمان شعور بخطأ فعلتها، وانصاتها إلى جارتها أم أحمد، والإتيان إلى هذا الشيخ، وخوفها من ردة فعل زوجها إذا علم بما فعلته فقالت: أنا خلاص مش عايزة أعمل حاجة لجوزى أنا همشى..

قام الشيخ بإمساكها بقوة من كتفها وقال بصوت عميق: أنت خفتى ولا أيه؟ جوزك مش هيقدر يعرف أى حاجة عن مجيتك هنا وبعدين أنت لازم تكملى ولا تسيبى جوزك يروح منك لواحدة تانية كدة بسهولة..

ام إيمان: أنا خايفة بس هاقولك واللى يحصل يحصل.. أيوة جوزى ليه فى السحر..

قام الشيخ بوضع يده على جبتها وتمتم بتمتمات خافتة ثم تراجع مرة أخرى إلى مجلسه وقال للسيدة: إحنا هنكمل فى وقت تانى بس عايزك تجيبلى حاجة تانية من أتره.. هاتيلى حاجة من ملابسه الداخلية..

أم إيمان: يا سيدنا الشيخ أنا مش عايزة أكمل..

الشيخ بتأفف: براحتك.. أنت عرفت مكانى وأنا بابى مفتوح ليك فى أى وقت..

قامت أم إيمان بالاستئذان ورحلت ومعها جارتها أم أحمد، وعاد بدر إلى داخل المقبرة مرة أخرى وقال للشيخ: أيه يا مولانا خلصت الموضوع؟

الشيخ: لأ.. الموضوع طلع كبير.. أنا حاولت اتصل بقرين الست دية بس فيه بينى وبينه حجاب عامله جوزها أصل جوزها معانا فى الصنعة..

اندهش بدر وانعقد حاجباه وقال: يعنى أنت مقدرتش عليه..

قال الشيخ بغضب: يعنى أيه مقدرتش عليه؟ أنت نسيت أنا مين ولا أيه؟ أنا عنتر اللى مفيش حاجة تقف قصاده المشكلة أنى مش فاضيلها عشان فى أيديا شُغلانة ناس تانية شاغلانى ثم قام قائلًا: أنا رايح لناس أعملهم مصلحة فى بلد كدة جنبينا.. هحاول أخلصها بسرعة وأرجع عشان أقعد معاك وابتدى أدخلك فى دُنيتنا ثم رحل وجلس بدر وحيدًا يستمع إلى الراديو ويتصفح بعض الكتب المتناثرة هنا وهناك إلى أن لمح الفتحة التى بالأرض والتى تؤدى إلى باطن المقبرة فقام مترددًا ووقف أمامها وساورته نفسه للنزول وهو يحاول مقاومتها إلى أن انتصرت عليه فقام بالنزول إلى باطن المقبرة وسار بداخلها وقد ازكمته رائحة المكان الكريهة..

سار متفحصًا المكان فرأى بعض الجماجم متناثرة هنا وهناك، ووجد قطعًا من صفحات القرآن الكريم مُلطخة بالدماء والقاذورات كما لاحظ احمرار أرضية المكان المائلة إلى السواد من أثر الدماء.. إلى أن تراجع خائفًا عندما شاهد جثة لطفل بدون رأس معلقة من أرجلها بالمقلوب على صخرة بأحد الجوانب فتأثر جدًا وقد أشفق على هذا الطفل وشعر بالحنق تجاه عنتر ثم رجع سائرًا لكى يخرج من

باطن المقبرة فاسترعى انتباهه رؤية صخرة سوداء فى رُكن بعيد وعليها شمعة ضخمة مشتعلة موضوعة فوق لفافة جلدية مُخضبة بالدماء فتوجه إليها ورفع عنها تلك الشمعة وفتح اللفافة فوجدها مكتوبة بالدماء وأسفلها توقيع عنتر بالدماء وبجواره ختم شكله غريب استطاع أن يرى منه رسمة صغيرة جدًا لكائن بشع له قرون فأصابه الرعب والذهول فقرأ المكتوب على قطعة الجلد بصوت عالى حتى تُصدق نفسه ما يقرأه : أنا عنتر بن آدم الموقع أدناه أنذر نفسى لألهى وسيدى إبليس، وأتعهد بأن أكون له روحًا وجسدًا وأن أكون عبدًا مُطيعًا له..

لف بدر قطعة الجلد كما كانت، وترك الشمع ينصهر على أطرافها لتعود كما كانت ثم وضعها كما كانت موضوعة على الصخرة وعليها الشمعة مرة أخرى، وعاد صاعدًا إلى ظهر القبر، وأعد كوبًا من الشاى وأشعل سيجارة وجلس يسترجع أحوال نفسه والأمور التى مرت به منذ مجيئه إلى القاهرة، وتذكر أمه وإحساسه الرهيب بفقدان رؤيتها، وتذكر ما روادته نفسه ونفذه مع والده، وتذكر مشهد هذا الطفل البرىء المذبوح، ثم تذكر السيدة التى لم يستطع عنتر مساعدتها، وأنب حواسه السذاجة الواهمة على تصديق قوة سحر وتأثير عنتر، وعلى مجيئه معه ليحيا هذه الحياة المظلمة، وقال لنفسه: أنا أيه اللى يجبرنى أنى أعيش معاه هنا؟ أنا خلاص ولا عايز كنوز ولا عايز أتعلم السحر.. أنا هارجع أكمل تعليمى وأرجع بلدنا أقعد مع أمى ثم لام نفسه أكثر قائلًا: أنا مش عارف أيه اللى خلانى أعمل كدة مع أبوي؟ الله يرحمك يا ابا..

الشعور بالذنب الكامن بداخله يقف أمامه بالمرصاد ويحاول أن يُطلق العنان لنفسه بالتوجه إلى شفائها بالتوبة إلى الله فقام بالوضوء وصلى لله بنية التوبة وقرر عدم تركه لعنتر إلا بعدما يُساعد السيدة التى تريد رجوع زوجها لها عن طريق محاولة إثنائها عن التواصل مع عنتر فقام باستبدال ملابسه وذهب إلى منطقة سكنه القديمة مع ابن عمه زياد، وسار باتجاه محل العطارة فوجد شيخًا كبيرًا يقف به فبادره بالقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نظر له الشيخ وقد رفع حاجبه وقال له: وجيت برجلك لحد هنا.. ده أنت فاجر قوى!!

- رد السلام يا عم الشيخ الأول.. ده السلام لله.. وبعدين المثل الشعبى بيقول: إذا عدوك جالك لحد دارك قوله يا مرحبباك.. وبعدين يا حاج هو أنت تعرفنى؟
- وعليكم السلام يا سيدى.. أُأُمر..
- أنا جايلك عشان أحكيلك على حاجة.. ومش قصدى إنى أتدخل فى خصوصيات حد..
- أنت مكفكش اللى عملته مع ابن عمك زياد، وجى دلوقتي تحكى وتقول وتعيد.. خلص أنت عايز أيه؟

نظر له بدر مندهشًا: أنت عرفت موضوع زياد منين؟ ثم أضاف.. أه.. هو قال إن أنت معاه فى الصنعة فمش غريبة أنك تعرف كل حاجة..

انعقدا حاجبا الشيخ ونظر بثبات وصمت إلى بدر لبرهة من الوقت ثم قال له: أنت مين اللى بعتك؟

- والله يا عم الشيخ محدش بعتنى ولا حاجة الموضوع كله أنى جى أقدم خدماتى عشان أنا ناوى أصلح كل الغلط اللى عملته فى حياتى..
- طب اتفضل يا ابنى جوه الدكان.. هنشرب كوبيتين شاى وتحكيلى على اللى عايز تقولوه ثم أحضر الشيخ عدة الشاى وقال وهو يُعده: أنت أسمك بدر سعيد.. صح..
- أيوة.. أنت عرفت اسم أبوي كمان..
- لا وأنت الصادق ده أنا أعرف أمك شخصيًا، وبعدين أنت ممكن تنادينى بالحاج رضوان..
- يا حاج رضوان أنا عملت حاجات كتير غلط وتعبت من اللى أنا فيه وجاتلى فرصة أنى أتوب فقررت استغلها.

صب الحاج رضوان الشاى وقال: كلنا بنعمل غلط مفيش حد معصوم بس أهم حاجة نتعلم منه..

- أكيد يا حاج.. أنا هختصرلك الموضوع عشان مطولش عليك.. أنا قاعد مع واحد احتمال تكون عارفه.. اسمه عنتر، وعنتر ده راجل مفترى معندوش قلب.. ده بيتعامل مع الشياطين، وتعثرت الكلمات على شفتيه ومرت فترة من الصمت إلى أن قال: أنا هاقولك وأنت بقى شوف هاتعمل أيه؟ الجماعة راحت لعنتر عشان ترجعك ليها وقف الحاج رضوان غاضبًا ثم جلس مرة أخرى: جماعة مين يا بدر اللى راحت لعنتر؟ واضح أن فيه سوء تفاهم أنت يا ابنى عايزنى أنا ولا غلطت فى العنوان..

- أنا عارف يا حاج أن الموضوع حساس بس أنا هاحكيلك.. أنتوا كنتم فى البلد قاعدين عند ناس معارفكم وفيه واحدة قابلت الجماعة فى السوق وقالتلها خلى بالك من جوزك ده بيروح عند فهيمة، والجماعة خدت واحدة جارتها اسمها أم أحمد وجت على عنتر عشان يخليك تبعد عن فهيمة.. هو ده الموضوع وصدقنى هو ده اللى حصل..
- اشرب الشاى يا ابنى.. أنا هتصرف فى الموضوع ده بس أنت هترجع لعنتر ده تانى؟
- بينى وبينك مش عايز أرجعله تانى وعايز أروح لأمى فى البلد..
- مش هينفع يا بنى تسيبه دلوقتي لأنه هيعرف أنك جيتلى.. وكمان لازم تساعدنى أنى أقف قصاده عشان ميأذنيش أنا وجماعتى، وزى ما أنت هتساعدنى أنا كمان هساعدك وهاخلى عنتر ميقدرش يعملك حاجة.. قلت أيه؟

- يا حاج أنا مش عايز أدخل نفسى فى متاهات.. أنا مأذتش عنتر عشان يأذينى.. أنا مليش دعوة بالكلام ده..

- براحتك بس اعمل حسابك أن أنت عرفت حاجات كتير عن عنتر بقعدتك معاه، وهو مش هيسيبك

خاف بدر وخصوصًا بعدما تذكر شكل الطفل المذبوح فقال: ماشى يا حاج شوف أنت عايز تعمل أيه؟

قام الحاج رضوان بغلق باب الدكان من الداخل نصف غلقة ثم وضع يده على جبهة بدر فسقطت رأس بدر على صدره نائمًا لا يشعر بأى شىء.. ورأى الحاج رضوان مقبرة عنتر وباطنها ورأى زوجته وهى جالسة معه، وشاهد كيف قتل بدر أباه، ورأى ذات المحاسن وماريا وعاينة عند عنتر ثم رفع يده عن جبهة بدر فاستفاق وقال: هو حصل أيه؟

توجه الحاج رضوان وفتح باب الدكان وقال لبدر: أنا حصنتك متقلقش من عنتر خالص.. روح عنده وعيش معاه عادى جدًا..

- أنا قُلتلك أنا مش هرجعلُه تانى..

- ماشى.. صحيح أنا نسيت اسألك عن أبوك.. هو عامل أيه دلوقتي؟

أطرق بدر رأسه أرضًا وقال: تعيش أنت يا حاج.. ده مات..

الحاج رضوان مندهشًا: إزاي الكلام ده.. ده كان زى الحصان؟!

- هو فيه حد كبير على الموت.. ما إحنا كلنا هنموت..

- عندك حق.. أنا شفت ناس فجرة كتير بس مشفتش حد فى فُجُرك..

قام بدر محتدًا وهم بالقيام من على الكرسى للخروج من الدكان وهو يقول: أنا فعلًا غلطان أنى جيت هنا خيرًا تعمل شرًا تلقى فأشار له الحاج رضوان فشلت أطرافه وأصبح لا يستطيع الحركة وقال له مبتسمًا: يا واد أنت يا وَرَع.. عامل نفسك كويس وعايز تتوب.. ده أنت عامل مصايب سودة ثم أشار له مرة أخرى فذهب شلل أطرافه وشعر بدر بحرية حركته فبكى وقال: والله يا حاج أنا آسف.. أنا عايز أتوب فعلًا..

- أبوك مات إزاي؟

- عادى يعنى.. مات.. راجل كبير ومات.. هنقول لربنا هو مات إزاي..

ضحك الحاج رضوان وقال: مش قُلتلك فاجر.. ثم أضاف بثبات هسألك للمرة الأخيرة أبوك مات إزاي؟

- وأنا للمرة الأخيرة بأقولك أبوي مات عادى..

صفع الحاج رضوان بدر على وجهه وقال: أبوك مات بأيدك يا واطى.. أنت اللى حطيتله المرض فى جرحه..

أصاب الذهول والوجوم وجه بدر ونظر مبهوتًا إلى وجه الحاج رضوان..

- إذا كنت عايزنى أسكت.. اسمع كل اللى هقول لك عليه وتنفذه بالحرف الواحد..
- اللى تأمر بيه أنا من أيدك دية لأيدك دية..

اخرج الحاج رضوان من جيبه بليه شفافة من التى يلعب بها الصبية كما أخرج قارورة صغيرة بداخلها مادة شفافة تشبه عسل النحل وناولهم لبدر قائلًا: أنت هترجع دلوقتي وتعيش مع عنتر عادى جدًا والبلية دية هتُحطها فى أى مكان فى باطن القبر اللى بينزله عنتر والإزازة دية هتفضى من اللى جواها فى كل أكل بياكله عنتر، وتفضل عايش معاه عادى جدًا وتسمع كلامه فى أى حاجة يقولك عليها لحد ما أجيلك أنا هناك وبعدين تقدر تعمل اللى أنت عايزه بعدها وتعيش حياتك عادى، وأوعى تفكر تلعب معاي.. أنا غير عنتر ومش هارحمك وهجيبك من آخر الدنيا، ومش عايزك تخاف من أى حاجة أنا هاعمل حجاب لقرينك ومحدش هيعرف عنك أى حاجة ولا حتى بتفكر فى أيه..

قال بدر بخوف وطاعة: حاضر.. ثم رحل تاركًا الحاج رضوان الذى أغلق دُكانه وسار إلى بيته لتقابله زوجته كالمعتاد وإن كانت تتحاشى النظر إليه فبادرها بالقول: مالك يا حاجة فيه حاجة شغلاك؟

أم إيمان: أبدًا يا حاج أنا تعبانة شوية..

- تعبانة من أيه يعنى؟ وبعدين أنت مش ملاحظة حاجة غريبة.. أنا لما كنت باجى من برة كنت بتحضرلى الأكل وتقوليلى عملت أيه؟ ده حتى لما بتروحى السوق بتحكيلى اللى حصل..

أجهشت الحاجة بالبكاء وقالت: اسأل نفسك يا حاج..

قام الحاج بأخذ رأسها على صدره وربت عليها وقال: أيه بس اللى حصل احكيلى؟ ده إحنا ملناش إلا بعض..

- ملناش إلا بعض بأمارة ما أنت بتروح لفهيمة.. ليه كدة؟ أنا عملت فيك أيه؟ بعد كل العشرة دية تروح لواحدة تانية غيرى.. ده بنتك على وش جواز... حرام عليك اللى عملته فيّ..
- مين بس اللى قال لك الكلام الفارغ ده؟ ومين فهيمة دية اللى أنا أبُصلها؟

أنت فاكرة إحنا شفنا فهيمة دية لما كنت بشوف مين اللى سرق ورق أرض زياد وأخواته.. بقى معقولة أنا هاروح للست اللى سرقتهم وحاولت تأذيهم.. ده أنت ضُفرك برقبتها..

- أنا فيه واحدة قابلتنى فى السوق وقالتلى أنك بتروح لفهيمة وأنا من ساعتها هاتجنن لدرجة أنى عملت حاجة مش كويسة، وحكيت لأم أحمد عن اللى حصل..

- من أمتى يا حاجة بتحكى للناس عن أسرارنا.. ده اسمه كلام..

- والله يا حاج ده اللى حصل، وعلى فكرة أنت اللى خلتنى أتصرف كدة.. سامحنى يا حاج..

- ولا يهمك.. ده أنت الخير والبركة وأنا مليش غيرك أنت وإيمان..

أجهشت بالبكاء مرة أخرى فقال لها الحاج: أيه تانى؟

- يا ريتنى ما سمعت كلامها.. بس ده كانت لحظة ضعف..

- مين دية اللى يا ريتك ما سمعت مكانها ولحظة ضعف أيه؟؟

- شوف بقى يا حاج.. أم أحمد جارتنا اللى فوق لما أنا حكتلها عن اللى حصل خدتنى لواحد بتقوله سيدنا الشيخ فى المقابر.. ثم قصت له ما حدث بالتفصيل..

ظهرت ملامح الاستياء على وجهه وقال لها: ده اسمه كلام يا حاجة يوصل بيك التفكير للدرجة دية؟ أم أحمد دية لو ست كويسة تحاول تصلح ما بينك وبين جوزك مش تخدك توديك لواحد دجال..

- سامحنى يا حاج أنا مش هاتكلم مع أى حد فى خصوصياتنا مهما حصل..

- مش هتحضريللى العشا ولا أيه؟

أعدت الزوجة طعام العشاء لزوجها الذى أخذ يفكر فى بدر وكيف سيؤدى ما هو مطلوب منه، وبعد تناوله للعشاء ونوم زوجته بجواره تسلل إلى خارج الغرفة ومارس بعض الطقوس، وانتقل فى نفس اللحظة إلى منزل فهيمة التى رحبت به وقالت: أيه الغيبة الطويلة دية؟ ده الدار نورت.. احتضنها وقال لها: أنا عايزك فى موضوع ضرورى ثم قص على مسامعها ما حدث من بدر ومن زوجته..

- أنا مش فاهمة يعنى أنا مطلوب منى أعمل أيه بالضبط؟

- أنت فكرة اللى عمله عنتر معاك ومع الملك اللى معاك..

- وديه حاجة تتنسى.. ده أنا مستنية اللحظة اللى أذل فيها عنتر ده..

- وادى الفرصة جتلنا لحد عندنا.. أنت هتطلبى من الملك ميططرون أنه يساعدك..

- إزاى؟!!

الحاج رضوان: زى ما أنا قُلتلك أنا أديت لبدر للسائل المقروء عليه قرأن، وأنا هاخلى بدر يُحط لعنتر فى كل أكلة منه وطبعًا الشياطين اللى مع عنتر هتتبهه أن الأكل مينفعش ياكله والمطلوب من الملك اللى معاك أنه يحاول هو وأعوانه وخدامه تكبيل شياطين عنتر عشان ميبلغوش عنتر أى حاجة ولما عنتر يضعف بفعل السائل ده.. ساعتها نقدر نخلص عليه.. بس لازم تعرفى الملك إنه هيخلى أعوانه وخدامه يخدوا شكل شياطين عنتر وينفذوا أى طلبات يطلبها عشان ميحسش بحاجة وبعد ما يضعف ملكك هيسيبه وهيحس عنتر بضعفه وهيحاول يستعين بشياطينه ولكنهم هيهربوا منه..

فهيمة: فهمت وهانفذ كل اللى أنت قلت عليه ثم اقتربت منه ونظرت فى أعينه وابتسمت وقالت: واحنا مش هنقعد مع بعض شوية قبل ما ترجع مصر..

الحاج رضوان: ما تبقيش فهيمة لو فوتى أى فرصة تجيلك، وغاصا معًا فى أعماق نهر النشوة ثم رحل الحاج رضوان إلى بيته على وعد من فهيمة بتلبية ما طلبه وإبلاغه به فور تنفيذه..

***

بعد وصول بدر لمقبرة عنتر عائدًا من دُكان الحاج رضوان رمى البلية الشفافة فى باطن القبر، وجلس يفكر فيما سيحدث حينما سيضع هذا السائل الذى أعطاه إياه الحاج رضوان فى طعام عنتر، وهاجمته أحلام اليقظة لتبث بداخله المخاوف من أن يعلم عنتر بفعلته؟ وماذا سيفعل مع الحاج رضوان الذى يعلم بكيفية قتله لوالده؟

ألمه النفسى يفترسه بكل ضراوة، ويُغرقه فى هواجسه إلى أن تفاجأ بوجود عنتر أمامه والذى قال له: أيه يا ابنى.. كل ده سراحان.. أنت بتحب ولا أيه؟

- **لا يا عم عنتر بس أنا تعبان شوية..**
- **طب قوم اعمل لنا أكل أنا جايب معاي أكلة رنجة وملوحة.. قطع لنا بصل وحضر الأكل عقبال ما أستريح شوية قام بدر بتنظيف الرنجة والملوحة ووضع الليمون والخل ثم قام بإخراج القارورة الصغيرة من جيبه ووضع منها بعض السائل الذى بداخلها على الطعام.. وقام بتحضيره ثم نادى على عنتر ليجلسا معًا يتناولا الطعام إلى أن قام عنتر بوضع يده على بطنه واكتسى وجهه بالألم وقال: الأكل ده وجع لى بطنى..**
- **ما أنت برضه زودت أوى فى الأكل..**
- **أنا مقدرش أقاوم الأكلة دية، وبعدين ما تخلص أكل وخلينا نشرب كوبيتين شاى..**

أنتهى بدر من تناول طعامه، وقام بإعداد الشاى لنفسه أولًا ثم قام بإعداد الشاى لعنتر بعدما وضع له كمية من السائل فى الشاى ثم جلس مع عنتر وقال له وهما يتناولان الشاى: يا عم عنتر أنت بقالك فترة بتقول هتبتدى تعلمنى ولحد دلوقت أنا متعلمتش أى حاجة..

- **ما هو البعيد حمار مبيفهمش.. أنت لازم تكون لماح وتتعلم لوحدك..**
- **هو أنت عملت حاجة قدامى عشان أتعلم منها ثم أشاح بوجهه وأضاف بتجهم: لو أنت يا عم عنتر مش عايز تعلمنى خلاص بس كان المفروض تعرفنى، وأنا على العموم حاسس أنى تقلت عليك، وبينى وبينك أنا قعدتى هنا طولت وأنا بافكر أكمل كُليتى، وكمان أنا عايز أروح أقعد مع أمى.. أنا بقالى كتير مشفتهاش عنتر: بطل الكلام الخايب بتاعك ده.. أنت اللى مسموحلك بيه بس أنك تروح تقعد مع أمك كام يوم وبعد كدة ترجع هنا تانى وأنا يا عم هثبتلك أنى جدع وهديك أول حصة دلوقتي ثم جذبه من يده وسار به إلى فتحة باطن القبر ونزل أولًا ثم أشار لبدر بالنزول..**

عندما نزل بدر ملأ وجهه الاندهاش، وجال بنظره فى المكان كأنما يراه لأول مرة، وقد لاحظ عنتر ذلك فقال له بغرور: طبعًا أنت أول مرة تشوف مكان زى ده.. تعال بقى أفرجك عليه..

سارا داخل باطن المقبرة إلى أن قال عنتر: طبعًا أنت ملاحظ أن المكان هنا واسع وأنا هاعرفك السبب.. الترب دية قديمة وأنا كنت عايز تُربة كبيرة عشان أقعد فيها وجيت المكان ده بالتحديد لأن لي معرفة بالتربى اللى ماسك الترب هنا وبنى لى التُربة دية على مدخل كهف فى الجبل اللى ورا التُرب.. عشان كدة المكان اللى أنت فيه ده مش مقبرة ولا حاجة ده كهف ولعلمك أنا معرفشى آخره فين.. أنا مفكرتش أغوط جواه.. وزى ما أنت شايف كدة الشموع فى كل مكان.. وفيه حاجات تانية بستعملها فى شغُلى أنت هاتعرف تتعامل معاها بعد كدة..

فى تلك اللحظة تراجع بدر مُطلقاً شهقة مكتومة وهو يشير إلى جثة الطفل المعلقة على إحدى جوانب الكهف فضحك عنتر وقال: لأ.. مش عايز قلبك يبقى خفيف كدة.. ما دام هتشتغل الشُغلانة دية لازم قلبك يبقى جامد أو بمعنى أصح لازم تقتل زى ما قتلت أبوك بالضبط..

أصاب الهلع وجه بدر وقال: هو أنت عارف؟

عنتر ضاحكًا بقوة: أومال أنا خليتك قاعد من الأول معاي ليه.. أنت أصلًا شبهى وأنا صغير.. مكنش عندي أخلاق ولا ضمير وبالمناسبة دية أنت مش عيب عليك تفكر إنى معرفش عنك كل حاجة.. ده أنا عارف أمك ولدتك إزاي.. يلا نطلع دلوقتي عشان أنا جعان وبالمرة أعلمك تقرا كتب السحر إزاي؟

صعدا مرة أخرى وأعد بدر الطعام وأضاف به كامل كمية السائل المتبقية وقال لنفسه: زى ما تيجى تيجى أنا عملت اللى طلبه عم رضوان العطار وفى نفس الوقت خلصت نفسى منه، وتناول طعامه مع عنتر الذى قال بعد تناوله: مش عارف أنا اليومين دول لما باكل بحس بتعب ليه؟

بدر: تلاقى عندك برد فى معدتك ولا حاجة.. أنا هاقوم أتمشى برة شوية لحسن الأكل طبق على نفسى وأنت يا عم عنتر حاول تريح نفسك شوية..

قاطعه عنتر وقال: استنى أنا جى معاك هصطاد قطة عشان هاعمل بيها حاجة وأنت لازم تكون موجود عشان تتعلم..

خرجا معًا وسارا بين طُرقات المقابر إلى أن وجدا قطة صغيرة قام بإمساكها بدر وعادا إلى مسكنهما بالمقابر مرة أخرى ونزلا إلى باطن المقبرة وطلب عنتر من بدر ذبح تلك القطة..

رفض بدر فى أول الأمر وضغط عليه عنتر إلى أن انصاع له وقام بذبح القطة وصفى دمها فى الموضع الذى أشار إليه عنتر، وسجد عنتر، فقال له بدر: أنت بتسجد ليه؟

قام عنتر وقال: اسجد لسيدي، وسيدك إبليس..

لم ينطق بدر.. فقد أصابه الذعر والفزع، وفى نفس اللحظة اهتز الكهف بقوة وارتفعت حرارة الجو وظهرت الملكة ذات المحاسن ونظرت إلى بدر مبتسمة و أشارت إليه وهى توجه كلامها إلى عنتر قائلة بتهكم: مش هو ده اللى أنت فاكره هينفعك ده واطى ومعندوش أصل، وخاين كمان..

قال عنتر بدهشة وهو يشعر بإعياء شديد: هو أيه اللى حصل؟

ذات المحاسن: ده عدم معرفتك دية فى حد ذاتها مُصيبة.. أنت فعلًا متنفعناش.. أنت يادوبك كبيرك تنصب على الناس لكن تكون مننا ده صعب قوى، وأنا هاعرفك أيه اللى عمله تلميذك النجيب اللى يا ريتك ما شفته:

تلميذك قدر يسلب منك كل قوتك!!

فزع عنتر مُلتاعًا: إزاي ده؟!

ذات المحاسن: هو بقى يحكيلك أيه اللى عمله، وأنا جيت أقولك عشان خدماتك اللى قدمتهولنا زمان ثم اختفت.

نظر عنتر إلى بدر بغضب جم وأشار إليه بيديه فتصلبت أعضاؤه فى نفس اللحظة فضحك بهيستريا وقال بصوت جهورى: ما أنا قوتى لسه معايا أهى.. أومال الملكة قالتلى كدة ليه؟! ثم قال لبدر: قول الصراحة.. أنت عملت أيه؟

- أنا معملتش حاجة..
- قول بمزاجك أحسن ما أقطعك حتت وأخليك تقول غصبٍ عنك..

لم يرد بدر فأضاف عنتر: كدة أنت اللى جبته لنفسك فقام بجر بدر على الأرض وقام بربطه فى إحدى الصخور الضخمة ثم أحضر سكينًا وأصابه بوجهه وقال له: اتكلم يا كلب..

فزع بدر عندما رأى الدماء تنزف من وجهه فطعنه عنتر بفخده بطريقة مفاجئة وقال: أنا هاصفى دمك كله.. ياأما تنطق أو هاموتك هنا بالبطىء ثم أدار رأسه لينظر إلى الشيء الذى لفت انتباه بدر فوجد رجلًا قويًا يقف بمدخل الكهف فقال: وأنت أيه أنت كمان؟

ابتسم الرجل ابتسامة هادئة وقال وهو يسير نحوه ويشير إلى بدر: أحسن حاجة عملتها فى الواد ده أنك هتخلص عليه لأنه ما يستاهلش إلا كدة ثم أشار بيده إلى أعلى فاتجهت نحو يده تلك البلية

التى كان قد أعطاها لبدر مسبقًا فقال بدر فى تلك اللحظة: أنا عملت اللى أنت قُلتلى عليه يا عم رضوان.. خلصنى بقى من اللى أنا فيه..

تجاهل رضوان بدر وقال لعنتر بعدما تناول البلية: شوف يا اخى بتيجى على أهون الأسباب..

أنت لسه بدرى عليك يا عنتر عشان أخدك تلميذ لي ثم أشار إلى البلية وقال: البلية دية اللى حطهالك بدر هنا كانت بتخلينى أشوفك كأنى قاعد معاك.. تقدر تقول عليها البلّورة السحرية.. وأضاف بتهكم: يا ترى تعرف تعمل زيها؟

فى هذه الأثناء أشار عنتر إلى رضوان بيديه فضحك رضوان بقوة وقال: ما هى الملكة قالتلك أنك معندكش قوة بس أنت مصدقتهاش..

عنتر بفزع: أنت عايز أيه؟

رضوان: فاكر ستك فهيمة اللى أنت افتكرت أنك هتاخدها منى.. هو أنت متعرفش أن أنا محدش يعرف ياخد منى حاجة بتاعتى..

تراجع عنتر واتجه نحو صخرة سوداء وأزاح من عليها شمعة مشتعلة، وأخذ من تحتها لفافة مُخضبة بالدماء وفتحها وأصابه الذهول فقد وجد اللفافة ممسوحة الكتابة فقذف بها بعنف وتوجه نحو بدر وقال له: أنت السبب أنت السبب.. لولا أنى عرفتك وجبتك معاي مكنش حصل اللى حصل..

رضوان: ملوش لازمة الكلام ده دلوقتى.. أنت اللى عملته مع فهيمة ملوش إلا جزاء واحد.. تحب الجزاء ده يكون إزاي؟

عنتر: أوعى تفتكر إنى هاترجاك.. ده أنا عنتر.. أنا عشت حياتى بالطول وبالعرض ومش هاجى فى الآخر وانخ لواحد زيك.

ضم رضوان يديه ثم أطلقهما وهو يشير بهما إلى الأرض التى انشقت فى نفس اللحظة وأشار إلى عنتر الذى ارتفع عن الأرض وقُذف به إلى تلك الحفرة التى انشقت بباطن الأرض ثم نظر إليه من أعلى وأشار إليه مرة أخرى فتكونت كُتل اسمنتية على كفيه وقدميه شلت حركته وجعلته لا يستطيع أن يتحرك ثم ذهب إلى الإناء الذى صفى به عنتر دماء القطة المذبوحة وسكبه كله على جسد عنتر وقال له: النهاية دية صعبة.. بس ده جزاء اللى يقف قدام رضوان.. أنت كنت فاكر أنك هتكون خارق بعبادتك للشيطان.. دية حتى العبادة ديه ليها أصول ومش أى حد ينفع يعملها..

تمتم عنتر بجمل وعبارات عابدًا بها الشيطان فقال له رضوان: مش قُلتلك لسه بدرى عليك.. مفيش حد هيرحمك نفس الشيطان اللى أنت بتعبده وأنت بتموت هو نفسه اللى ساعدنى فى أنى أعمل فيك كدة.. ثم ضحك وهم بالانصراف.. فقال بدر باكيًا: ارحمنى وأنا هاعمل كل اللى أنت عايزه..

رضوان: أيه ده هو أنت مخدتش بالك أن عنتر هيموت فى قبره يأما من الجوع أو من الحيوانات اللى ممكن تيجى تاكل فى لحمه وهو حى، وأنت هتموت زيه بالضبط ما أنتوا الاثنين شبه بعض وعشان أنتوا بتحبوا بعض لازم تموتوا مع بعض.. دية آخرة اللى زيكوا..

بدر باكيًا: يا عم رضوان بقى ده جزاتى أنى جيتلك وحذرتك من عنتر واللى كان ممكن يعمله مع مراتك..

رضوان: عندك حق.. بس أنت سرقت أبوك قبل كدة، وقتلته.. يعنى ملكش خير فى أى حد.. وبعدين هو أنت نسيت عملت أيه مع زياد ابن عمك..

بدر: أنا مكنش قصدى.. أنا كنت عايز أعيش..

رضوان: خلاص.. جه وقت الحساب..

بدر محتدًا: هو أنت مين عشان تقول جه وقت الحساب.. أنت بنى آدم زينا.. وساحر؛ يعنى متفرقش عننا كتير.. كل واحد مننا ليه ذنوبه، وعلى العموم أنت برضه هيجليك اللى يعمل فيك كدة..

نظر إليه رضوان بصمت ثم ترك المكان وانصرف، وصعد إلى أعلى الكهف وأصبح على ظهر أرض المقبرة ثم تمتم واختفى ليذهب إلى فهيمة ويبشرها بأنه قد تم إخضاع عنتر له..

فهيمة: أنا أول مرة أعرف موضوع السائل المقروء عليه، وأعرف أنه بيضعف السحرة كدة.. بس الغريب أن الساحر مبيكتشفوش.. أنت قدرت توصل له إزاي..

- أنت عارفة ده مزيج من مية زمزم مقروء عليه آيات السحر من أحد الشيوخ الثقال، ومحطوط عليه شوية عسل نحل جبلى مقروء عليه برضه ومن الصعب اكتشافه..
- طب كان فيه واحدة اسمها أم أدهم، وديه ولية بتاعة فنجان ومبواظالى الشغل هنا فى البلد، وبينى وبينك اتحديتنى وجابت سيرتى عند الناس وأنا عايزة أعرفها مقامها..
- أنا ممكن أجيبهلك لحد عندك، وتعملى فيها اللى أنت عايزاه..
- لأ يا حاج.. أنا عايزة أعمل كدة بنفسى.. عايزة أحس بلذة الانتصار..
- طب أيه اللى مطلوب؟

- أنا عايزاك تجيبلى إزازة من السائل اللى أنت قُلتلى عليه..

- ليه؟ هىّ أم أدهم ديه جامدة قوى كدة..

- أنا عايزة أشوفها قدامى ضعيفة مذلولة.. زى ما أنت كدة شفت عنتر ذليل ومكسور..

نظر إليها رضوان بصمت طويلًا فقالت: أنت بتفكر تدينى السائل ولا لأ.. ولا بتفكر فيه أيه؟

- لا أبدًا ده أنا حتى معايا إزازة فى جيبى دلوقتى ثم أخرج قارورة صغيرة من جيبه وناولها لفهيمة التى ابتسمت وضمت القارورة إلى صدرها وأضافت: متشكرة قوى يا حاج بس أنت مقولتليش أنت أيه اللى شغلك؟

- أنا دماغى مشغولة مع الحاجة أم إيمان ومش عارف بالى مشغول كدة ليه عليهم..

- قلبك حن ولا أيه؟

- أنا مش عارف ليه بفكر فى إيمان بنتى كتير.. وقلقان عليها قوى..

- أنت بتحب مراتك وبنتك؟

- أبقى كداب لو قلت أنا مبحبهومش.. بس زى ما تقولى كدة أن حبى للحاجة حب عشرة.. ما إحنا متجوزين بقالنا كتير قوى.. لكن حبى لبنتى مختلف.. دية برضه من صُلبى..

- أومال أنت حبيتنى ليه؟ وحبيت فيا أيه؟

- أنت مختلفة.. أنت فيك حاجة شدتنى.. أنت جميلة، ومن أول ما شفتك حسيت أنى عارفك من زمان وبينى وبينك أنا مش عارف حبيتك ليه؟

- طيب قوم ارجع لبيتك ولمراتك لحسن وحشوك..

- أنت بتغيرى ولا أيه؟

- لا أبدًا بس أنا النهاردة تعبانة شوية ومش هاقدر أقعد معاك فقام الحاج رضوان بالانصراف..

بعد انصراف الحاج رضوان أخرجت فهيمة الموبايل واتصلت بدُنيا وقالت لها: أزيك يا دُنيا عاملة أيه وازى أختك أمال..

- بخير والحمد لله.. أنت اللى عاملة أيه؟ خير يا أختى هو حصل حاجة؟

- هو مينفعش أتصل بيك إلا لو فيه حاجة.. على العموم أنا عايزاك تيجبى أختك أمال وتيجولى على العنوان اللى هديهولك دلوقت...

- بس يا أختى أنا جوزى لسه مجاش من الشغل.. وأمال هتسيب بنتها فين؟ خلينا لحد بُكرة وإحنا هنشوف هنعمل أيه؟!

- جوزك دلوقت هيعدى على أمال وهياخد منها البنت عشان يفسحها معاه.. أصله رايح فرح واحد صاحبه فى بلد جنبنا وهو هايتصل بيك بعد ما أقفل معاك.. المهم تاخدى أمال وتركبوا وتيجولى على مصر فى العنوان ده؛ وأملت عليها العنوان ووصفت لها بالتفصيل مكان العنوان وكيفية الوصول إليه.. ثم أضافت: وقولى لأمال أنى أنا لاقيتلها بدر، وخليها تجيبلها غيار تانى جوة وبرة عشان احتمال هدومها تتوسخ.. يلا مع السلامة..

فى نفس اللحظة تحول المكان الذى تجلس به فهيمة إلى كهف ملىء بالشموع وسارت به إلى أن نظرت مبتسمة إلى داخل حفرة عميقة وقالت: هما مش قالولك أنك مش هاتقدر على رضوان، وإنه لو جالك هنا أو خدك عنده مش هيرحمك..

نظر لها عنتر الذى يرقد بداخل الحفرة نظرة ملؤها الغضب وقال: لولا أن الكلب المربوط قدامك ده خانى مكنش رضوان قدر يهوب عندى هنا..

نظرت فهيمة إلى الشخص المُقيد أمامها وضحكت قائلة: قصدك على الكلب ده.. أنت صعبان علي يا عنتر أنت وثقت فى شخص وصولى وأنانى.. ده حتى قتل أبوه.. بس متستغربش ما أنتوا الاثنين شبه بعض..

فى هذه اللحظة نظر إليها بدر بإعياء شديد قائلًا: يعنى أنتوا كلكم ملايكة وأنا اللى شيطان.. طب ما دام أنت شايفانى ندل وشايفة عم عنتر فى مصيبة ما تخلصينا من اللى إحنا فيه..

ضحكت فهيمة وقالت: اخلصكوا كدة عادى.. وكل اللى أنتوا عملتوه أنساه بسهولة.. بس أنا فعلًا ممكن أخلصكم وده هيكون قصاد أيه؟ أصلى أنا اتعودت أن الحياة أخد وعطا.. حاجة قصاد حاجة.

على العموم سيبونى أفكر شوية..

ساد الصمت المكان إلى أن سارت فهيمة باتجاه الحفرة و أشارت إلى عنتر فارتفع جسده بالكامل من الحفرة واستقر على أرضية الكهف.. ثم نظرت وراء بدر وقالت: أيه رأيك نعمل أيه مع عنتر ده؟!

فى هذه اللحظة قال لها بدر: أنت يا ست بتكلمى مين فأشارت له فهيمة فتحرر كُليةً من قيوده وإن كان لم يستطع الوقوف فجلس على الأرض تنزف الدماء بغزارة من فخده، ونظر إلى الاتجاه الذى تنظر إليه فهيمة وهى تتكلم وقال: أنا مش شايف حاجة.. حرام عليكم أنتوا بتعملوا فيّا كدة ليه؟ تجاهلت الرد عليه وقالت للكائن الذى تتكلم معه.. لم ترد علىّ أيها الملك..

الملك: عنتر ده أعتقد أنه خارق لدرجة أنه حبسنى فى إزازة عشان يوصل لك..

فهيمة: أنت تعلم أيها الملك أنك من سمحت له بحبسك حتى تصل لغرض معين أنت تعلمه، وأنا أيضًا أعلمه والآن ماذا ترى؟ هل نتركه أم نُحرره؟

الملك: كما يترأى لك ولكن إذا اتخذت قرارًا بتحريره يجب أن يعتذر لى.. وهو يعلم معنى اعتذار إنسى لجنى.. يسجد لى ويطلب منى أن أسامحه.. ووقتها يمكن أن أقبل اعتذاره أو لا..

عنتر: سألبى كل ما تأمر به أيها الملك ولكن فلتحررنى أولًا..

فى هذه الأثناء ألقت فهيمة نحو عنتر كتلة صغيرة من الدخان فاختفت الكتل الخرسانية التى كانت تُكبل يديه وقدميه وغمر هذا الدخان بدر أيضًا فالتئم جرح قدمه وشعر بالحيوية والنشاط فقال عنتر لفهيمة بضيق: أنت اتفقتى مع الملك على تحريرى أنا بس.. أنت بتحرريه هو كمان ليه؟

فهيمة: لقد حررتكما معًا ولكن لن يستطيع أي منكما أن يتحرك من هنا إلا بأمرى، وإياك أن تتكلم مرة أخرى إلا بإذنى، والآن اسجد للملك ميططرون واطلب منه أن ينسى ما فعلته وأن يغفر لك، ولا تقوم من سجدتك إلا عندما آُمَرْك بذلك ثم ضمت أصابع يدها وأطلقتها ليتكون حاجز هُلامى ضخم قسم الكهف إلى جانبين.. جانب به عنتر والملك، وجانب به فهيمة وبدر فتراجع بدر خائفًا من مشهد هذا الحاجز فقالت له فهيمة: متخافشى.. أنا لو كنت عايزة أأذيك كنت أذيتك من زمان وكنت ممكن أسيبك مربوط لحد ما تموت..

بدر: أنت عايزة منى أيه؟

فهيمة: أنا عايزة أنقذك من نفسك.. ثم أشارت بجوار بدر وقالت: أيه رأيك؟

نظر بدر بجواره فرأى أكوامًا من الذهب والجواهر؛ فتهللت أساريره..

فقالت له: أيه رأيك أن كل الذهب يبقى بتاعك، وتاخد بعضك وتروح على البلد تعيش حياة جديدة بيهم وتشترى أراضى وتعيش بقى.. بس فيه مشكلة واحدة؟

بدر: أيه هيا؟ أنا مستعد أعمل كل اللى تقولى عليه.

فهيمة: أنا مش عايزة حاجة.. الذهب ده بتاع الملك، والملك ده مبيديش حاجة لحد ببلاش.

بدر: أيه عايزانى أسجد له أنا كمان.. أنا على أتم استعداد..

ضحكت فهيمة وقالت: لأ مش دلوقتي الموضوع ده.. أنت هتعمل حاجة تانية يمكن ترضيه.. أنت هتدبح عنتر!!

أصاب الوجوم والفزع وجه بدر فقالت له فهيمة: زى ما يكون الموضوع جديد عليك ما أنت قتلت قبل كدة ومخدتش جزاءك.. المرة دى هتقتل وهاتخد دهب؛ وهتعيش حياة متحلمش تعيشها ثم ناولته سكينًا كبيرًا مسنونًا من الناحيتين وقالت له: اقتله..، وفى هذه الأثناء اختفى الحاجز الهُلامى وانقض بدر على عنتر وهو ساجد وغرس السكين برقبته من الخلف وأداره يمينًا ويسارًا إلى أن فصل رأس عنتر عن جسده فقالت له فهيمة: جر هذا الجسد والقى به فى الحفرة، وضع رأسه معه..

قام بدر بتنفيذ ما أمرت به.. فسمع صوت ينادى من الخارج: ياحاجة فهيمة.. فأشارت بيديها باتجاه بدر مرة أخرى فعاد مكبلًا إلى الصخرة مرة أخرى وقال: ليه كدة ما أنا عملت اللى أنت قلتى عليه..

لم تلتفت له وصعدت إلى ظهر القبر ورحبت بالسيدتين أمال ودُنيا وبادرتها أمال بالقول: فين بدر ده؟

قالت لهما: تعالوا ورايا ثم نزلوا جميعًا إلى باطن المقبرة وشاهدوا بدر وهو يبكى والذى انهار تمامًا عندما رأى أمال زوجة أبيه..

فهيمة: أيه رأيك يا أمال مش قُلتلك أنى هجيبلك بدر وهخليه يبوس رجلك..

أمال: أنا عايزة أسمع منه أيه اللى عمله؟ وعمله ليه؟!

نظرت فهيمة لبدر قائلة: أنت مسمعتهاش ولا أيه؟

قول أيه اللى أنت عملته وبالتفصيل الممل ومتنساش أى حاجة؟

بدأ بدر بقص كل ما فعله وتكلم عن دوافعه لما فعله..

بصقت عليه أمال قائلة: طول عمرك واطى أنت وأمك.. أنا نفسى أكلك بسنانى وأقطعك تقطيع..

فهيمة: الواد ده لو سبناه مش بعيد يقتلنا واحدة ورا واحدة.. أنا هاقتله، وجلبت السكين الملىء بالدماء واتجهت نحو بدر و أشارت بيدها الأخرى نحو فخده إشارة خفية فانسالت منه الدماء من نفس المكان الذى كان قد طعنه عنتر فيه ثم قالت لأمال: أنا ضربته فى رجليه وكنت هاطير رقبته بس ده طارك أنت.. لازم أنت اللى تخلصى عليه بنفسك!!

دُنيا: بلاش يا أختى إحنا نسلمه للبوليس وهما يشوفوا هيعملوا معاه أيه؟

رمقتها فهيمة بنظرة غاضبة فقالت دُنيا: الواد ده لازم يندبح زى ما قالت الحاجة.. فأتجهت نحوه أمال وغرست السكين بجسده وظلت تطعنه بهيستريا طعنات كثيرة إلى أن انهارت باكية على الأرض..

فهيمة: يلا نطلع فوق من الجو ده.. عشان أمال تغسل أيدها وتغير هدومها، وصعدا معًا إلى ظهر المقبرة وقامت أمال بالاغتسال واستبدلت ملابسها وقالت لها فهيمة: كويس أنك عملت كدة.. برافو عليك.. الواد ده كلب سعران وكان ممكن يعض أى واحدة فينا..

دُنيا: بس أن خايفة لحد يعرف باللى حصل ده؛ ونروح فى داهية..

فهيمة: اطمنى.. ده مش بيتنا، ومحدش يعرفنا هنا، ومفيش حد هيعرف أى حاجة.. بس أنا ليا خدمة..

دُنيا: أنت تأمرى يا حاجة ده إحنا من أيدك ديه لأيدك ديه..

فهيمة: بس أختك أمال باين عليها ملاهاش مزاج..

أمال: أبدًا بس أنا تعبانة من منظر الدم.. أنت طلباتك أيه؟

أخرجت فهيمة زجاجة صغيرة وقامت بمناولتها لدُنيا وقالت: أنت يا أمال مش عايزة منك أى حاجة دلوقتي إحنا هنسابق دُنيا لمحطة مصر وهنستناها هناك لحد ما هتروح دُنيا مشوار وتحصلنا على هناك ثم نظرت لدُنيا وقالت: أنت هتاخدى الإزازة ديه وهوصفلك مكان واحدة هتروحيلها وتديلها الإزازة ديه وتقوليلها أنك من طرف الشيخ عنتر وهو اللى بعتك بأمارة ما رجعلك جوزك، وقوليلها عنتر بيقولك إدى الازازة ديه لأم إيمان عشان تُحط من اللى فيها للحاج رضوان فى أكله وشربه.. عشان هو رجع لفهيمة تانى وكان بيضحك عليك، وبعد كدة حصلينا على المحطة عشان نرجع البلد مرة تانية..

رحلت دُنيا إلى العنوان وأعطت الزجاجة لأم أحمد جارة أم إيمان ثم عادت إلى محطة القطار وأخبرت فهيمة بأنها قد فعلت كل ما أمرت به، ثم أضافت سائلة الحاجة فهيمة: هى مين أم إيمان دية اللى هتحط اللى فى الإزازة دية لجوزها؟

فهيمة: ده يا أختى شغل بتاع ناس..

دُنيا: أيوة يعنى شغل أيه؟

فهيمة بغضب: شغل يا دُنيا.. اللى ملكيش فيه متسأليش فيه..

أمال: ما خلاص يا دُنيا أنت فضولية ليه كدة.. إحنا فى أيه ولا أيه ثم أشارت لهما: يلا.. القطر داخل المحطة خلونا نسافر ونرتاح.. يكش القطر يتقلب بينا، وساروا جميعًا نحو القطار للعودة إلى

بلدهم، وأثناء ركوبهم القطار بادرت فهيمة أمال بالقول أنت كدة ارتحت وخدت حقك بس أنا مضمنليكيش أن مفيش أى حاجة تحصل لبنتك أوتحصلك فى الفترة اللى جاية..

أمال: يعنى أيه الكلام ده.. هو ممكن حاجة تحصل تانى؟؟

فهيمة: يا حبيبتى مفيش حاجة مضمونة.. أنت فعلًا انتقمت من بدر بس اللى سلط بدر يعمل حاجة زى كدة لسه موجود، وأكيد لما يعرف اللى حصل لبدر هيفكر ينتقم منك فى بنتك..

قالت أمال بوجل وارتياع: لأ.. كله إلا بنتى.. ده اللى هيمسها أنا هقتله..

فهيمة: ما هو عشان كدة إحنا لازم نحمى نفسنا منه..

قاطعتها دُنيا قائلة: ومين هو الشخص اللى ممكن يأذينا؟

فهيمة: ده راجل اسمه الحاج رضوان وده كان صاحب أخو الحاج سعيد..

دُنيا: أنا مش فاهمة حاجة.. يعنى إحنا فى خطر ولا أيه والمفروض نتصرف إزاي دلوقتي؟؟

فهيمة: ما هو عشان كدة أنا هاتصرف على طول ومش هتأخر لحسن يحصل حاجة، وعشان كدة أنا عايزاك يا أمال تروحى وتودى سلفتك أم زياد، ولازم تخلى علاقتك بيها كويسة لحد ما هقولك تعملى أيه..

أمال: يا حاجة أنا مش عايزة أعرف الناس دية..

فهيمة: عشان مصلحتك يا عبيطة.. إحنا أول ما نوصل البلد تخدى بعضك وتروحى على دار أم زياد وتخلى علاقتك بيها كويسة وممتازة وتعزميها كمان عندك.. عايزاكو تبقوا زى الأخوات..

فى هذه الأثناء وصل القطار إلى البلدة، وبادرت أمال أختها بالقول: لما جوزك ييجى ويجيب بنتى معاه خليها عندك لحد ما أوصل لسلفتى أم زياد ولما أجيلك هابقى أحكيلك أيه اللى حصل؟ وسلمت على فهيمة وتركتهم وسارت إلى منزل أم زياد وطرقت الباب ففتحت لها إسراء صامتة ثم قالت: أيوة حضرتك عايزة مين؟

أمال: أنا عارفة أنك مش عرفانى أنا مرات عمك سعيد.. هى ماما موجودة؟

إسراء: أه.. اتفضلى.. جاءت الأم فى تلك اللحظة ورحبت بأمال وقالت لإسراء شوفى مرات عمك تشرب أيه؟

ردت أمال : شكرًا أنا مش عايزة حاجة أنا جيت أشقر عليك أصل أنت وحشتينى، وجلسا يتبادلان الحديث إلى أن استأذنت أمال..

بعد مرور فترة وجيزة عاد زياد للمنزل فقالت له أمه: دلوقتي أم إيمان اتصلت بي وعايزانا نروح نقعد يومين فى مصر ونزور سيدنا الحسين والسيدة زينب..

زياد: ماشى يا أما وأنا هوصلك أنت وإسراء وقت ما تروحى تزوريهم وهاروح أقعد فى شقتنا هناك عشان بقالى كتير مرحتش هناك، ولما تحبى ترجعى البلد هارجع معاكوا..

الأم: خلاص لما ييجى أخوك سيد هشوف أعمله أكل أيه ياكله وإحنا مش هنا، وأعمل حسابك بعد بكرة هنروح على مصر..

سافر زياد ومعه أمه وأخته إلى مصر ومروا على دكان الحاج رضوان الذى رحب بهم ثم قام زياد بتوصيل أمه وأخته إلى منزل الحاج وانصرف عائدًا إلى شقته..

بعد ترحيب أم إيمان بأم زياد وترحيب إيمان بإسراء.. قاموا جميعًا بإعداد الطعام وجلست الابنتان بعد تناول الطعام يتحدثا فقالت إيمان: أوعى تكونى يا إسراء لسه زعلانه منى عشان موضوع زياد؟

إسراء: أبدًا يا إيمان.. يمكن الأخوات بيزعلوا من بعض؛ بس عمر الزعل ده ما يأثر على حبهم لبعض.

أنا لما كنت بتكلم معاك على موضوع زياد كان قصدى تدى نفسك فرصة تعرفيه، ويمكن لما تقربى منه نظرتك ليه تتغير وتلاقى نفسك بتحبيه وصدقينى زياد كويس قوى وأى بنت تتمناه ثم ضحكت قائلة: ده لو مش أخوي كنت اتجوزته أنا..

إيمان: أنت عندك حق.. أنا من ساعة ما جيت من عندكوا وأنا بفكر فى الموضوع ده.. والصراحة أنا تفكيرى بقى زى تفكيرك..

إسراء: يا بنتى أنا مش بقولك كلام فض مجالس أنت عارفة أنا بحبك أد أيه وتهمنى مصلحتك.. بس سيبك أنت أنا مبسوطة أن تفكيرك بقى زى تفكيرى.. بس أنا مش فاهمة أنت قررتى أيه؟

إيمان: أنا بلغت ماما أنى أنا موافقة على الخطوبة، وهاشوف بقى ساعتها قلبى هيودينى على فين؟

قامت إسراء بأحتضانها وتقبيلها وقالت: هو ده الكلام.. خلينا نفرح.. إحنا بقالنا كتير مفرحناش.. تعالى بقى نشوف الستات اللى برة دول وصلوا لحد فين؟ وخرجتا من الغرفة ليتفاجأ بقيام أمهاتهما

باحتضان كل منهما للأخرى فقالت إسراء: أيه ده.. ده باين عليكم خلصتوا كل حاجة.. أنا هزغرط بقى..

أم إسراء: مبروك يا إيمان يا بنتى أنا هاتصل بزياد وهاخليه يعدى على الحاج ويجى معاه..

بعد مرور الوقت وصل الحاج رضوان وبصحبته زياد، ورحب بالجميع ثم قالت أم زياد موجهة كلامها للحاج رضوان: إحنا يا حاج يشرفنا أن إحنا نناسبك ونطلب أيد إيمان لزياد..

رضوان: والله يا حاجة إحنا يشرفنا نكون نسايبكم.. أنتوا ولاد حلال؛ وفى نفس اللحظة قامت أم إيمان بإطلاق زغروطة واحتضنت أم زياد وإسراء وقامت بتهنئة إيمان وزياد..

طلبت إسراء أن تأخذ إيمان وزياد إلى الشرفة وترك الكبار يقعدوا مع بعض، وبعد انصرافهم قالت أم إسراء: إحنا جاهزين يا حاج عشان نعمل الخطوبة فى الوقت اللى يناسبك..

رضوان وقد عقد حاجبيه: خطوبة أيه يا حاجة.. متأخذنيش أنا معنديش الخطوبة والكلام ده.. إحنا هنعمل خطوبة وكتب كتاب ودخلة مرة واحدة..

ام إسراء: بس يا حاج إحنا لسه هنبنى دور تانى لزياد ولسه هنوضبه ونجيب العفش..

رضوان: ابنوا الدور ووضبوه، وهاتوا عفشكم براحتكم وإحنا كمان نكون اشترينا الحاجات اللى ناقصة فى جهاز إيمان بس يا حاجة متزعليش منى مفيش ولا خروج ولا غيره لحد ما ربنا يسهل..

أم زياد: طب يا حاج ممكن الواد يكلم البت فى التليفون..

تدخلت أم إيمان فى الكلام وقالت: ما هما يا حاج فى حكم المخطوبين.. مفهاش حاجة لما يكلموا بعض فى التليفون..

الحاج رضوان: ماشى يا حاجة اللى تشوفوه.. أنا هستأذنكوا عشان محتاج أرتاح شوية.. وانصرف.. واتفقت السيدتان على الإسراع بتجهيز وإعداد بيت الزوجية حتى يفرحا بالأولاد..

مرت الشهور وانتهى زياد من بناء الدور الثانى بمنزل والده ببلدتهم، وساعده أخوه سيد فى تشطيب الشقة الجديدة واشتركت الأسرة بالكامل فى شراء الأثاثات وخلافه، وقام زياد بالاتصال بالحاج رضوان، وأخبره بانتهائه من إعداد بيت الزوجية ودعاه هو والأسرة إلى البلد لرؤية شقة العروس، ولبى الحاج رضوان وأسرته الدعوة وسافروا إلى البلدة؛ وأبدوا إعجابهم بتأثيث الشقة واتفقوا على ميعاد فرش الشقة واستكملوا باقى تفاصيل الاتفاق على الزواج وحددوا ميعاد الفرح الذى سيكون بالبلدة..

وبعد مرور أسابيع تم فرش الشقة يالكامل، وتبقت أيام معدودة على العُرس، وقامت الأسرتان بدعوة الأقارب والمعارف وفى صباح يوم العُرس حضرت أمال إلى أم زياد التى رحبت بها وباركت لها وطلبت منها المشاركة فى إعداد الطعام والشراب للمدعوين وبأنها سوف تُحضر بعض الحلويات للعرسان لوضعها مع حلة الاتفاق.. فقالت أم زياد: طبعًا يا حبيبتى ما أنت مرات عمه، وفى هذه الأثناء رن موبايل أمال التي ردت وقالت: أنا جاية دلوقتي على طول ثم استأذنت من أم زياد وانصرفت، وبعد خروجها ذهبت إلى منزل فهيمة التى بادرتها بالقول غاضبة ومحتدة: إزاي متقوليليش أن فرح زياد وإيمان النهاردة..

- مش أنت اللى قُلتيلى أوطد علاقتى بيهم، وبعدين ده فرح عادى يعنى.. أنا مش عارفة الموضوع ده مزعلك كدة ليه؟!
- مش إحنا اتفقنا أننا هانخلى بالنا من الناس دية لحد ما أشوفلكوا صرفة معاهم هما والحاج رضوان والفرصة جتلنا لحد عندنا ثم أخرجت كيسًا صغيرًا مملوًّا ببودرة بيضاء تشبه السكر البودرة وناولته لأمال قائلة لها: أنت هاتخدى البودرة دية وهتحطيها للعريس والعروسة فى أكلهم وما تخافيش دية مش هاتعملهم حاجة دية بس هتخليهم تحت عينى على طول، والبودرة دية مش هتبان فى الأكل وملهاش أى طعم..
- أنا كنت رايحة أجيبلهم طبق حلويات من المركز.. هاروح أجيبه وأنا راجعة أعدى عليك ونحط فيه البودرة دية..

انصرفت أمال وقامت بشراء طبق حلويات ثم ذهبت إلى فهيمة، وفتحت طبق الحلويات وقالت لها فهيمة: خدى حُطى البودرة دية عقبال ما أعمل كوبيتين شاى، وقامت أمال برش كافة الحلويات بتلك البودرة، وكلما رشت لا يظهر للبودرة أى أثر على الحلويات فنادت على فهيمة وقالت: يا أختى أنا كل ما أرش من البودرة دية ملاقيش ليها أى أثر..

ضحكت فهيمة قائلة: دية بودرة مخصوصة جاية من برة.. أملى أنت بيها الحلويات ولفى الطبق زى ما كان وروحى وديه للعرايس.. واتأكدى أنه فى أوضة نومهم..

- وأنا هاطلع أوضة نومهم إزاي.. أنا هادى الطبق ده لأم زياد وهى تبقى تطلعوا شقة العرايس..
- اطلعى من هنا على هناك على طول، وخشى الدار واطلعى على شقة العرايس هتلاقى الباب مفتوح خشى هتلاقى كل الأبواب مقفولة إلا باب واحد وهى دية أوضة النوم.. هاتخشى وهاتحطى طبق الحلويات..

- إزاى هاخش ومحدش هيشوفنى ولا يقول لى أنت رايحة فين ولا جاية منين؟ وكمان أنت إزاي عارفة دارهم وعارفة شقة العرايس.. هو أنت شفتى الكلام ده فين؟!

- ديه حاجة بسيطة.. دية شغلتى.. نفذى بس اللى أنا بأقولك عليه وحياتك بعد كدة هتبقى فاضية ومفيش فيها مشاكل، وهترتاحى على الآخر.. وعمرك ما هتفكرى تيجيلى تانى.. عشان هاتكونى استقريتى خلاص فى دنيا تانية..

- استقريت فى دنيا تانية إزاي يعنى؟ أنا مش فاهمة حاجة..

- ماتقلقيش وروحى بس اعملى اللى أنا قلت لك عليه.. وبعدين هتفهمى كل حاجة.. ومتنسيش الناس دية عايزين يخلصوا عليك أنت وبنتك ويهدولك حياتك كلها..

انصرفت أمال إلى منزل أم زياد ونفذت كل المطلوب منها وتعجبت بأن الأمور سارت كما رسمت أحداثها فهيمة.

وفى ليلة العُرس فرح الجميع ورقصوا إلى أن تعب الحاج رضوان فجأة وأصابه الإعياء وطلب من زوجته ألا تُشعر أى شخص بما حدث له حتى تمر الليلة بسلام..

وفى صبيحة اليوم التالى صعدت أم إيمان مع أم زياد إلى العروسين لتهنئتهما وإعداد الطعام لهما.. وطرقا الباب كثيرًا ولم يفتح العروسان الباب..

نظرت السيدتان لبعضهما وضحكا وقالت أم زياد: تلاقيهم سهروا شوية تعالى ننزل ويكون الحاج صحى ونبقى نطلع كلنا سوا..

وبعد مرور عدة ساعات صعد الجميع وطرقت إسراء الباب ولم يرد عليها من الداخل أي من العروسين.

عاودت إسراء الكْرة مرة بعد أخرى ولم يستجب لها من بالداخل فقام سيد بطرق الباب بقوة ولم يتلق أى إجابة إلى أن قالت أم إسراء والقلق يبدو عليها: أنا معايا نسخة احتياطى كان زياد مديهانى.. أنا نازلة أجيبها.. تعالوا انزلوايا ولاد، وأنا وأم إيمان هانفتح ونخش نشوفهم لحسن يكون حصل حاجة، ونزل الجميع وصعدت السيدتان ودخلا إلى الشقة وأطلقتا صرخات متتالية فصعد الحاج رضوان وسيد وإسراء مهرولين إلى الشقة ليروا زياد وإيمان ممدين على سرير غرفة النوم بلا حراك.. فتوجه نحوهما الحاج رضوان وتحسسهما فوجدهما وقد فارقا الحياة وعلى السرير باقى طبق الحلويات الذى كانت قد أحضرته أمال..

ولولت السيدتان وصرخت إسراء وانهار الجميع..

انتشر خبر وفاة العروسين بالبلدة وأحضر سيد طبيب الوحدة للكشف عليهما لعمل إجراءات الوفاة وعندما أتم عملية الكشف أخبرهم بضرورة إبلاغ الشرطة لأن الوفاة غير طبيعية.. اتصل الطبيب بالشرطة وجلس ينتظر قدومها ونزل سيد إلى الحاج رضوان ليخبره بما قاله الطبيب وطرق عليه الباب فلم يرد.. ففتح الباب عليه فوجده ساجدًا يُصلى وعندما انتهى من صلاته أخبره بما قاله الطبيب فقال: حُسبنا الله ونعم الوكيل إنا لله وإنا إليه راجعون.. قل ما يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا.. يا ابنى كله مكتوب.. الحمد لله.. كل اللى يجيبه ربنا كويس..

فى هذه الأثناء حضرت الشرطة وتحفظوا على الجثث إلى أن جاءت الإسعاف وتم وضع جثتى العروسين بها، وطلبت الشرطة من الجميع عدم صعود أى شخص للدور العلوى لحين ظهور تقرير الطب الشرعى وتفسير ما حدث، وتركوا شرطيين على باب المنزل..

وبعد مرور يومين ظهر تقرير الطبيب الشرعى الذى أثبت موت العروسين بالسم.. وحضر رجال البحث الجنائى ورفعوا البصمات وأخذوا عينات من الطعام لتحليلها وثبت وجود السم بالحلويات، وطالت تحقيقات النيابة مع جميع افراد الاسرة ايامًا عديدة ولم يُدان أحدًا منهم إلى أن تذكرت أم زياد ما طلبته منها أمال.. فطلبت مقابلة وكيل النيابة وأخبرته بأن أمال كانت قد طلبت منها جلب بعض الحلويات للعروسين.. بس هى مش عارفة إزاي الطبق ده وصل للعروسين؛ فتوجهت الشرطة إلى منزل أمال وتم القبض عليها، وفى قسم الشرطة انهارت أمال وقالت: مش أنا اللى قتلتهم دية فهيمة، ولم تردد إلا هذه الجملة فاصطحبتها الشرطة إلى منزل فهيمة وطرقوا الباب وعند عدم وجود استجابة من الداخل كسروا باب المنزل ودخلوه فلم يجدوا أى شخص.. فتشوا المنزل كثيرًا ولم يعثروا على أى أثر لفهيمة ولم يتبق إلا زريبة الدار التى دخلتها الشرطة فلم تجد بها أى مواشٍ وانما وجدوا بطانية كبيرة قديمة موضوعة بالمسامير على أحد جدران الزريبة فلما رفعوا تلك البطانية وجدوا سلمًا متجهًا لأسفل فنزلوه ليجدوا أنفسهم بمقبرة فرعونية ويجدوا جثة فهيمة متحللة فقال الشرطى لأمال وهو يُشير إلى الجثة: هى دية فهيمة اللى بتقولى أنها قتلتهم.. نظرت أمال فوجدت جثة فهيمة شبه متحللة فانهارت قائلة: مش ممكن دية كانت معايا إمبارح.. أنا مش مصدقة.

اصحى يا فهيمة، قوليلهم أنك أنت السبب، وأصابها الذهول وصمتت تمامًا ثم قالت فجأة للشرطى: طب اسأل أختى دُنيا هى كانت معايا فى كل حاجة..

وفى أثناء اصطحاب الشرطة لأمال إلى القسم تم القبض على دُنيا أخت أمال وتم حبسهما لحين عرضهما على النيابة، وفى حضرة وكيل النيابة اعترفت أمال بقتلها لبدر الذى قام بقتل زوجها وأصرت

على ضرورة شهادة دُنيا أختها فهى من ستؤكد كلامها، واستدعت النيابة دُنيا وقامت بسؤالها: أختك بتقول إنك كنت معاها لما قتلت بدر..

دُنيا: أبدًا يا بيه.. أختى من ساعة جوزها ما مات وهى حالتها غريبة وبتتخيل حاجات محصلتش..

النيابة: مش أنت سافرت معاها على مصر وخليت جوزك ياخد بنتها معاه لما راح فرح واحد صاحبه..

دُنيا: يا بيه أنا وصلتها لحد محطة القطر بس عشان كانت رايحة مصر تشترى شوية طلبات، وبعد كدة روحت على بيتى ومخرجتش منه تانى..

قام وكيل النيابة باستدعاء أمال ومواجهتها بأختها وأصرت كل منهما على أقوالها فأمرت النيابة بالتحفظ عليهما لحين الانتقال إلى مسرح الجريمة لتمثيل أمال لكيفية قتلها لبدر..

وفى اليوم التالى انتقلت الشرطة والنيابة إلى مدينة القاهرة وذهبوا إلى مكان مقبرة عنتر التى كان يعيش بها وتأكدوا من جريمة القتل ووجدوا سكينًا مُلطخًا بالدماء ثم عاود رئيس النيابة سؤاله لأمال: أنت أيه اللى جابك هنا وقدرت إزاي تقتلى الشاب ده.. يعنى قدرت عليه إزاي؟؟!!

أمال: صدقنى يا سعادة البيه مش أنا لوحدى اللى عملت كدة.. هى فهيمة اللى ضربته الأول؛ وبعدين أنا كملت، واسألوا أختى..

قالت أختها بسرعة: يا بيه أنا أول مرة أجى هنا، ومعرفش حاجة عن الكلام ده..

رئيس النيابة: على العموم أداة الجريمة أهى موجودة وهانشوف البصمات اللى عليها ثم أكمل فحص مكان الجريمة وعاد الجميع إلى البلدة مرة أخرى وظهر تقرير الطب الشرعى الذى أكد أن البصمات الموجودة على السكين تخص أمال وحدها، وتم إحالة أوراق القضية إلى محكمة الجنايات التى أصدرت حكمها بتحويل أمال إلى مستشفى الأمراض النفسية والعصبية للتأكد من سلامة قواها العقلية وأصدرت قرارًا بالإفراج عن دُنيا لعدم ثبوت أى تُهم ضدها..

وقد حضرت أسرتا زياد وإيمان المحاكمة وقامت أم زياد وأم إيمان بإطلاق الدعوات على أمال وقام الحاج رضوان بتهدئتهما وخرجوا جميعًا من قاعة المحكمة وعادوا إلى منزل أم زياد، واستأذنهم الحاج رضوان للخروج للصلاة، ولكنه لم يذهب إلى الصلاة بل قادته قدماه للتوجه إلى منزل فهيمة ووقف أمام المنزل يتأمله ففوجئ بفتح باب الدخول إليه، فتوجه إليه ودخل إلى المنزل ليتفاجأ بوجود فهيمة جالسة تنظر إليه مبتسمة فقال لها: أنت مش فهيمة.. فهيمة ميتة.. قولي لى أنت مين؟

أشارت له بأن يأتى ورأها ودخلت إلى زريبة المنزل ثم نزلت درجات سلم وسار خلفها الحاج رضوان ليجد نفسه داخل مقبرة فرعونية.. فسألها مرة أخرى.. أنت مين؟ وخليتى أمال تقتل بنتى ليه؟

فهيمة: أنت لسه مش عارفنى لحد دلوقتي وأطلقت ضحكة مخيفة..

فى هذه اللحظة ارتج المكان بقوة وهبت رائحة طيبة وانتشر ضباب أخضر كثيف فتراجعت فهيمة وأثناء تراجعها تجمع كل الضباب حولها ليصنع كتلة عظيمة من الثلج..

أطلقت فهيمة صرخات مرعبة وحاولت التخلص من هذا الثلج فلم تستطع.. وفوجئ الحاج رضوان بحضور كثيف حوله لكائنات لم يستطع تحديد شكلها ودخل من الباب رجل أشيب مهيب ومعه فتاتان حسناوتان وقال للحاج رضوان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وفى أثناء ذلك زمجرت فهيمة بقوة وعنف فتوجهت نحوها إحدى الفتاتين مبتسمة وقالت: الدنيا دية صغيرة.. ده مفيش جن ولا إنس يقدر يتخيل إنك ممكن تكونى فى الموقف ده..

قاطعها الحاج رضوان قائلًا: أنا مش فاهم حاجة.. أنتوا مين؟ ومين فهيمة دية؟ والثلج ده حواليها ليه؟

رد عليه الرجل الأشيب: لولا رجوعك إلى الله لم تكن لترانا أبدًا..

أنا قاضى الجن، وتلك ملكة الجمال ابنتى دُرّة وهذه الملكة شمس القواميد بنت الملك الأحمر..

قاطعته فهيمة فى تلك اللحظة قائلة بتهكم: الملكة شمس.. ثم أطلقت ضحكة ساخرة وأردفت.. أنت مش جيتيلى لما أبوك طردك وأنت اللى قُلتى أن أنت اللى اتمردتى عليه.. ده جزائى بعد ما وقفت جنبك..

ضحكت الملكة شمس وقالت: أنت عارفة أنا اسمى أيه؟

أنا الملكة شمس القواميد بنت الملك الأحمر.. وعارفة مين الملك الأحمر؟

ده ملك المكائد، وعارفة ده معناه أيه؟

قاطعها الحاج رضوان قائلًا بحدة: أرجوكم قولولى أيه الحكاية؟

قاضى الجن: يا حاج رضوان.. أنت مش عارف فهيمة دية تبقى مين؟ وأنا عاذرك.. وهافهمك على كل حاجة وإحنا كنا حواليك دايمًا من وقت ما لجأت لربنا..

بكى الحاج رضوان وقال: ياريتنى تبت من بدرى مكانتش بنتى ماتت..

ملكة الجمال: متُكفرش بالله.. ده قدر ومكتوب.. والنصيب غلاب..

قاضى الجن: يا حاج رضوان كله مكتوب "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"، وبعدين ربك يمهل ولا يهمل.. وأدى بدر خد جزاءه وأمال خدت جزاءها.. وكما تدين تُدان..

فى هذه الأثناء صدرت من فهيمة أصوات مبهمة قوية بلغة غير مفهومة.. فقالت لها ملكة الجمال: لن يِنُقذك أحد.. نادى كما تشاءين فلن يسمعوك..

فهيمة: أناعايزة أعرف أنت هربت إزاي؟ وأنت والملكة شمس عرفتوا بعض إمتى وإزاى؟

همت ملكة الجمال بالرد ولكن الملكة شمس أشارت لها بالصمت وقالت وهى متجهة إلى فهيمة: أنا هقولك: أنا فى الأصل صديقة ملكة الجمال وإحنا أكتر من الأخوات.. ولما جه الملك قاضى الجن والدها عند ملوك الجان عرفت ما حدث معها منك، وكيف تجرأت على قاضى الجن وكيف خطفت ابنته، وعرضت على أبى المساعدة فأطلق لى كامل الحرية فى كيفية مساعدتى لصديقتى وغمرنى بحمايته وباركنى ملوك الجان لكى أستطيع مساعدة ملكة الجمال بدون نشوب حرب طاحنة بعالمنا بيننا وبينكم..

وأنا اتقربت منك من خلال الروح الثُعبان، وأوهمتك بهروبى من أبى ودخلت عالمك ومش كدة وبس ده أنت بنفسك اللى خلتينى أخُش قلعتك وأعرف كل حاجة عنك، وطبعًا أنا قربت جامد قوى من خادمتك عاينة، ورحت معاها القلعة بتاعتك، وشفت كمان ماريا وهى محبوسة هى الأخرى، وقاضى الجن وأبى كانوا بيراقبوك فى كل وقت لحد ما لاقوك مشغولة مع أمال وأختها بكل حواسك وفى لحظة ما كنت فى مقبرة عنتر أنت والملك ميططرون انتهزت الفرصة دية بعد ما أبى أذنلى واستغليت فرصة أنى بخش وباخرج من قلعتك زى ما أنا عايزة فعرفت أدخل أعوان لي من غير ما حد من أعوانك أو خدامك ياخد باله، وقدرت أحبس عاينة فى قلعتك وأخفيتها عن عيون الجميع بمساعدة ملوك الجان، ومتخفيش عليها حبسها مش هيطول لأنها بعد خروجى من قلعتك كل حاجة هاترجع لأصلها وزمانها فكت نفسها وعمالة تفكر أنا عملت فيها كدة إزاى، وإزاى أنت معرفتيش باللى حصل.. بس أديك

عرفتى المهم أنا خليت دُرّة تاخد شكل عاينة وخرجنا من قلعتك بمنتهى الهدوء ومفيش حد اعترضنا بس الوحيدة اللى كان ممكن تقدر علينا هى ماريا وأنت قمت بالواجب وكنت حبساها..

قاطعها الحاج رضوان قائلًا: يعنى فهيمة دية سحارة ولا جنية..

قاضى الجن: يا حاج رضوان فهيمة دية هى ذات المحاسن بنت أبليس.. فاكر محاسن اللى كنت شغال معاها زمان.. دية بقى شيطانة قدرت تتخلص من محاسن وخدت شكلها وكانت عايشة فى شقتها مكانها..

ما أنت عارف الحكاية دية بس اللى أنت مكنتش عارفه أن فهيمة هى نفسها ذات المحاسن.. وهى نفسها اللى خلتك تقدر على عنتر..

ما أنت مكنتش هاتقدر عليه لأنه عابد للشيطان زيك زمان، وهى اللى خلت بدر يقتل عنتر وخلت أمال تقتل بدر واستعانت بالملك ميططرون حتى تستطيع خداعك.. شفت بقى أنت كنت فى أيه وعايش إزاي؟ ده أنت تحمد ربنا أنه ابتلاك بموت بنتك بس.. وإنك على الأقل مش هتموت كافر..

الحاج رضوان: طب زى ما أنت بتقول دية لو كانت ذات المحاسن بنت أبليس ما كانت تقدر تخلص نفسها من الثلج إلى حواليها ده ومكنتوش تقدروا تحبسوها..

قاضى الجن: أنت عارف أن الجن لما بيتشكل فى أى صورة بيكون فى أضعف حالاته وإحنا عمرنا ما كنا هنقدر عليها لو كانت بهيئتها الطبيعية.. بس عشان هى متشكلة فى شكل بشرى فهى ضعيفة ومش قادرة تعمل أى حاجة وديه كانت فرصتنا أننا نقدر نحبسها فى ثلجنا وهناخدها على ملوك الجان وهما هيقرروا يعملوا معاها أيه..

ونصيحة أخيرة ليك يا حاج رضوان متتجهش للعالم بتاعنا تانى ولما يكون عندك حاجة محتاجها استعن بالله سبحانه وتعالى، وديه هتكون آخر مرة هتشوفنا فيها..

فى هذه اللحظة أحاطت بالمكان نار رهيبة فأشار قاضى الجن إلى الحاج رضوان الذى تكونت حوله هالة ثلجية رقيقة فلم تؤثر به النار.. كما أحاط نفسه هو والملكتان ومن معهم من الكائنات بهالات مشابهة، وخرجت من النيران الملكتان عاينة وماريا وأعوان كُثر من الشياطين وأحاطوا بالملكة ذات المحاسن وحرروها من قيدها فتحولت لحية عظيمة وحاولت أن تهاجم ملكة الجمال فلم تستطع اختراق هالتها الثلجية فاتجهت إلى الحاج رضوان الذى ظل يردد ويتلو أيات من القرآن الكريم ففرت

هاربة هي، ومن معها من الشياطين، ووقتها تحرر الحاج رضوان من الهالة التى كانت تحوطه واختفى من أمامه قاضى الجن والملكتان وبقية الكائنات وسجد لله شاكرًا له طالبًا منه الغفران..

وبعد هروب الملكة ذات المحاسن وأعوانها وخدامها من منزل فهيمة طلبت من الجميع العودة للقلعة وذهبت هى إلى منزل دُنيا وظهرت أمامها فجأة فذعرت دُنيا وتراجعت للوراء مندهشة وقالت: الحاجة فهيمة.. إزاي.. مش أنت ميتة؟

- **أنا مامُتش ولا حاجة كل اللى حصل أنا هفهمهولك بعدين..**
- **طب أنت دخلت هنا إزاي وعايزة منى أيه؟**
- **أنا أقدر أخش أى مكان وأعمل اللى أنا عايزاه، وأنت عليك خدمة لي..**
- **أُأْمرى يا حاجة..**
- **أنا عايزة بنت أمال..**
- **عايزاها إزاي يعنى؟**
- **أنت لازم تقدمى ضحية لسيدنا والضحية دية هتكون بنت أمال.. وساعتها هتعيشى متنغنغة ومبسوطة وهاتقدرى تعملى كل اللى نفسك فيه..**
- **وأنت عايزانى أعمل كدة إمتى وإزاى؟**
- **هأقولك فى الوقت المناسب..ثم اختفت من أمامها..**

عمر أحمد

وتستمر الأحداث مع الجزء الثاني «اللا عودة».


عندما يحاول زياد الدخول للعالم الخفى للزواج من ملكة الجمال
تتعرض له بنات إبليس، ويتحد معهم أبن عمه بدر ليتصاعد
الصراع، وينتقل إلى العالم السفلى، وإلى السحرة والعرافين
ويتحول البشر إلى وحوشٍ بشرية فيقتلون نفوساً طاهرة
بريئة بسبب حب الدُنيا و حب المال.
فهل سينتصر قاطنو الجبل الجليدى على أصحاب القلعة ؟
ومن سيلتمس النجاة ؟ ومن سيسقط إلى الهاوية ؟
عمر أحمد